الأدب الإسلامي ٢٥

العدد الخامس والعشرون - ١٤٢١هـ

■■ سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود:

المملكة العربية السعودية وهي ذات الرسالة الخيرة.. يسرها أن تكون منطلقاً للأدب الإسلامي ذي التأثير المحمود.

***

■■ الشيخ حمد الجاسر «علامة الجزيرة»:

لاشك أن الدعوة إلى الأدب الإسلامي للوقوف أمام تيار المذاهب الأدبية الدخيلة هي دعوة إلى ما يجب توجيه ناشئة الأمة، بل كل أدبائها إليه.

دمعة حضرموت على أمير الشعراء
علي أحمد باكثير

***

الرافعي.. من أدب الذات إلى أدب الهدف والرسالة
د. عبد الحليم عويس

***

مأساة الشيشان
شعر: الشريبني شريدة

الحرم .. في شعر إقبال

د. ظهور أحمد أظهر

المنهل

المجلة السعودية الأم

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

أسسها الشيخ عبد القدوس الأنصاري ـ يرحمه الله ـ عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٧م)

■■ صدر أول عدد منها في المدينة المنورة. ثم انتقلت إلى مكة المكرمة ـ ثم إلى جدة، حيث مقر دارتها الحالي.

■■ تهتم «المنهل» بنشر المعارف الإنسانية، ويعتبر دورها تأصيلاً في حركة الفكر والمعرفة.

■■ كان لها دورها الفاعل في توثيق الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية بخاصة، والعالم العربي بعامة.

■■ تابعت ووثقت نهضة المملكة العربية السعودية في كل المجالات.

■■ تفردت «المنهل» بنشر عددسنوي خاص يتناول موضوعاً واحداً يتميز بوحدة الموضوع والطرح الفكري.

■■ يرأس تحريرها حالياً، صاحبها الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري.

■■ وفرت «المنهل» للدارسين والباحثين والقراء مجموعة أعدادها الكاملة في ٧٢ مجلداً قيماً من ١٣٥٥ هـ إلى ١٤١٨ هـ، حددت لها سعراً رمزياً مساهمة منها في إثراء حركة الفكر والمعرفة.

العنوان: ص. ب ٢٩٢٥ جدة ٢١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية

تقدير عزيز ودعوة نبيلة

اطلع القراء الكرام في العدد الماضي على البرقيتين المتبادلتين بين سماحة رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية الشيخ أبي الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ وبين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، وكان مما جاء في برقية سموه قوله: «والمملكة العربية السعودية وهي ذات الرسالة الخيرة يسرها أن تكون منطلقاً للأدب الإسلامي ذي التأثير المحمود».

وسوف يطلع القراء في هذا العدد الذي بين أيديهم على المقابلة التي حاور فيها الدكتور عائض الردادي، وهو الإعلامي الرصين، سعادة الشيخ حمد الجاسر علامة الجزيرة وشيخ الأدباء فيها، وقد ورد أثناء هذه المقابلة قوله: «لاشك أن الدعوة إلى الأدب الإسلامي للوقوف أمام تيار المذاهب الأدبية الدخيلة هي دعوة إلى مايجب توجيه ناشئة الأمة، بل كل أدبائها إليه».

وحق لرابطة الأدب الإسلامي ولسائر الأدباء الإسلاميين أن يعتزوا بما قاله رب السيف، وماقاله رب القلم. فقد أكدت كلمة الأمير سلطان أن هذا البلد الأمين الذي شهد فجر الأدب الإسلامي منذ أن أشرقت الجزيرة بنور ربها، أصبح في العصر الحاضر منطلقاً للأدب الإسلامي الذي يحمل رسالة الحق والخير للعرب والمسلمين في كل مكان، بالكلمة الطيبة الهادفة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، كما أكدت كلمة صاحب السمو، وهو الرئيس الأعلى للشئون الإسلامية، صلة الأدب الإسلامي بالدعوة الإسلامية التي هي الشأن الأول لهذا المجلس، فمن المجمع عليه لدى سائر الأدباء الإسلاميين أن أدب الدعوة هو تاج الأدب الإسلامي، وإن كان هذا الأدب تعبيراً فنياً هادفاً عن الإنسان والحياة والكون أجمع.

وأما كلمة علامة الجزيرة فهي تشهد بما يحققه الأدب الإسلامي من الوقوف أمام المذاهب الأدبية الدخيلة التي ماتزال تفتن بعض الأدباء، ويكابر بها بعضهم الآخر، وأقل مايقال فيها أنها أبعد ماتكون عن تراث الأمة ووجدانها وذائقتها، بل إن في الكثير منها مايصدم عقيدة الأمة ودينها وأخلاقها ويجعل أدبها أدباً مزوراً «غريب الوجه واليد واللسان».

وفي كلمة علامة الجزيرة إهابة بالقائمين على شئون التعليم والتوجيه لناشئة الأمة أن يفيدوا من الأدب الإسلامي في إيجاد جيل مؤمن بالله متمسك بأخلاق الإسلام معتز بدينه وتراثه، بعد أن جعل أعداء الإسلام من الأدب وسيلة لهدم حصون الأمة من داخلها، ونشر الإلحاد والانحلال في أجيالها، وفي هذه الكلمة أيضاً إهابة بأدباء الأمة جميعاً أن يتوجهوا إلى الأدب الإسلامي وينضووا تحت لوائه ويسهموا في أداء رسالته الحميدة.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

رئيس التحرير

رابطة الأدب الإسلامي العالمية
UNIVERSAL LEAGUE OF ISLAMIC LITERATURE

مجلة فصلية
تصدر عن:
رابطة الأدب الإسلامي العالمية

الأدب الإسلامي

■ المجلد السابع ـ العدد الخامس والعشرون ١٤٢١ هـ

الشيخ حمد الجاسر

د. عبد الباسط بدر

علي أحمد باكثير

المقالات والبحوث	٤
الإبداع	١٥
ردود ومناقشات	٨٢
الأقلام الواعدة	٩٨
من أخبار الأدب الإسلامي	١٠١
الورقة الأخيرة	١١٢

رئيس التحرير:
د. عبدالقدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير:
الفريق يحيى المعلمي

مدير التحرير:
د. سعد أبو الرضا

مستشارو التحرير:
د. محمد زغلول سلام
د. عبده زايد
د. علي الخضيري

هيئة التحرير:
د. عبدالباسط بدر
د. حسين علي محمد
حبيب معلا المطيري

□□ الصف وأعمال التصميم والتنفيذ:
فاجرافيك القاهرة ـ هاتف وفاكس: ٣٢٦٠٦٠٣ ـ ٣٢٧٣١٣٩

□□ طبع هذا العدد في مطابع..
مؤسسة الرسالة
بيروت ـ وطي المصيطبة ـ بناء عبد الله سليت
تلفاكس: ٨١٥١١٢-٣١٩٠٣٩-٦٠٣٢٤٣
البريد الإليكتروني: Resalah@Cyberia.net.lb

■■ المراسلات:
□□ السعودية ـ الرياض: ١١٥٣٤
ص.ب ٥٥٤٤٦
هاتف وفاكس: ٤٧٩٣٢٣٤

دراسة

قضايا الأدب الإسلامي..
الثنائيات الأساسية: توافق أم تضاد؟

تشكل الثنائيات في سياق المعرفة الإنسانية ـ والأدبية بطبيعة الحال ـ فرصة مناسبة لاختبار قدرة المفكر والأديب على إقامة الجسور وردم الخنادق، ولمّ المتضادات، وإيجاد شبكة خصبة من الخبرات التي تستمد مفرداتها من طرفي المعادلة، فيما يبدو في الظاهر تعارضاً وتناقضاً يقود إلى الارتطام والنفي والاصطراع، ولكن اليد القديرة تعرف كيف تكتشف الخيط الذي يربط بين الطرفين، أو القاسم المشترك الذي يضعهما في حالة توافق وانسجام؛ لجعلهما يعطيان كل ماعندهما في حالاته القصوى المتاحة، وإتاحة الفرصة للمتعامل معهما مفكراً كان أم أديباً، للمضيّ بعمله صوب المزيد من الإحسان والاكتمال. ولعلّ إحدى المشكلات الأساسية التي يعاني منها الأدب الإسلامي المعاصر هي عدم إدراك هذه الحقيقة. أو ـ في أفضل الأحوال ـ التعامل معها في وتائرها الدنيا.

بقلم الأستاذ الدكتور:
عماد الدين خليل*

وقبل المضي لمعالجة بعض أنماط هذه الثنائيات في سياق المعطى الأدبي الإسلامي، لابد من التذكير بأنه ما من عقيدة كعقيدة الإسلام أولت هذه الظاهرة اهتماماً كبيراً، وقدرت في الوقت نفسه، على تحقيق أقصى حالات التناغم والوفاق بين جل الثنائيات التي تحكم العالم والطبيعة والوجود والحياة البشرية.

إن القرآن الكريم يقولها بوضوح: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ (البقرة ١٤٣) والوسطية هنا ليست موقعاً جغرافياً، ولكنه موقف عقدي، واستراتيجية عمل، ورؤية نافذة لموقع الإنسان المؤمن في الكون والعالم. إنها القدرة الدائمة على التحقق بالتوازن، وعدم الجنوح صوب اليمين أو الشمال، ومن خلال هذه القدرة يتحقق مفهوم الشهادة على الناس، لأنها تطل عليهم من موقع الإشراف المتوازن الذي لا يميل ولايجور.

إنها العقيدة التي قدرت، انطلاقاً من رؤيتها هذه، على أن تجمع في كل متناسق واحد: الوحي والوجود، والإيمان والعقل، والظاهر والباطن، والحضور والغياب، والمادة والروح، والقدر والاختيار، والضرورة والجمال، والطبيعة وماوراءها، والتراب والحركة، والمنفعة والقيمة، والفردية والجماعية، والعدل والحرية، واليقين والتجريب، والوحدة والتنوع، والإشباع والتزهد، والمتعة والانضباط، والثبات والتطور، والدنيا والآخرة، والأرض والسماء، والفناء والخلود.

إن هذه الرؤية التوازنية المرنة، الشاملة، للعقيدة الإسلامية، تمنح الأديب المسلم، فرصة طيبة لاعتماد المنهج نفسه في التعامل مع الثنائيات التي ينطوي عليها الجهد الأدبي في سياقاته التنظيرية والنقدية والدراسية والإبداعية على السواء.

ولكن الذي يحدث ـ في كثير من الأحيان ـ هو العكس: نوع من الانحياز إلى هذا القطب أو ذاك من طرفي المعادلة، والتفريط ـ بالتالي ـ بالقطب الآخر، بل افتراض تضاد، من الطول إلى الطول، يفصل بين القطبين، ويقيم بينهما خندقاً يصعب تجاوزه.

ومن خلال هذا التصور الخاطيء ضيع أدباء الإسلامية على أنفسهم العديد من الفرص، لتوظيف سائر العناصر الممكنة من أجل الارتفاع بمستوى أدائهم إلى وتائره العليا الممكنة.

وهكذا أصبح الشكل ينفي المضمون، أو بالعكس، والتراث يصادر المعاصرة، والأنا تلغي الآخر، والأديب يستبعد الفقيه، والمحلية تغلق الأبواب على العالم الفسيح. بدلاً من أن يصير الشكل أداة للمضمون، والتراث تأصيلاً للمعاصرة، والآخر فرصة لإغناء الذات، والفقيه مسدداً لخطى الأديب، والمحلية خطاباً متميزاً يتقدم به الأديب المسلم إلى الإنسان في كل زمن ومكان.

بل إننا نجد كيف أن هذا الافتراض الخاطيء في التعامل مع الثنائيات مضى بجرثومته إلى داخل نسيج الأنواع الأدبية، وبخاصة الشعر، فاستهلك الكثير من الجهد والوقت في الصراع ـ غير المبرر ـ بين أنصار الشعر العمودي وجماعة ما اصطلح عليه بشعر التفعلية، رغم أن هذا الأخير يحترم الوحدة الموسيقية للبحور ـ بما في ذلك الرويّ والقافية ـ ولكنه يحررها فقط من هيكلية العمود، وبرغم أن طبيعة الخطاب الشعري تقتضي صوتاً عالياً هنا وهمساً خافتاً هناك، فيما يتطلب اعتماد العمود حيناً، والتفعيلة الحرة حيناً آخر.

ثمة ما هو أكثر من هذا.. إن بعض النقاد والدارسين من أدباء الإسلامية أدانوا ـ وهم ينحازون إلى هذا القطب أو ذاك، وينفون معادله في الطرف الآخر ـ أولئك الذين اتخذوا الموقف النقيض، رغم أن الطرفين ينطلقان من افتراض خاطيء في أساسه.

لقد كان المؤتمر الذي عقدته كلية الآداب في جامعة الزرقاء فرصة طيبة لتسليط الضوء على هذه المشكلة، التي تقف عائقاً في طريق الأدب الإسلامي، وهو يمضي لتأكيد ذاته قبالة جملة من التحديات الصعبة. فلعل تشخيص الداء يعين

قضايا الأدب الإسلامي .. الثنائيات الأساسية: توافق أم تضاد؟

على تحديد الدواء الذي يرجع بالمعادلات الجانحة إلى وضعها السويّ: فيزيد حركة الأدب الإسلامي المعاصر قدرة على الإبداع والعطاء.

وقد حاول البحث الذي نحن بصدده، متابعة ثنائيات أساسية في سياق النشاط الأدبي، منها:

١ـ الشكل والمضمون.

٢ـ التراث والمعاصرة.

٣ـ الأنا والآخر.

بدءا بتحديد طبيعة العوائق والافتراضات التي تفصل بين قطبي كل سياق، وصيغ ردمها وإقامة الجسور عليها، من أجل استعادة الوفاق المفقود في حدوده الممكنة والمشروعة.

ولقد جرت ـ ولاريب ـ محاولات عديدة في هذا الاتجاه، ولكنها في معظم الأحيان كانت تكتفي بالتعامل مع هذا السياق أو ذاك. ولذا سيكون البحث ـ بشكل من الأشكال ـ محاولة لوضع السياقات الأساسية كافة قيد البحث والمناقشة؛ من أجل التحقق بأكبر قدر ممكن من توظيف أقطاب الفاعلية الأدبية؛ لخدمة أدبنا الإسلامي المعاصر، وتمكينه من العبور إلى الحلقتين العربية والعالمية، في عصر أصبح الخطاب الأدبي فيه ذا أهمية بالغة، بعد الانفجار الكبير في تقنيات التواصل المعرفي والإعلام الثقافي.

■■ الشكل والمضمون:

هذه إحدى الثنائيات التي تعترض مسيرة الأدب الإسلامي المعاصر، وتعرقل تناميها وقدرتها عى إقناع الآخرين.

ومع أن المنظور النقدي لهذه الثنائية قد تجاوز هذه المشكلة منذ زمن بعيد، باعتبار العمل الإبداعي ليس خطاباً تقريرياً، أو جهداً تسجيلياً، أو بحثاً في التاريخ، أو نقلاً مباشراً للوقائع والخبرات، وإنما هو خطاب مشحون بالقيم الفنية والجمالية، منزاح عن الدلالات اليومية للكلمات والتعابير، وإلا ما أصبح أدباً، ومع أننا قد نجد هذا التلاحم مؤكداً في معطياتنا التراثية وإلا أصبح الأدب ـ كما يقول الجاحظ: «كلمات ملقاة على قارعة الطريق»، وغير الجاحظ جملة من نقادنا القدامى أكدوا تلاحم الشكل والمضمون كابن قتيبة، والقرطاجني، وابن سلاّم، بل إن بعضهم لم يفصل أساساً بين طرفي الإبداع، كابن رشيق وضياء الدين بن الأثير، ويبلغ التداخل بين هذين الحدين أقصى درجات التحامه في نظرية النظم التي صاغها عبدالقاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) والقائلة بالعلاقة الباطنية القائمة بين الألفاظ والمعاني.

ولابأس هنا من استدعاء بعض الشواهد بالإيجاز الذي تتيحه صفحات كهذه.

فابن قتيبة يقسم الشعر إلى أربعة أنماط أو أضرب: «ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه وحلا فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى. وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه. ولفظ تأخر معناه وتأخر لفظه»(١). وابن رشيق يرى أن «اللفظ جسم وروحه المعنى» وأن «ارتباطه كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه. فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لافائدة فيه»(٢). ويصر ابن الأثير على «أن عناية العرب بألفاظها إنما هو عناية بمعانيها، لأنها أركز عندها وأكرم عليها» وهو إذ يلحظ اهتمام الشعراء بالجانب اللفظي، يؤكد أن ذلك لايعدو أن يكون «وسيلة لغاية محمودة وهي إبراز المعنى صقيلاً. فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها، ورققوا حواشيها وصقلوا أطرافها، فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بألفاظ فقط، بل هي خدمة منهم للمعاني»(٣)

أما عبدالقاهر الجرجاني فإنه يبلغ أقصى درجات الالتحام بين اللفظ والمعنى في نظريته المعروفة بالنظم التي يعرفها بأنها «تلك العلاقة بين الألفاظ والمعاني»، وأنها «تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»،(٤) وأنه «لانظم في الكلم وترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب تلك».(٥)

وأن النقد الصحيح يجب ألا ينصب على الألفاظ فحسب، بل عليه أن يتابع المعاني؛ فهي التي «تضفي على الألفاظ مايكون من حسن النظام وجودة التأليف، وهو العلاقة المترتبة على فهم القسمين: اللفظ

والمعنى»(٦).

ومع هذا وذاك، فإن العديد من أدبائنا لايزال يتشبث بفك الارتباط بين القطبين؛ لكي يمنح لنفسه الحرية بالجنوح صوب أحدهما.

وفي الحالة الإسلامية فإن الذي يحدث هو مايمكن اعتباره نقيضاً لخطيئة البرناسية، أي الذهاب باتجاه المضمون دون بذل جهد كاف لتحسين قيم المعطى الأدبي وآلياته الفنية والجمالية، وهي الخطيئة التي سبق أن وقع في إسارها أدباء الماركسية؛ بإدانتهم للشكلانية وانجرافهم باتجاه الأداء المباشر في التعامل مع الخبرة الاجتماعية.

ها هنا نجد أنفسنا قبالة وهم آخر ماكان على الأدباء الإسلاميين أن ينجرفوا فيه، الأمر الذي تمخض عن سيل من المعطيات الإبداعية، في سياق الأنواع كافة، انطوت على نزعة خطابية تقريرية مباشرة، وتضاءلت التقنيات الفنية والجمالية، فأعطيت ـ بذلك ـ الفرصة للآخرين لكي يتهموا الأدب الإسلامي بالضعف، والعجز، وأنه لايرقى إلى مصاف الآداب الأخرى.

والحق أن لغة الإبداع التي تباشر مفرداتها صيغ التعبير لن تمنح أدباً، لأن الفاعلية الإبداعية لاتتألق إلا بسلسلة من الكنايات والاستعارات والمجازات، تبتعد بالمعنى عن دلالاته الاعتيادية، في لغة الخطاب اليومي إلى مواضع جديدة تمنح المفردات والتعابير نبضاً خفاقاً وألقا مدهشاً، ولكن شرط أن يتم هذا كله وفق منظومة من الضوابط البيانية والنحوية واللغوية، وفي ضوء قواعد ومرتكزات وثوابت متفق عليها من المعطيات النفسية والاجتماعية والجمالية، والثقافية في نهاية الأمر، من أجل أن يتحقق التواصل في الخطاب بين المبدع والمتلقي ولايغدو تسيباً وانفلاتاً وعبثاً.

إن نظرية الانزياح ـ مثلاً ـ ليست في نهاية الأمر كشفاً جديداً تماماً، ولكنها تأكيد وبلورة وتنظير لممارسات جمالية ومعطيات بلاغية نفذها الشعراء منذ اللحظات الأولى لولادة الشعر في هذا العالم. إنهم تجاوزوا، بجر المعنى من حالته اليومية إلى حالات غير مباشرة، وباستخدام الأدوات والتقنيات البلاغية، جعل المعنى مطروحاً على قارعة الطريق، وتحولوا به إلى تشكيل جديد يرفض المباشرة ويمضي بالدلالة إلى آفاق جديدة هي في نهاية الأمر ما يفرق الشعر عن النثر العادي.

إن الظاهرة الأدبية لن تحقق وظيفتها في الخطاب الإبداعي مالم تتحقق باثنتين: المضمون والشكل، أو الفكر والفن. والأدب الإسلامي في بنيته التعبيرية هو كأي أدب في العالم لابد أن ينطوي على طبقتين أساسيتين هما:

١ـ المعنى الذي يراد التعبير عن مكنوناته.

٢ـ التقنيات الجمالية التي تمكنه من الوصول إلى المتلقي بأكبر قدر من التوتر والفاعلية والجمالية والتأثير.

لايتجادل في هذا اثنان، ولكن الضرورات التاريخية للخطاب الأدبي الإسلامي ربما تكمن وراء إلحاح بعض الدارسين والأدباء، سواء في تجاوز المطالب الحرفية أم التساهل معها في الأقل لصالح المضمون، لكن هذا وحده قد لايكفي، ولابد أن يفيء أدباء الإسلامية كافة إلى الميزان إذا أرادوا أن يكون أدبهم أدباً، فضلاً عن أن يأخذ طريقه إلى الإنسان والعالم، ويحتل موقعه المناسب في خرائط الدنيا.

■■ الفاعلية الإبداعية لاتتألق إلا بسلسلة من الكنايات والاستعارات والمجازات تبتعد بالمعنى عن دلالاته الاعتيادية في لغة الخطاب اليومي إلى مواضع جديدة تمنح المفردات والتعابير نبضاً خفاقاً وألقا مدهشاً.

إن التكشف الكامل للعمل الإبداعي يقوده إلى الضحالة، ويفقده خصائصه الفنية، ويؤول به إلى النثرية الباردة، أو التقريرية، أو ماشئنا من التسميات. ولابد إذن من التغطية.. من المجاز.. من إحاطة الخبرة التعبيرية بأكبر قدر ممكن من المضافات الفنية التي تبعد بها عن الكلام الاعتيادي، وهذا ـ على الأغلب ـ قد يقودها إلى نوع من الغموض، وهما في الحقيقة ـ وبالنسبة المعقولة ـ مما يميز الإبداع عن المعاني المطروحة على قارعة الطريق.

لكن المبالغة في الإغماض وفق قصد مسبق، قد يقود التعبير إلى التشرنق، والعزلة ويصده عن الوصول إلى المتلقي؛ فيفقد وظيفته الفنية الأساسية. إن كثيراً من قصائد الشعر الحر ـ على سبيل المثال ـ تتحول على أيدي الأدعياء وأنصاف الشعراء من المولعين بالتقليد والملاحقة، إلى نوع من لعبة الكلمات المتقاطعة.. من الشفرات السرية التي قد لا يقدر على فكها وحل رموزها سوى واضعها نفسه، وهذا ـ

بالتأكيد ـ ليس ميزة للأديب بقدر ماهو إدانة لأدواته الفنية وقدراته التعبيرية. مرة أخرى فإننا لن نستطيع أن نصل إلى الآخر، ونفتح ثغرة في الجدار الذي يفصله عنا، ونقنعه بسماع صوتنا إلا بتحقيق التوازن في معطياتنا الإبداعية بين المضمون والشكل.. بين المعاني والقيم الفنية.. إننا بأمس الحاجة إلى إعادة الوفاق بين القطبين، وحينذاك يمكن أن نتجاوز عزلتنا.

إن المضمون مهما كان عالياً لن يقدر على التأثير في الآخر، وكسب احترامه في دائرة الأدب والفن، مالم يحترم شروط الخطاب الأدبي.. ولحسن الحظ فإن محاولات جادة نفذت ولاتزال لتحقيق تلاحم أكثر بين الشكل والضمون.. مقاربة أشد لما يسميه النقاد (النسبة الذهبية) بين القطبين، وكلما ازداد هذا التيار عطاء قدر على كسر الحواجز، والانطلاق إلى آفاق أرحب.

■■ التراث والمعاصرة:

هناك مساحة واسعة من القلق والغموض بصدد الموقف من ثنائية الأصالة والمعاصرة، أو التراث والمعاصرة، التي تبدو في أكثر صيغها جدة فيما اصطلح عليه بتيار الحداثة.. وتأتي في هذا السياق معضلة التعامل مع المعطى الغربي بشكل عام، فيما سنتحدث عنه في ثنائية الأنا والآخر.

وتأخذ هذه الإشكالية صيغاً شتى؛ من بينها على سبيل المثال ذلك الاعتقاد الخاطيء، السائد لدى العديد من الأدباء الإسلاميين، بأن احترام التراث يوجب رفض الحداثة والتنكر لها، أو أن قبول بعض حلقات الحداثة يعني بالضرورة التنكر للتراث. ولقد ثار جدل كثير حول هذه المسألة التي بنيت على فرض خاطيء، فإن أحد القطبين لاينفي الآخر بالكلية، بل يمكن أن يجد فرصته للتحقق جنباً إلى جنب.

ابتداء فإن الأدب الإسلامي المعاصر لاتتشكل ملامحه، ولاتتحدد شخصيته المتميزة إلا بالتجذر في اثنتين: العقيدة والتراث، وإلا فقد خصوصيته، فإذا كانت الأصول العقدية للأدب الإسلامي مما لايختلف عليه اثنان، فإن التراث باعتباره معطى وضعياً ينطوي على هامش من الحرية يفسح المجال للانتقاء، فإذا سلمنا بأن ممارسة كهذه لاتعني بالضرورة نفياً للتراث، لم يبق ثمة حجة للاصطراع الموهوم بين فئتين من أدباء الإسلامية؛ تلتصق إحداهما بالتراث بأكثر مما يجب، حتى إنها لاتكاد تترك بينها وبينه فاصلاً مناسباً للرؤية الصائبة، التي تتيح الأخذ أو الرفض على هدى وبينة، وتبعد الفئة الأخرى صوب الطرف النقيض، مدعية أن الأدب الإسلامي مادام يحمل لافتة «المعاصرة» فإن عليه أن يفك ارتباطه بالتراث.

إن إحدى خطوات تعديل الوقفة الجانحة لأدبنا الإسلامي هي إزالة هذا الوهم، وتحقيق التصالح الموزون بين التراث والمعاصرة، وإن حركة الأدب الإسلامي هذه لهي «معاصرة» بقدر مايتعلق الأمر بتنظيراتها وجانب كبير من ممارساتها النقدية والدراسية، كما أنها «معاصرة» باستعارتها العديد من التقنيات الإبداعية المتقدمة لدى الآخرين، وخاصة الغرب. وهي «تاريخية» بقدر تجذرها في المعطى التراثي الخصب، ذي الخبرات المتراكمة عبر العصور، وليست أقلها محاولات رائدة مثل نظرية النظم للجرجاني، حيث نجد تأسيساً بنيوياً في التعامل مع النص من داخل نسيجه الخاص، وكذلك المعطيات البلاغية في مجال المجاز والاستعارة والكناية.. إلخ مما يمكن أن يطل برأسه على (الانزياحية) الأكثر حداثة، التي بالغت في التباعد بين اللغة ومطالبها من ناحية، وبينها وبين دلالاتها التعبيرية غير المباشرة من ناحية أخرى، ووضعت معايير نقدية قد تصدق حيناً وقد لاتصدق أحياناً.

ثم إن مصطلح الأدب الإسلامي، قبل هذا وذاك، إذ ينبني على رؤية متميزة للكون والعالم والإنسان والوجود، قد يجد انعكاسه ليس فقط في التراث، أو حتى في الأعمال الإبداعية المعاصرة، وإنما في العالم على امتداده.

فحيثما التقت مفردات نص إبداعي بهذه الرؤية، وتناغمت معها، أصبح النص صالحاً لإغناء الأدب الإسلامي، الذي يملك من المرونة وسعة الفضاء ما يسمح بانفتاحه على البعدين الزمني والمكاني معاً.

إن تيار الحداثة في سياقيه النقدي والإبداعي سلاح ذو حدين، فهو قد يمنحنا

أدوات عمل جديدة في الممارسة النقدية، تكشف وتحدد وتضيء وتتجاوز بالناقد حافات «الذاتية» التي مارست لزمن طويل إصدار أحكامها الارتجالية، وفرضت ميولها وذوقها الخاص على النص بنوع من المصادرة التي تبعد بالنشاط النقدي عن موضوعيته المرجوة. كما أن الحداثة «الإبداعية» يمكن أن تعطينا خبرات وصيغاً جديدة، وتكسر بعض التقاليد الفنية العتيقة باتجاه تقاليد أكثر جدة وملاءمة، وتضع قبالة المبدع حالات مدهشة في توظيف التقنيات الفنية.

لكن هذا هو أحد جانبي الصورة، وثمة الجانب الآخر الذي يقود إليه إلحاح العقل الغربي على تجاوز الثوابت والنزوع إلى التحول والتغير، ليس فقط في دائرة الأدب، وإنما في جل سياقات الفكر والحياة، الأمر الذي أدى في حالات عديدة إلى التضحية بخبرات الأجيال، وضرب الثوابت النقدية والإبداعية عرض الحائط، وإيجاد بدائل جديدة سرعان ماكانت تتعرض هي الأخرى للتجاوز والإهمال.

والضحية في معظم الأحيان هو القارئ الذي لايكاد يجد موطيء قدم يقف عليه، وهو يتعامل مع النص الإبداعي حيناً، ومع الجهد النقدي المنصب عليه حيناً آخر.

إن مذاهب النقد الأكثر حداثة ونظرياته أخذت تضيق الخناق على القارئ، وتعزله عن النص الإبداعي، لكي تستأثر بالتأويل والتفسير، كل وفق منهجه ورؤيته. ولم يعد من حق القارئ أن يمارس التجوال الحر عبر النص بعيداً عن رقابة النقد وأثرته، ذلك الذي بلغ في أكثر النظريات حداثة، كالبنيوية والسيميائية والتفسير الانزياحي، والتفكيكية، وباسم المنهج العلمي في النقد، حدّ إرغام النص على قبول مقولات المشرحة والمختبر!

والحق أن الموضوع يستحق محاولات جادة من النقاد والدارسين الإسلاميين، تبين مظان الإيجاب والسلب في دعوات أو كشوف كهذه، فتضيء بالإيجاب منهجها النقدي، الذي يطمح لأن يكون متميزاً، وتتخذ من السلب مؤشراً مدعماً بالحجة والجدل والبرهان، على أنه ماكل مايجيئنا من الغرب في هذه الدائرة أو تلك من دوائر المعرفة الإنسانية يمكن أن يبهرنا، أو يجعلنا نلهث وراءه، متخلين عن أولويات في العمل والمنهج قد تكون أكثر أهمية وجدوى.

إن الاتجاهات الحديثة تلح في تحميل النص دلالياً، أو تشريحه بصيغة مختبرية صارمة لاوجدان فيها، الأمر الذي قد يثير احتمال الانقلاب عليها باتجاه النقد الذاتي الانطباعي، الحر، كرة أخرى، وتلك هي مأساة أحادية الرؤية لدى الغربيين، ليس في مجال النقد فقط، وإنما في سائر الأنشطة والكشوف التي شهدتها دائرة العلوم الإنسانية.

والأولى، كما يتبادر للوهلة الأولى، تحقيق قدر من التوازن بين الموضوع والذات، بين القانون والحرية، بين العلم والذوق، بين التشريح والرؤية الشمولية، مادام الأمر ينصب على المعطى الإبداعي الذي يصعب، بل يستحيل، إدخاله من عنق زجاجة العلم أو القانون أو المعادلة الرياضية. وبدون التحقق بهذا التوازن، فقد يخشى من حدوث رد الفعل المتوقع، بل المؤكد، لأن المسألة ببساطة هي أن قراءة النقد وجماهير الأدب يريدون أن يقرأوا شيئاً ممتعاً ومجدياً في الوقت نفسه، شيئاً يفسر لهم النص ويضعهم فيه كذلك، أي يجعلهم ينفعلون به ويتأثرون، ويدركون، بلمسة التعامل المشترك بين الناقد والمبدع والقارئ، الملامح الجمالية للنص وقيمه التعبيرية.

■■ إحدى خطوات تعديل الوقفة الجانحة لأدبنا الإسلامي هي إزالة وهم الفئة التي ترى معاصرته في ضرورة أن يفك ارتباطه بالتراث، وتحقيق التصالح الموزون بين التراث والمعاصرة.

إن كل حركة نقدية تطلع في الغرب تمثل ولاريب كشفاً ذا قيمة وإضاءة جديدة تخدم الأنشطة النقدية، من أجل التحقق بإيغال أعمق وأكثر انضباطاً في شرايين النص. هذا أمر يكاد يكون متفقاً عليه، لكن محاولات العقل الغربي المعهودة والمكرورة التي تأخذ بخناق المنهج الغربي في حقول الإنسانيات هي سعي لمط الاكتشاف، لكي يفسر أكبر قدر من الحقائق سواء في حقله الخاص، أم حتى في الحقول الأبعد نسبياً عن تخصصه فيقع في الخطأ، بل إنه كثيراً مايسعى إلى الاستئثار بالحقل الذي يتعامل معه، ويرفض أية إضاءة قد تجيء من رؤية مغايرة أو منهج آخر، على الرغم من أنها قد تكون تفسيراً تكميلياً ربما يعين الدارس على فهم أعمق وأكثر شمولاً لما بين يديه.

إن التعميم، والرؤية الأحادية التي تتجاوز إضاءات الغير وكشوف الآخرين، هما اللذان يجعلان معظم الحركات

الغربية في ميدان الإنسانيات تسقط في نهاية الأمر في مستنقع الادعاء بالقدرة على فعل المستحيل، والمستحيل هاهنا هو تحويل الكشف الجزئي إلى عقيدة شمولية، تعطي جواباً عن كل سؤال. وهذه مسألة تكاد تكون مستعصية، وكثيراً ما قادت إلى نتائج خاطئة أو مهزوزة، انتهت بسقوط الكشف نفسه، أو تهافته، وفقدان الثقة بمصداقيته، كما حدث مع الماركسية والوجودية والفرويدية وغيرها، وصولاً إلى البنيوية التي أخذت منذ الستينيات تتلقى ضربات قاسية، والتي سعت بخلفياتها الفلسفية إلى قتل الإنسان، إذا استخدمنا عبارة المفكر الفرنسي المسلم رجاء جارودي، والتي لاتزال تتلقى سيلاً من ردود الأفعال في عدد من بلدان الغرب.

على أية حال، فإن الناقد المسلم، وهو يتعامل مع نظريات وكشوف ومذاهب كهذه، يمكن أن يلحظ كيف أن بعض محاولات الحداثة النقدية، كالانزياحية مثلاً، لا ترتبط بأية رؤية أو منظور ذي طابع عقدي، وإنما هي تقنيات منهجية صرفة، تضع أدواتها في خدمة النص، بغض النظر عن مدى سلامة هذا المنهج وقدرته على التحليل والتفسير، بينما تنسج محاولات أخرى، كالبنيوية مثلاً، حول نفسها منظومة من المفاهيم التي تخرج عن دائرة التقنية باتجاه التعامل مع الإنسان ووضعه في العالم، وقد يصل بها الأمر إلى حافات العقائدية. ومن خلال هذا الفارق بين النمطين يتأتى للناقد المسلم أن يفيد ماوسعه الجهد من الحالة الأولى ذات الطابع الحرفي الجزئي الذي يتحاشى الشمولية والإيديولوجية، وأن يكون حذراً من الحالة الثانية على الرغم من أن حذره من الخلفيات يجب ألا يصده عن المضي للإفادة من الجوانب الحرفية الصرفة للمحاولة.

والمهم هو تجاوز الوقوع في أحد أمرين: التقبل الكامل لمعطيات الحداثة، بدافع الإعجاب والتزام «العلمية» في العمل النقدي، أو الرفض الكامل لها بحجة ارتباطها بخلفيات قد ترتطم في مفرداتها، أو بعضها، مع المنظور الإسلامي، للكون والعالم والإنسان، ولطبيعة النشاط الإبداعي.

هذا هو أحد طرفي المعضلة التي يعاني منها أدباء الإسلامية، أما الطرف الآخر فهو الموقف من التراث.

يتحتم علينا ابتداء أن ننظر إلى التراث بوصفه معطى بشرياً ينطوي على الصواب والخطأ، فيه ماهو إبداعي وما هو اجتراري، إنه خزان الحضارة، ما نكتبه من شعر وأدب، ونكتشفه من حقائق، ونصوغه من فلسفات، وننتخلق به من طبائع، ونتشكل به من عادات وتقاليد وأذواق.. هذا كله يصب في ساحة التراث، وقد يكون في العديد من مفرداته وليد بيئة ما، أو زمن محدد، وبالتالي فإنه لايحمل صفة الإلزام، ونحن لسنا ملزمين بحمله على كواهلنا، والمضي به عبر الحاضر إلى المستقبل، وهو لايحمل طابع القدسية على أية حال. وفي آيتين كريمتين يحررنا كتاب الله من أعمال الأجيال الماضية ﴿**تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون**﴾ (البقرة: ١٣٤)، وهو يدين الكفار لتشبثهم الأعمى بتقاليد الآباء والأجداد: ﴿**إنا وجدنا اباءنا على أمة وإنا على اثارهم مقتدون**﴾ (الزخرف: ٢٣) وعليه فنحن نستطيع أن نتعامل مع التراث بكل حرية: نقبل ونرفض، نفكك وننتقي، نعيد التركيب في ضوء ماتقود إليه هذه العملية، من بناء لأنفسنا وتأكيد لوجودنا كأمة متميزة. ومدار الأمر أن نكون مخلصين لله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذي منحنا معياراً إنسانياً مرناً في التعامل مع مفردات سلوكنا اليومي والمعرفي في حديثه الشريف: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء مانوى**»(٧) فإذا أردنا أن نتحرك، أو نمارس فعلاً حضارياً وتوافرت النية المخلصة في دائرة الضوابط الشرعية فذلك هو الضمان، بخلاف أولئك الذين يتعاملون مع تراثنا من خارج دائرة الإسلامية، من الملاحدة والعلمانيين والمتغربين

■ رجاء جارودي

الذين يدسون رؤوسهم في المعطيات التراثية برؤية انتقائية مسبقة، لايحكمها ضابط أو معيار، ويسوقها الظن والهوى؛ فتكون النتيجة عبثاً بمقدرات هذا التراث وتزييفاً لخصائصه.

فنحن بقدر مانرفض التعبد للتراث والتقديس لمفرداته، نرفض في الوقت نفسه العبث بمقدراته والتعامل معه بمعايير يؤتى بها من خارج الدائرة الإسلامية فيما يجعلها لاتصلح - ابتداء - للوصول إلى نتائج مقبولة.

إننا أحرار في تعاملنا مع التراث، شرط أن نكون مخلصين لخصوصياتنا وعقيدتنا وثوابتنا وتاريخنا، وأن يتجاوز هذا التعامل الصيغ المتحفية الساكنة، أو حتى الأكاديمية البحتة، وأن يعين - بدلاً من ذلك - على تحريك حياتنا الراهنة، وإعادة تركيبها في ضوء الخبرة التاريخية، من أجل أن نتجاوز حالة التفكك، وانعدام الوزن، وضياع الشخصية.

إن التجذر في التراث ليس ترفاً أو اختياراً، ولكنه قدر كل فاعلية ثقافية تسعى لأن يكون لها مكان في العالم، من خلال تشبثها بالشخصية المتفردة، والملامح ذات الخصوصية، ولن يكون هذا بدون الامتداد صوب البعد التاريخي، أو العمق التراثي للتحصن به والاستهداء بمعطياته، جنباً إلى جنب مع الأصول العقدية التي تشكل قاعدة العمل الأساسية، وبوصلة الانطلاق والتوجيه.

هنالك حقيقة طالما غابت عن أذهاننا ونحن نتحدث عن ثنائية التراث والمعاصرة، رغم أنها قد تكون بداهة من البداهات، وهي أن المعطى التراثي نفسه كان ساعة تشكله «معاصراً»، بمعنى أنه وليد اللحظة التاريخية، بكل مكوناتها ومؤثراتها وموروثها التراثي، القادم من نقطة زمنية في الماضي، ولم يكن - بالتالي مأسوراً بسلطة التراث الذي يسبقه في الزمن، قد يتأثر به ويتلقى عنه، ولكنه لايعكسه كالمرآة دونما إضافة أو إبداع.

هذا إلى أنه من المعروف لدى الدارسين أن التعامل مع الموروث الثقافي، ومعطيات الآباء والأجداد بشكل عام، إما أن يعتمد صيغة اتباعية تمارس التقليد والاجترار، ولاتكاد تضيف جديداً، أو صيغة إبداعية لاتتنكر للموروث، ولكنها - في الوقت نفسه - لاتسمح بأن تقع في شباكه.

ويكاد يكون من المتفق عليه أن هذه الحالة هي التي تشكل أحد العوامل المساعدة على تنامي الفعل الحضاري، وبالعكس فإن الحالة الاجترارية تعكس في معظم الأحيان الوضع التاريخي الذي يتعثر فيه هذا الفعل، ويمضي بالحضارات صوب التدهور والسقوط.

■■ الأنا والآخر:

في المنظور التاريخي كانت «الأنا» لاتلغي «الآخر» - في معظم الأحيان - أو تصادره، وكان تحقق «الآخر» لايعني - بالضرورة - الحكم بالإعدام على «الأنا»، بل إن بمقدور المرء - على العكس - أن يضع يديه على سياقات مترعة بالخصوبة والعطاء بخصوص ثنائية الأنا والآخر، كانت - في حالات كثيرة - تمنح القطبين معاً الفرصة للتحقق والصيرورة والتنامي.

صحيح أن لحظات النفي والاصطراع والمصادرة امتدت عبر مساحات واسعة في الزمن والمكان، لكنها - على أية حال - ليست الصيغة الوحيدة.

أما على المستوى العقدي فيكفي أن نرجع إلى المنظور القرآني للثنائية؛ لكي يتأكد لنا أنها مركوزة في الجبلة الآدمية، وأنها تنطوي على الإيجاب والسلب معاً، وهي في الحالة الأولى يمكن أن تكون فرصة مناسبة للحركة والتجدد والإبداع والعطاء.

■■ التعميم، والرؤية الأحادية التي تتجاوز إضاءات الغير، وكشوف الآخرين، هما اللذان يجعلان معظم الحركات الغربية في ميدان الإنسانيات تسقط، في نهاية الأمر، في مستنقع الادعاء بالقدرة على فعل المستحيل.

إن الإرادة الحرة والاختيار المفتوح اللذين منحا للإنسان، فرداً وجماعة، للانتماء إلى هذا المذهب أو ذاك، يقودان بالضرورة إلى عدم توحد البشرية وتحولها إلى معسكر واحد، أو أرقام في جداول رياضية صماء، إن قيمة الحياة الدنيا وصيرورتها المبدعة تكمن في هذا التغاير بين الأنا والآخر، وأن حكمة الله سبحانه شاءت - حتى بالنسبة للكتلة أو المعسكر الواحد - أن تشهد انقساماً وتغايراً وتنوعاً وصراعاً.

والقرآن الكريم يحدثنا عن هذه الثنائية في أكثر من مكان، ووفق أشد الصيغ واقعية ووضوحاً: ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً، ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات**﴾(٨)، ﴿**ولو شاء**

ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولايزالون مختلفين، إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم﴾(٩).

وكثيراً مايكون اختلاف الألسنة والألوان الذي يعقبه تغاير الثقافات وتعدد الأعراق، أحد العوامل الأساسية التي تكمن وراء التنوع الذي هو بحد ذاته صيغة من صيغ الإبداع الإلهي في العالم: ﴿**ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون.. ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين﴾**(١٠).

أما عن الهدف من وراء هذا التغاير، فإن القرآن يجيب: ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾**(١١). وهكذا فإن التغاير يقود إلى تحريك الحياة نحو الأحسن، وتخطي مواقع الركود والسكون والفساد، ومنح القدرة للقوى الإنسانية الراشدة كي تشد عزائمها قبالة التحديات.

إلا أن القرآن ـ وهو يتحدث عن الصراع الناجم عن التغاير البشري في المذاهب والأجناس واللغات والمصالح والثقافات والبيئات الجغرافية ـ لايقصر المسألة على التقاتل والتدافع، إنما يمدها إلى ساحة أوسع، ويعطي للتغاير البشري آفاقاً بعيدة المدى، تبدأ بإشهار السلاح، وتمتد لكي تصل إلى الموقف الأكثر إيجابية، والذي يجعل من التغاير سبباً لعلاقات إنسانية متبادلة، بين الأمم والأقوام والشعوب، تسعى للتقارب والتعاون والتعارف، مع بقاء كل منها على مذهبه أو جنسه أو لونه أو لغته أو بيئته الجغرافية: ﴿**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير﴾**(١٢).

فإذا ما انتقلنا من العام إلى الخاص، أي من الدائرة الحضارية أو الثقافية على اتساعها، إلى حلقة الآداب والفنون، وجدنا أنفسنا قبالة ثنائية يمكن أن تمنح الأدب الإسلامي ـ إذا أحسن توصيفها ـ خبرات مضافة تمكنه، ليس فقط من أن يزداد نضجاً ويستوي على سوقه، وإنما ـ أيضاً ـ من التأثير في الآخر والتحول، شيئاً فشيئاً، إلى العالمية، التي تمثل السقف العالي الذي يطمح إليه كل أدب قدير على العطاء والإبداع، وهي ـ في المقابل ـ إذا أسيء توظيفها فإنها ستقود إلى إحدى اثنتين: العزلة عن الآخر وتضييع فرص الاتقان والإحسان من جهة، أو الفناء فيه وضياع الملامح الأصيلة التي تميز آداب الأمم والشعوب وتمنحها خصوصياتها، من جهة أخرى.

وإذا كنا في المحور السابق قد تحدثنا عن العلاقة الزمنية ذات البعد العمودي بين التراث والمعاصرة، فإننا هنا سنؤشر على العلاقة المكانية ذات البعد الأفقي بين الأنا والآخر، وهي فرصة مناسبة للحديث ـ كرة أخرى ـ عن إشكالية حدود التعامل الإسلامي مع معطيات الأدب الغربي عموماً ـ وليس في دائرة الحداثة فحسب ـ تلك المعطيات التي ينطوي عليها المعمار الواسع المتشعب لهذا الأدب.

في البدء يجب التذكير بأن حركة الأدب الإسلامي المعاصر مادامت لم تزل في مرحلة التأسيس والتشكل، فلابد أن تشهد تبايناً في وجهات النظر إزاء العديد من القضايا المرتبطة بالنشاط الأدبي، هذا التباين أو التغاير الذي يتدرج في مساحاته الفاصلة بين الطرفين، حتى يبلغ في بعض الأحيان مدى بعيداً قد يعزل أحدهما عن الآخر، ويقطع كل الجسور التي من شأنها أن تمكن أحدهما من العبور إلى الطرف الآخر.

وليست هذه الظاهرة أمراً استثنائياً ولاحالة شاذة أو مرضية. على العكس إنها الظاهرة الأكثر حدوثاً في مراحل التشكل والتأسيس، ليس على مستوى الأدب فقط، وإنما في السياقات الثقافية كافة (ولنتذكر ما الذي حدث في مرحلة تأسيس الثقافة الإسلامية عبر مجابهتها المبكرة لتحديات الثقافات الأخرى).

إن التلاقح بين الأفكار المتغايرة في إطار الرؤية المشتركة يقود إلى مزيد من الخصب والتنوع والعطاء، وهذا أمر بَدَهيّ، ما دام هناك قاسم مشترك يجمع المتحاورين على الخطوط العريضة. لكن الأمر قد لايقف عند هذا الحد، فقد يمضي إلى ماهو أبعد فيتحول، وهذا هو الجانب الخطر في الظاهرة، إلى نوع من الفصام التام، وإلى

التشرذم في نهاية الأمر داخل توجهات متغايرة ترفض الحوار، وتتشرنق داخل نسيجها الخاص دونما أية محاولة جادة لسماع صوت الآخرين، فلعل في بعض مفرداته إضاءة أو إضافة ما تعين على النمو المأمول.

والآن فمن الضروري التحول من هذا التعميم الذي قد لايعني شيئاً، إلى التخصيص، أي إلى تنفيذه في إطار مشكلة محددة تباينت حولها وجهات النظر، وتمخض عن ذلك سياقان من الجدل: أحدهما إيجابي يعبر عن نفسه بالرغبة في الحوار الجاد المخلص للوصول إلى نتائج أكثر دقة، وثانيهما سلبي يرفض فتح أية نافذة لتبادل الرأي مع الطرف الآخر.

إنها قضية التعامل مع الأدب الغربي وتوظيفه في النشاط الإبداعي والدراسي والنقدي الإسلامي، ذلك أن ساحة الأدب الإسلامي المعاصر تشهد اليوم تيارين أساسيين في مواجهة تحدي الأدب الغربي، أو في الأقل إزاء التعامل معه كنشاط ذي طبقات عديدة (وسنتجاوز الآن الوقوف عند تيار ثالث يتخذ موقفاً وسطاً بين القبول والرفض، وهو في حقيقة الأمر الحالة المتوازنة المطلوبة، والتي يؤمل أن يلتقي عندها التياران الآخران إذا فتحا باب الحوار الجاد للوصول إلى قناعات مشتركة).

البعض يرفض هذا التعامل ابتداء، وقد يدين أصحابه بضعف وتخلخل الأسس الإسلامية لثقافتهم الأدبية، بغض النظر عن الطبقة أو المعطى الأدبي الغربي، وموقعه في المعمار الشامل ذي الطبقات والأدوار، بل هو يرفض حتى استعارة بعض مصطلحات هذا الأدب، وتوظيفها إسلامياً، ولو بصيغة مرحلية تستهدف التوصيل لحين إيجاد أو نحت مصطلحاتنا الإسلامية الخاصة بنا.

والبعض الآخر يذهب في هذا التعامل إلى حدوده القصوى، وأيضاً دونما تمييز لموقع المعطى الغربي من خارطة النشاط الأدبي، وأجدني مضطراً للتأكيد على وجود خارطة، أو معمار ذي طبقات عديدة في دائرة النشاط الأدبي الغربي، لأنها ليست كلها سواء في مدى تماسها مع المنظور الفكري أو العقدي، أو حتى الثقافي، وبالتالي فإن وضعها في سلة واحدة، والحكم عليها بصيغة المصادرة، سيقود إلى خطأ في الموقف من التعامل معها في الحالتين أي في حالة الرفض الكامل أو القبول الكامل.

ومن أجل توضيح هذه النقطة بالذات، التي هي عصب الموضوع، لابد من تذكير القارئ بأن النشاط الأدبي الغربي يتضمن الفعاليات أو المعطيات التالية التي قد يرتبط بعضها ببعض، وقد يفضي بعضها إلى بعض، ولكنها ليست بالضرورة انبثاقاً أو تماسكاً عضوياً، بحيث إن التعامل مع أي طرف منها سيجر وراءه تأثيرات الطبقات أو المفردات كافة.

■■ يجب التذكير بأن حركة الأدب الإسلامي المعاصر مادامت لم تزل في مرحلة التأسيس والتشكل، فلابد أن تشهد تبايناً في وجهات النظر إزاء العديد من القضايا المرتبطة بالنشاط الأدبي.

فبعد رحلة قرون متطاولة من الجهد والعطاء، والمحاولة والتجريب، أخذت معطيات الأدب الغربي السياقات الأساسية التالية:

(١) المعطيات الإبداعية وفق أنواعها المعروفة، والتي تشكل قاعدة البناء كله.

(٢) المنظور أو الرؤية الشمولية التي تتشكل في ضوئها هذه المعطيات فتتكون بموجبها.

(٣) مدرسة أو مذهب أدبي كالكلاسيكية والرومانسية والواقعية والوجودية.. إلخ.

(٤) الجهد النقدي الذي يسعى لإضاءة الأسس الجمالية للنص الإبداعي، وتحليله، وصولاً إلى قيمه الفنية ودلالاته المضمونية، وطبيعة ارتباطه بالمنظور وبالمذهب الذي يندرج تحته.

(٥) الطريقة أو المنهج الذي يدرس الحركة، أو الظاهرة الأدبية، عبر مساراتها الشاملة في الزمن والمكان، وفي ضوء قوانينها وارتباطاتها الداخلية الصميمة (ويجئ تاريخ الأدب لكي يندرج تحت هذا السياق).

(٦) النظرية التي تلم هذه المساحات وتنطوي عليها جميعاً.

فالنشاط الأدبي ليس إبداعاً فحسب، كما أنه ليس قراءة نقدية للنص الإبداعي فحسب، وإنما هو فضلاً عن هذا وذاك مذاهب ومدارس في الإبداع، تتشكل وفق المنظور أو الإطار الشامل الذي يتكون الجهد الإبداعي في رحمه، كما أنه (مناهج) و(طرائق) لدراسة الأدب وتصنيفه وفق سياقاته في الزمن والمكان، وفي ضوء قوانينه وارتباطاته الداخلية،

ثم هو في نهاية الأمر نظرية شاملة تلم هذا كله، وتبحث عناصر الارتباط والتأثر والتأثير بين طبقاته، وتؤثر على النسب والأبعاد بين معطياته، ثم تسعى لاستخلاص التوجهات الشمولية التي تندرج وتصب فيها مفردات النشاط الأدبي كافة، لكي تصنع أو تصوغ توجهاً ذا شخصية محددة وملامح متميزة.

صحيح، مرة أخرى، أن ثمة ارتباطاً من نوع ما، بين هذه السياقات أو الحلقات الست، ولكنه ليس بالضرورة ارتباطاً بينها جميعاً، فقد يكون بين حلقتين أو ثلاث، وتظل الحلقات الأخرى أو بعض مفاصلها سائبة حرة، قد تتأثر بالحلقات الأخرى، وقد تؤثر فيها، وقد لاتتأثر أو تؤثر بحال.

ومن خلال هذه الثغرة قد نجد ممراً مشروعاً للدخول إلى معمار هذا الأدب، أو إلى أحد أدواره والإفادة منه وظيفياً، في إنضاج حركة الأدب الإسلامي واستكمال مقوماته. وعلى سبيل المثال، فإن بالإمكان تفكيك المنهج الواحد، وانتقاء العناصر الملائمة، والتي لاترتطم بالرؤية الإسلامية في التعامل النقدي، ورفض اعتبار المنهج وحدة نهائية يصعب تفكيكها، كما ترى التوجهات التي تدعي العلمية.

مهما يكن من أمر فإن المنهج هو غير المذهب وغير النظرية، ورغم أنه قد يرتبط بخلفيات تنظيرية أو مذهبية، وقد يتجذر في الرؤية أو العقيدة، لكن هذا يجب ألا يكون حكماً نهائياً، لأن هناك من المناهج، أو بعبارة أدق، مساحات ومفاصل في نسيج المناهج ما يمكن أن تكون بمثابة أداة حيادية تقنية صرفة، قد يكون التفريط بها تضييعاً لفرصة ممتازة لإضاءة المسالك، أمام الأنشطة النقدية الإسلامية، وبخاصة في مجال النقد التطبيقي.

خلاصة القول..

أننا بإزاء فرص للتوظيف في سياق حركتنا الأدبية، تزيدها نمواً وخصباً واكتمالاً، وتقربها أكثر من لغة العصر، ومن الوصول إلى الآخر خارج دائرة الإسلامية نفسها، لكي تقنعه بمعطياتها في هذا الجانب أو ذاك، من جوانب النشاط الأدبي: إبداعاً أو دراسة أو تنظيراً أو نقداً.

فإذا كانت مفردات هذه الفرص وقنواتها ذات طابع تقني صرف، لايرتطم من قريب أو بعيد بأي من القيم والمنظومات الإسلامية، فلماذا نفرط بها ونعلن الحرب عليها؟ وإذا كان الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نص بتقييدها، كما تقول القاعدة الفقهية المعروفة، فلم نسوق المباحات إلى دائرة الكراهية أو الحرمة؟ ولم نسد القنوات التي قد تمنح إسلاميتنا أدوات أكثر قدرة على التعبير عن الذات، وإدراك الأبعاد الحقيقية للإبداع كوسيلة للتعبير؟

وسيكون من فضول القول التذكير بأن الاندفاع غير المبرمج باتجاه الأخذ عن النشاط الأدبي الغربي دونما ضوابط، ولا معايير إسلامية تفرز وتعزل وتميز وتختار، سيكون نوعاً من الانتحار الثقافي، لأنه سيقود إلى فقدان الهوية والذوبان في منظور «الآخر».

وهكذا تجد الحركة الأدبية الإسلامية نفسها في أمس الحاجة إلى مزيد من الحوار المرن المفتوح غير المتشنج، بين التيارين الإسلاميين بخصوص التعامل مع الآخر، من أجل أن تفيء الأطراف كافة إلى الوسطية التي هي نبض الممارسة الإسلامية الأصيلة، في كل منحى من مناحي الحياة، وهي ليست موقعاً جغرافياً، ولااختياراً هروبياً لمواقع السلامة، وإنما ـ على العكس ـ انتقاءً إرادياً صعباً لعناصر الإيجاب في الظواهر كافة، من أجل التحقق بأكثر الصيغ توافقاً وانسجاماً وقدرة على العطاء.

الهوامش:

* أستاذ بجامعة الموصل بالعراق

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق دي غوية، مطبعة بريل، ليدن ـ ١٩٠٢م، ص ٧ـ٩.

(٢) ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٢م، ١/ ١٢٤.

(٣) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة: مطبقة البابي الحلبي، ١٩٣٩، ١/ ٣٥٣.

(٤) عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده والشنقيطي، القاهرة: مطبعة مجلة المنار ـ ١٣٢١هـ، ص٤٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٦) عبدالقاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق هلموت ريتر، استانبول: مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤، ص٦.

(٧) رواه الشيخان

(٨) سورة المائدة ٤٨

(٩) سورة هود ١١٩

(١٠) سورة الروم ٢٠ ـ ٢٢

(١١) سورة البقرة ٢٥

(١٢) سورة الحجرات ١٣

مسجد في ليشتنراد

طَالَعْتُه «بِلِنْنغراد» فَهَلَلَتْ
قَسَمَاتُه، واسْتَعبَرتْ عَيْناهُ
مدَّ القناديلَ التَّقيةَ في دَمي
وهَدَتْ خُطايَ على الطَّريقِ خُطاهُ
لَمَّا لمسْتُ جِداره ونقوشَهُ
رَفَّ الفؤادُ، وغرَّدتْ دُنياه
قد كنتُ في ضيقٍ، فأذْهبَ حَسْرَتي
ومضى يُطَرِّز في الفؤاد سَنَاه
وغدا يلفُّ مشاعري وقصائدي
وتحاوَطتني بالحنان يداه
هي لحظةٌ.. ورأيتُه في دَاخلي
ومَشَى الحديثُ حروفُه وَنَداهُ
قدْ رُحتُ أسألهُ بصوتٍ خاشعٍ
عنْ فتيةٍ عَبروا إليه، وتاهوا
عنْ عالَمٍ متآلفٍ مُتراحمٍ
سَطَعتْ به رغم السّجود جِباه
عن قوْمنا تركُوا الجزيرةَ، فالدُّنا
فَرَسٌ يَكُرُّ وشاعرٌ تَيّاه
عن عَدْلهم، وعن السّكينة بينهُمْ
وعن النّقاء وسحرِه، ومَداه
وعن القَصائد غرَّدَتْ جَنَّاتُها
والمجدُ يُشْرقُ، والنَّدى، والجاه
.. لكنَّه ماقالَ شيئاً يُرْتَجى
وَمَضى يقول - ولوَّحَتْ كفَّاه -
يازائري كيف الحياةُ بعالَمٍ
قد جئْتَ منه؟ وكيف عِشْتَ تراه؟
قل لي: هلْ القُدْسُ الحزينةُ لمْ تَزلْ
من غير تكْبيرٍ، يهزّ صَداه؟
وهل اسْتُرِدَتْ جنَّة قد ضُيِّعَتْ
وأعاد طفلاً تائهاً أبَواه؟
وهلْ الزّهورُ تدورُ في رقصاتها؟
وهل الرَّبيعُ تكلَّمَتْ شفتاه؟
وهل الوجودُ أصولهُ عربيةٌ؟
وهل القصائد لم تَزَلْ ترعاه؟
وهل الحدودُ تفتّحتْ أبوابُها
وجَوَازُ من يمشي إليْها «الله!»

■■■

صارَ الجوابُ هو السؤالُ فجاذَبتْ
إحْدى النجوم حَديثَنا لِسِواه
ثَرْثَرْتُ.. لكنْ قد شعرتُ بأنَّني
ماقلتُ شيئاً واضحاً يهواه
فأدَرْتُ في حُزنٍ جَناحي، بَيْنما
قلبي يُجَرْجِرَ في الطريقِ شجَاه
هو قد بكاني حين رُحْتُ مودِّعاً
وأنا بكيتُ حَنينَهُ، وأساه
مازلتُ أَرْمُقهُ، ويَفْصِل بَيْنَنا
سَيْفٌ يحزُّ بخافقي حَدَّاه
حتىً اسْتَقرَّ بأدْمعي، وبفكرة
خضراء تُشْعِلُ دائماً ذكراه!

شعر: د. عبده بدوي

شبهات على طريق الأدب الإسلامي..

الرافعيّ: من أدب الـــذات إلـ

لماذا انصرف الشباب عن أدب الرافعي؟!

يقولون إن شيئاً في أدب الرافعي يجعله غامضاً وفوق مستوى العامة من المثقفين.

ونقول إن أشياء كانت في أدب العقاد وأشياء أخرى في أدب طه حسين تجعلهما أكثر غموضاً وأكثر ارتفاعاً عن مستوى العامة من المثقفين.

فلماذا كان إقبال الناس على العقاد وطه حسين أكثر من إقبالهم على أدب الرافعي؟

ولماذا أخذ العقاد وطه حسين حظهما في كل مناسبات التقدير والتبجيل على العكس من الرافعي..؟

إنني لاأجد هنا تفسيراً واحداً لهذا الأمر سوى أن الحقد العارم الذي مازال يأكل بعض الصدور على كل ماهو أدب إسلامي أصيل ورائع يعمل على أن يبعد أدب الرافعي وجهوده في صد التيار التغريبي الوافد عن فكر أبنائنا وشبابنا.

وماكان الانصراف عن أدب الرافعي وجهوده إلا من زاوية الانصراف عن الإسلام كله، بكل ماكتب فيه ومايكتب عنه بحيدة وعمق وإنصاف.

ويقولون لك أشياء أخرى بخصوص معارك الرافعي في الدفاع عن الإسلام.. يقولون: إن الرافعي أديب كان يرجو زعامة الشعر، فلما ضاعت منه راح يرجوها في النثر، فهو مجرد كاتب محترف سواء اعتقد مايقول أم لم يعتقده.

وأعجب كل العجب حين أجد تلميذ الرافعي الأستاذ محمد سعيد العريان يسقط تلك السقطة الشنيعة، فيتساءل في «حياة الرافعي» قائلاً: هل كان للرافعي خيرة في المذهب الجديد الذي ذهب إليه عندما شرع يكتب تاريخ آداب العربية؟

وهل كان يعني مايفعل حين انحرف عن الهدف الذي كان يسعى إليه في إمارة الشعر إلى المنحى الجديد في ديوان الأدب والإنشاء؟

هل كان عن قصد ونية أن يتخلى الرافعي عن أماني الشباب وأوهام الصبا ليقف نفسه على العربية وتراثها يستنبط أسرارها ويغوص على فرائدها وعلى الإسلام وأبطاله يكشف عن مآثرهم

دب الهـدف والرسـالة

بقلم الدكتور:
عبد الحليم عويس

وينشر آثارهم؟

ويجيب الأستاذ العريان على تساؤله قائلاً:

الحق أن الرافعي لم يكن له خيرة في شيء من ذلك، ولاكان يعنيه، ولاتوجهت نيته إليه، فلما كتب تاريخ آداب العربية، وإعجاز القرآن، ورأى صداهما في الناس، أحس بأن عليه رسالة يؤديها بين أدباء الجيل، وأن له غاية أخرى هو عليها أقدر، وبها أجدر، فجعل الهدف الذي يسعى إليه أن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه، وأن ينفخ في هذه اللغة روحاً من روحه يردها إلى مكانها ويرد عنها.. فكأن الأمر كان رد فعل انتهى بصاحبه إلى طريق ثبت رضا الناس عنه وإقبالهم عليه.. والأمر في رأينا ليس كذلك.

فالحق الذي أومن به أن الرافعي كانت له إرادة وخيرة في المذهب الجديد الذي سار في دروبه، وإلا فما معنى أن يكون اتجاه الرافعي إلى الإسلام والعروبة نتيجة إعجاب الناس بـ «تاريخ الآداب» و«إعجاز القرآن».. مامعنى هذا مع قول العريان نفسه «أحس أن عليه رسالة»، فالرسالة لاتأتي من إعجاب الناس، بل هي غالباً لاتعجب الناس، وإنما تأتي من القلب والشعور والضمير.

ثم مامعنى قوله أيضاً: «فجعل الهدف الذي يسعى إليه أن يكون لهذا الدين حارسه.. إلخ» وبما أنه ليس له اختيار، وبما أنه سار مع إعجاب الناس وفي شارع ثنائهم، فلا يمكن أن يكون الهدف «حراسة الدين أو اللغة» وإنما الهدف الثناء والتصفيق، وهو مايتناقض مع كلام العريان عن الرسالة والهدف، ويبدو أن «العريان» ـ رحمه الله ـ خانه التوفيق، فالرغبة في الثناء والرسالة والهدف لايلتقيان.. وفي ظروف كالتي عاشها الرافعي «تحت راية القرآن» لايمكن أن يكون الأمر إلا هدفاً ورسالة، تواجه غارة قوية على الكلمة المؤمنة والانتماء الإسلامي، أما أقوال العريان الأخرى عن إمارة الشعر وغيرها، ليصل إلى سلب الرافعي «الاختيار الواعي الحر» في اتجاهه إلى العروبة والإسلام، فذلك مايدحضه أكثر من دليل:

أولاً: ينسى أستاذنا العريان رحمه الله أن الشعر ونظمه غالباً مايكون بداية كل أديب، سواء صار بعد ذلك شاعراً أم لا، لأن الشعر أقدر الأوعية الأدبية على حمل الأحاسيس والمشاعر والعواطف، فاتجاه الرافعي إلى الشعر اتجاه فطري، أما اتجاهه إلى الإسلام فهو الاتجاه المتعمد، الذي صارع من أجله جيوشاً من الأهواء والنزعات.

ثانياً: لو لم يكن للرافعي ـ أصلاً ـ أرض إسلامية خصبة أكان يستطيع لمجرد إرادته أن يكون هذا الداعية الذي أيقظ الفكر العربي من سباته، ليوجهه وجهة صحيحة.. صوب دينه وحضارته!!

ثالثاً: كان الرافعي فيما يكتبه من رسائل للرد على الأستاذ محمود أبوريّة، يكتب كلمة «الداعية» ولم يكن يكتب كلمة «الأديب».

رابعاً: كان الرافعي نموذجاً صالحاً لكل كتاباته، ولم يكن ثمة بون شاسع بين حياته الشخصية وكتابته على النحو الذي نراه في المحترفين وأشباه المتاجرين والمنافقين.

خامساً: وكما قال العريان نفسه عن الرافعي: كان الهدف الذي جعله الرافعي لنفسه منذ يومه الأول هو أن يكون من هذه الأمة لسانها العربي، وأن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه، يدفع عنه أسباب الزيغ والفتنة والضلال.(!!!)

سادساً: صموده أمام العاصفة:

والناظر إلى التيارات الفكرية في حاضر الإسلام وفي ماضيه، يرى عجباً من الأفكار المستوردة من الغرب بشقيه الرأسمالي والشيوعي، وهي أفكار لم تحاول أن تظهر في ثوبها المفضوح، وإنما استطاعت إيجاد أثواب لها في شخوص بعض أبناء جلدتنا، ممن ينتسبون إلى الإسلام والعربية زوراً، لكن الرافعي ومعه ثلة قليلة وقفوا في وجه العاصفة، وأظهروا للناس في أسلوب بديع دين الله بحقائقه الرائعة ونظمه السامية، التي تفتقدها البشرية كلها في عصرها الحديث.

■■■

لقاء العدد.. مع:

علاّمة الجزيرة.. الشـ

كنت أحذر ماينهاني عنه مشايخي..

حمد الجاسر علاّمة الجزيرة العربية، وأحد رموز الثقافة، ليس في المملكة العربية السعودية فحسب بل في العالم العربي، وصاحب مؤلفات وبحوث كثيرة، احتذاها الباحثون والدارسون في دراساتهم، عمل أول حياته في التدريس والتعليم، ثم عمل زمناً في الصحافة، فأصدر أول صحيفة في الرياض «اليمامة» سنة ١٣٧٢هـ، وأنشأ أول مطبعة في الرياض عام ١٣٧٤هـ، ثم انصرف للتأليف والتحقيق والنشر، وهو مؤسس صحيفة الرياض ١٣٨٥هـ، وهو صاحب مجلة «العرب»، التي تخصصت في تاريخ الجزيرة العربية وآدابها، وصدر منها ٣٤مجلداً منذ إصدارها عام ١٣٨٦هـ.

اشتهر بترحاله من أجل الوقوف على المخطوطات في مكتبات العالم، وقد صدرت ثلاثة مجلدات عن رحلاته هذه، وهو عضو في مجامع اللغة العربية، ونال تكريم عدة جهات، وحصل على جوائز عدة، أما مؤلفاته وبحوثه فهي كثيرة، وقد حصل بها على شهرة عالمية، وأصبح مرجعاً يقصده

...حمد الجاسر

...م حبي الشديد للاطلاع

أو يراسله الباحثون من أنحاء العالم، ولايتسع المجال للحديث عنها وحسبنا أن نشير إلى أن مكتبة الملك فهد بالرياض أصدرت عام ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م إصداراً بعنوان «حمد الجاسر: دراسة لحياته مع ببلوجرافية شاملة لأعماله المنشورة» في ٢٥٧صفحة، وصدر له بعد ذلك مؤلفات وبحوث كثيرة، يصدق عليها ماقاله د. على جواد طاهر في معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية «١/ ٥٣٥»: «إن المعجم لايكاد يلحق - أو يلاحق - نشاط الشيخ حمد الجاسر في البحث والنشر ونقد التحقيق».

إن الأستاذ حمد الجاسر غني بجهوده العلمية عن كل تعريف، ومهما كتبنا فلن نوفيه حقه لقاء جهوده في خدمة الثقافة ومحبيها، وتشجيعه للعلم وطلابه، وقد رأت «مجلة الأدب الإسلامي» أن تسعد قراءها بإجراء حوار صريح معه، فكان هذا الحوار الذي سيجد فيه القارئ صراحته المعهودة في كل مايتعلق بالثقافة في خدمة الأمة.

أجرى الحوار:
د. عائض بنيّة الردادي

حاولت الاقتصار ـ في إحدى مراحل حياتي ـ على الجانب الـ

■■ **هل يمكن أن تلخصوا أهم المراحل التي أثرت في مسيرة حياتكم؟**

●● أهمها حين انتقلت إلى مكة المكرمة آخر عام ١٣٤٨هـ ثم التحقت في المعهد في أول عام ١٣٤٩هـ حتى تخرجت فيه سنة ١٣٦٤هـ متخصصاً في القضاء الشرعي، ومدرسونا في المعهد إذ ذاك منهم المصريون والمكيون والنجديون، فمن مشاهير المصريين الشيخ محمد بن عبدالرزاق حمزة، والشيخ إبراهيم الشورى، ومن مشاهير المكيين الشيخ محمد صادق ابن ماجد الكردي والشيخ علي جعفر، ومن النجديين الشيخ محمد ابن عثمان الشاوي، والشيخ محمد ابن علي البير وغيرهم.

كانت دراستي الأولى في الرياض على مشاهير علمائها منذ سنة ١٣٤٦هـ ومابعدها، كالشيخ سعد ابن حمد بن عتيق قاضي الرياض للبادية، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ قاضي الرياض للحاضرة، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف، والشيخ محمد بن عيّاف آل مقرن، وكان التعليم إذ ذاك محصوراً في العلوم الدينية، فقد كان علماؤنا يغارون علينا أشدّ الغيرة من أن تتأثر عقائدنا، وينهوننا عن مطالعة الكتب التي لاتعنى بدراسة العقيدة السلفية المستقاة من منابعها الصافية؛ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويرون عدم الاطلاع على ماعدا المؤلفات التي أُثرت عن المحققين من العلماء كالشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وقبله الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وتلميذه ابن القيّم والحافظ الذهبي، وابن كثير وأمثالهم، ويكررون لنا حفظ أبيات من الشعر المأثور في ذلك لابن القيم في نونيته وغيره، ولم يكن يرد إلى مدينة الرياض شيء من الكتب الحديثة، وإنما ترد صحف وجرائد للديوان الملكي، وقد لاتجد من يعنى بها، فقد كنت حين أذهب إلى القصر لتسلم مخصصي الشهري من الشيخ حمد بن فارس ـ رحمه الله ـ أمر بجانب من «الحوش» مكدسة فيه الأوراق المطروحة من الديوان، وأكثرها من الجرائد في أغلفتها لم تفتح، وكنت إذ ذاك طُلَعَةً، أحب أن أطلع على كل مايقع تحت يدي، إلا أنني كنت شديد الحذر مما ينهاني عنه مشايخي.

فلما التحقت بالمعهد وكان في أول الأمر يديره علامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار ـ رحمه الله ـ وكان ذا ثقافة واسعة، فما كان طلابه يجدون منه شدة في النهي عن الكتب الحديثة، أو الصحف، وكان ملمّاً إلماماً واسعاً لما يعرف إذ ذاك باسم الثقافتين «الصفراء والبيضاء» ويقصد بالثقافة الصفراء مؤلفات علماء السلف لأنها تطبع في الغالب على أوراق ليست ناصعة البياض، أما البيضاء فيعني بها الثقافة الحديثة، وللشيخ البيطار ـ رحمه الله ـ رسالة بعنوان «ملتقى الثقافتين الصفراء والبيضاء» وكان على جانب كبير من سعة الخلق، لم أره يوماً ما متأثراً، أو غاضباً، بل كان يقابل طلابه برحابة صدر، وبسعة خلق عند سؤالهم عن بعض أمور قد يرى فيها غيره خروجاً عن المألوف، ثم تولى الإدارة بعده الشيخ إبراهيم الشورى «مصري»، وهو وإن كان من ناحية الاطلاع على كتب السلف أقل إدراكاً من الشيخ البيطار، إلا أنه لديه إلمام وحرص ومواصلة مطالعة.

أما في الثقافة الحديثة، فكان متخصصاً فيها، وخاصة شئون التربية والتعليم، وأذكر أن جريدة «أم القرى» نشرت له بحثاً متسلسلاً بعنوان «تربية الأبناء ورقي الأمة». ومن المدرسين شيخنا الجليل الشيخ محمد بن عبدالرزاق حمزة، وكان واسع الاطلاع على الثقافة الحديثة، وهو سلفي العقيدة من تلاميذ الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ وكان هذا الشيخ يتولى تدريسنا في الحديث النبوي وفي الإنشاء، فكان يحثنا على مطالعة كل مايقع تحت أيدينا من الكتب والصحف والجرائد.

وكانت الصحف التي ترد إلى مكة من مصر محدودة، منها «الهلال» و«المقتطف» و«المنار» ومجلة «الفتح» وصحف أخرى قليلة، فكان طلاب المعهد يتلقفون مايقع في أيديهم من هذه الصحف ويتداولونه بينهم، ويتناوبون قراءته، وقد يستفسرون

ي لأني رأيت فيه مايستلزم العناية به.

من الشيخ محمد بن عبدالرزاق عن بعض ماقد يقرأون، وكان يقابلهم برحابة صدر وسعة خلق، وقد يُبْدي سروره لذلك.

من هنا أحسست تغيراً بارزاً في مسير حياتي، فبعد أن كنت على جانب كبير من التشدد فيما سبق أن أوضحته، بدأت أطالع الكتب الحديثة والصحف، ووجدت بينها ماتمكنت من فهمه وهضمه دون الرجوع إلى ماأسترشد به، أحسست بهذا التأثر بل بدأت فعلاً أعبر عن هذا الإحساس بمحاولة الكتابة في بعض الموضوعات التي قد أجد من بعض الصحف مجالاً لنشر القليل منها، وإهمال الكثير، ولكن هذا كان من الحوافز لي على الاستمرار في هذا الجانب، حتى أصبحت أواصل بعض الصحف التي تصدر خارج البلاد، فبينما كنت لاأتناول فيما ينشر لي من صحفنا سوى الجانب الأول من حياتي مما كان متأثراً بما تلقيته عن مشائخي، إذا بي أخرج إلى مجالات أرحب، فاكتب عن وصف الأمكنة «الجغرافية» وعن بعض الحوادث التاريخية، وقد انخدع بما أراه لزملائي منشوراً في بعض صحفنا من نظم فأحاول تعاطي هذا النوع من الأدب، وقد تنشر لي بعض الصحف شيئاً من هذا، لاأكتم القارئ أنني حين أطلع عليه الآن أخجل من نفسي، كيف سمحت أن ينشر لي هذا الهذيان، إلا أن طبيعة النفس البشرية وخاصة الإنسان في مقتبل عمره يهوى البروز، وتدركه الغيرة من زملائه فيحاول تقليدهم.

لأَدَعَ هذا وأقرر أن الشيخ محمد حسن كتبي - ختم الله لي وله بخاتمة السعادة - وغيره من الأسباب التي دفعتني إلى توسيع دائرة تفكيري بمطالعة مايقع تحت يدي من كتب وصحف.

تلك هي المرحلة الثانية من مراحل حياتي التي استمرت حتى العهد الحاضر، حيث رأيت أن إدراك الإنسان محدود، وعمره مقدر لايتجاوزه، وطاقته لاتستوعب مايريد، ورأيت أن من أسباب نجاح كثير من العلماء اتجاههم إلى ناحية من نواحي العلوم، ومحاولة الإجادة فيها، وعدم إشغال أذهانهم وأفكارهم بعلوم أخرى، لايجدون في نفوسهم من ميول أو رغبات لإدراكها، وفهمها على وجهها الصحيح، فكان أن حاولت الاقتصار على الجانب الجغرافي، وقد رأيت فيه - في أول الأمر - مايستلزم العناية به، لأن الله ذكر أسماء مواضع في القرآن الكريم، ووردت أسماء أخرى في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام في مسيره إلى المدينة، وفي غزواته كثير من ذلك، وكلها بحاجة إلى دراسة توضحها، لارتباطها القوي بتفسير القرآن الكريم، وبمعرفة السنة النبوية المطهرة معرفة تامة، إذ سيرته صلى الله عليه وسلم تعد من أهم الجوانب التي توضح حياته.

وكان مما حققت من الكتب المتعلقة بهذا الجانب كتاب «الأماكن» للإمام الحافظ محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤) وهو من علماء الحديث، له في ذلك مؤلفات أشهرها كتاب «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار» قال عنه ابن العماد الحنبلي: لم يصنف في فنه مثله، وقد طبع الكتاب مراراً، وقال في مقدمة كتابه «الأماكن»: (وبعد فهذا كتاب أذكر فيه ما اتفق لفظه وافترق

تأثرت الاتجاهات العامة للثقافة العربية في البلاد العربية

مسماه من الأمكنة المنسوب إليها نفر من الرواة، والمواضع المذكورة في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه، وقطائعه، ومغازي أصحابه والولاة بعدهم مرتباً على حروف المعجم).

كما حققت كتاباً آخر في الموضوع لنصر بن عبدالرحمن الإسكندري المتوفى سنة ٥٦١ تقريباً هو أصل كتاب الحازمي وهو معد للنشر.

وألفت وحققت كتباً أخرى موضحة في (قائمة مطبوعات دار اليمامة) لاداعي لذكرها.

■■ من المعروف أن إنتاجكم غزير جداً، ولعلكم تذكرون للقراء أهم كتبكم الأدبية؟

●● اتجاهاتي الأدبية قليلة جداً، قد يكون أبرزها مادونته في مجلة «العرب» التي أكملت ولله الحمد عامها الرابع والثلاثين في أربعة وثلاثين مجلداً، ولكن ماأرتاح إليه هو ماشغلت به آخر حياتي، وهو العناية بتحقيق المواضع الأثرية التاريخية بصفة عامة، ومنها المواضع الواردة في أشعار المتقدمين، إذ تلك الأشعار عليها المعول في فهم اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، فكان أن فكرت في تأليف «معجم جغرافي» تاريخي شامل، لجميع المدن والقرى والأماكن المعمورة في المملكة العربية السعودية تحديداً، وتاريخاً قديماً وحديثاً ووصفاً، ودعوت إلى هذا من الإخوان من يحس في نفسه مقدرة واستطاعة، وأبديت استعدادي في بذل المساعدة بقدر ماأستطيع، فكان أن استجاب لهذا الأمر عدد منهم، مؤلفاتهم معروفة، وكان أن قمت بتأليف القسم المتعلق بـ «المنطقة الشرقية» «البحرين قديماً» فصدر في أربعة مجلدات، وقسم «شمال المملكة» صدر في ثلاث مجلدات، وقمت برحلات متعددة لمحاولة تحقيق مواضع ذات صلة قوية بالتاريخ الإسلامي، وبمنازل القبائل العربية في صدر الإسلام، فألفت عن ذلك كتابين هما «في شمال غرب الجزيرة» و«في سراة غامد وزهران» منذ فترة، وتمكنت من الاهتداء إلى أمكنة غمض على بعض المتقدمين تحديدها، ولي أبحاث أخرى واسعة في هذا الجانب، ومنها مالاأزال أواصل الكتابة فيه في مجلة «العرب» بعنوان «التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار»(١)، حاولت أن أنبه على ماوقع في مؤلفات العلماء المتقدمين من أوهام لامن قبيل الانتقاص لهم، فلهم الفضل الأول في كونهم فتحوا الباب، ومهدوا الطريق، وقربوا المصادر، وإنما لتنبيه المعاصرين على أن هذه المؤلفات كغيرها مما قال عنه الإمام مالك بن أنس «كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر» مشيراً إلى قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وقول الله عز وجل أولى ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾(٢) والمتقدمون كثيراً مايوردون أقوالاً أصبحت غير صالحة لهذا العصر، كأن يقولوا مثلاً:

١ـ البلد الفلاني من منازل بني يربوع أو بني كلاب أو بني قشير، فأين هؤلاء الذين نسب إليهم المكان؟ وأين البقعة من الأرض التي كانوا يسكنونها؟

٢ـ أو يقولون: الجبل الفلاني بين مكة والبصرة، وجزيرة العرب جلها بين مكة والبصرة.

٣ـ أو يحددون الموضع بمسيرة كذا ميل، أوكذا ليلة.. وقد تغيرت قياسات المسافات، وأصبح التحديد بمثل تلك الأمور لايفيد.

أما عملي فكنت أحاول أن أحدد الموضع بمسافة جهته وبعده أو قربه من مدينة مشهورة، أو بيان موقعه حسب درجات الطول والعرض، وهي درجات يدركها كل مثقف.

الأدب الجغرافي

■■ أطلق المستشرق «كراتشكوفسكي» مصطلح «الأدب الجغرافي» ماقولكم في هذا المصطلح وأنت من أكبر المهتمين بكتب البلدان.

●● لعل هذا المستشرق لاحظ أن أبرز مظهر للأدب الجغرافي المتعلق بتحديد الأمكنة وهو الشعر أو أقوال المتقدمين دون تحديد يرتكز على الطبيعة، فعبر عنه هذا التعبير، فعد

ب العلمي.. فتغيرت سيرة الحياة بعامة.

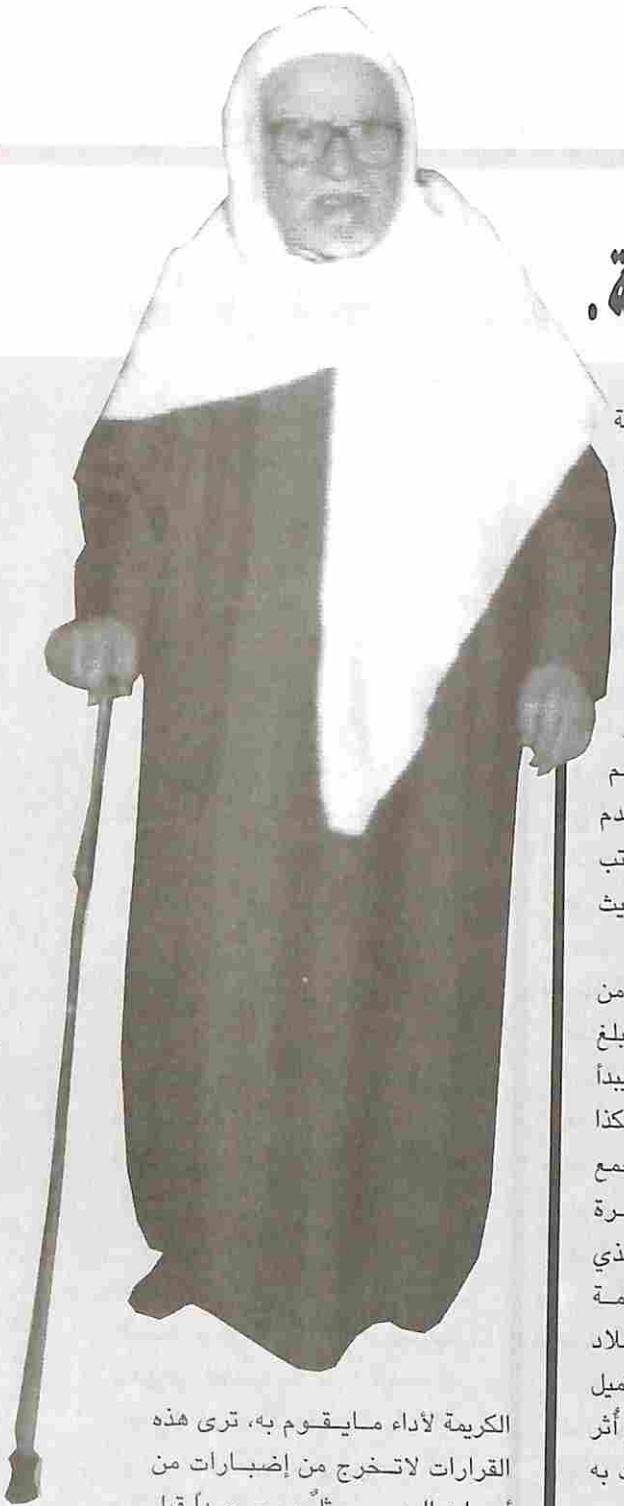

الأدب فرعاً من فروع الجغرافيا، وهذا يصح فيما لوقيل: إن أكثر الكتب التي ألفها المتقدمون يتعلق بتحديد أمكنة وردت في الكتب الأدبية والتاريخية، وإلا فمن المعروف أن الدراسات الجغرافية وإن اتصلت بالناحية الأدبية فهو اتصال نسبي، ومنها ما اتجه اتجاهاً جغرافياً بحتاً دون أن يكون له صلة بالأدب، مثل كتب المسالك والممالك.

ومعروف أن المستشرقين بصفة عامة ليسوا متمكنين من فهم الثقافة العربية، والتمييز بين فروعها، ولهذا فلايستغرب منه ولامن غيره أن يأتوا بمدلولات حسب أفهامهم لبعض أنواع هذه الثقافة يخالف ماهو معروف، مع أن هذا المستشرق بالنسبة لدراسته للمؤلفات الجغرافية عبر عن اطلاع واسع عليها، وأتى بآراء سديدة فيما أوضحه في كتابه المعروف.

■■ مارأيكم في عمل مؤتمر المجامع اللغوية الذي تحضرونه وماذا أدى من خدمة للغة العربية التي تغزى بدعاة العامية وبما يدخل عليها من الألفاظ والمصطلحات الأجنبية؟

●● انضممت إلى «مجمع اللغة العربية في القاهرة» عضواً عاملاً منذعام ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م)(٣) إلى هذا العام، وكان المجمع إذ ذاك على حالة من النشاط والقوة والاتجاه لتحقيق غاياته التي أهمها الحفاظ على لغة القرآن الكريم، لصيانة كيانها من العبث، وتيسيرها بحيث يسهل استعمالها وتعريب مايستجد من كلمات الحضارة تعريباً يتفق مع الأسس والقواعد التي وضعها علماء التعريف.

ولمجمع اللغة العربية في هذا السبيل جهد ينبغي أن يذكر فيشكر، إلا أن لما يعرف باسم «الروتين» الأثر القوي في عدم انتشار مطبوعاته من مقررات وكتب وغيرها في تلك الفترة، بحيث أصبحت حبيسة المخازن.

ومن المدرك بداهة أن كل عمل من الأعمال يبدأ ضعيفاً حتى يبلغ مرحلة من القوة لايتجاوزها ثم يبدأ في الضعف شيئاً فشيئاً، وهكذا طبيعة كل الأعمال، ومنها هذا المجمع الذي أصبح في السنوات الأخيرة يحاول السير على النهج الذي رسمه، غير أن الاتجاهات العامة للثقافة العربية في جميع البلاد الإسلامية اتخذت وجهة أخرى تميل إلى التأثر بالجانب العلمي الذي أُثر في أغلبه عند الغربيين، مما تغيرت به سيرة الحياة العامة.

وإذن فلا بدْعَ إذا رأينا هذا المجمع يحدث فيهِ من أسباب الخلل ما يسبب له الضعف، وليس أدل على ذلك من أن قراراته التي اتخذها منذ فترة طويلة، وأبلغ بها وزراء الإعلام والتعليم العالي والمعارف في جميع البلاد العربية فيما رآه من الأمور التي يرى فيها حفاظاً على اللغة الكريمة لأداء مايقوم به، ترى هذه القرارات لاتخرج من إضبارات من أرسلت إليهم، ومثلٌ يسير جداً قبل نحو عشرين سنة، قرر المجمع صيانة لنطق كلمة لغوية سارت على الألسن ملحونة، وهي كلمة «مئة» حيث تنطق «مَاية» عند كثير من المثقفين، فقرر بأن يسار في كتابتها على الطريقة التي رسمتها القواعد العربية وهي: أن كل همزة في وسط الكلمة مكسور ماقبلها تكتب على

لنا من آدابنا الإسلامية العربية الصحيحة مايغنينا عن المبتدع

نبرة «أي ياء» مثل «رئة» و«فئة» و«مئة» ولعل القارئ يعجب بأن هذه الكلمة تكررت في صحافتنا، لا أقول مئات المرات بل أكثر من ذلك في الفترة الأخيرة، ومع ذلك قل أن تجد من يكتبها بالطريقة الصحيحة سوى ماينشر في مجلة «العرب» أو لصاحبها.

أما الدعوة إلى العامية فلاشك أنها من وسائل هدم اللغة العربية والقضاء عليها، وأول من دعا إلى ذلك أناس من الغربيين الذين لايعنيهم من أمر العربية شيئ أو من مقلديهم عن جهل وعن عدم إدراك لغاياتهم.

ومن المؤسف أن تلك الدعوة وجدت بين أحبتنا وإخوتنا من أعضاء المجمع اللغوي في القاهرة من يحبذها.

أما سبب هذا فهو أن هؤلاء الإخوة المحبذين لاستعمال العامية يرون السير على الأيسر في التخاطب، وهم في الغالب يجهلون الغاية التي أنشيء المجمع لتحقيقها، إذ أغلبهم ليس من المتخصصين في هذه اللغة، ولا أتهمهم بسوء القصد، وإنما بعدم إدراك الحقيقة ومجاراتهم للحياة العامة المتأثرة بالمخترعات العلمية الحديثة، التي تكاد تقضي على كل ماهو متعارف في جميع اتجاهات حياة الإنسان.

ولايزال بعض مجامع اللغة العربية وخاصة مجمع اللغة في عمّان يبذل جهدا قويا بارزا في مجال اختصاصه من حيث الحفاظ على اللغة العربية، إلا أن مما يؤسف أن جهده هذا لايزال في دائرة ضيقة.

لا أريد التوسع في الحديث عن مجامعنا، فهي والحق يقال في أول أمرها بذلت في سبيل ما أنشئت لأجله من الجهود المتميزة المشكورة ما هو معروف، ومن ذلك مجمع دمشق، الذي أنشيء في أول الأمر في آخر عهد النفوذ التركي للاستعاضة عن لغة أولئك بلغة عربية فصيحة، فقام علماء الشام كـ (محمد كرد علي) و (خليل مردم) و (محمد بهجة البيطار) و (عبدالقادر المغربي) وإخوانهم فمَن قبلهم، فبذلوا الوسع حتى استطاعوا تعريب لغة الدواوين، كما اتجه هذا المجمع بنشر طائفة من الكتب التاريخية والأدبية، تعد من مصادر الثقافة العربية بصفة عامة.

ولايزال هذا المجمع الكريم يوالي عمله وفق إمكاناته، فمجلته أكملت اثنين وسبعين مجلداً، وتعد هذه المجلة من أوثق مصادر الدراسات العامة عن الثقافة العربية من تاريخ ووصف مؤلفات وتراجم ونقد كتب وغير ذلك، بحيث ليس من المبالغة أنها تعد دائرة معارف في موضوعها متى أمكن وضع فهارس لها منظمة، وهذا ما علمت بأن الأستاذ الكريم الدكتور شاكر الفحام رئيس هذا المجمع يعنى به.

ويقوم هذا المجمع بنشر كثير من أمهات كتب الأدب والتاريخ ودواوين الشعر بطريقة حسنة وهو منذ سنوات يواصل إصدار «تاريخ دمشق» للحافظ بن عساكر، وهذا التاريخ كما يفهم من اسمه ليس تاريخاً خاصاً لمدينة دمشق، بل هو تاريخ عام لأعلام المسلمين منذ أن أصبحت هذه المدينة قاعدة للخلافة في عهد معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ إلى عهد الحافظ ابن عساكر.

■■ ماهي نصيحتكم لطلاب العلم بعامة وللأدباء الناشئين بصورة خاصة؟

●● لم أبلغ درجة من يتصدى للنصح والإرشاد، فأنا معنيٌ بخويصة نفسي بذلك، ولكنني أتمنى لطلاب العلم بصفة عامة أن يدركوا أن الحياة تقوم على أساسين: حياة مادية تُعنى بالجسم ومستلزماته، وقد توافرت لها جميع الأسباب والوسائل، وأكثر اتجاه طلاب العلم في هذا العصر منحرف إلى الاشتغال بما يتصل بتلك الوسائل من العلوم المادية والاشتغال بها أمر مطلوب في حدود ما يوفر للفرد وللأمة حياة قوية من جميع نواحي القوة علماً وعملاً واستعداداً وقوة وكفاحاً، ولكن يجب ألا يطغى هذا الجانب على جانب آخر وهو الأساس الثاني، وأعني به الجانب الروحي، فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق لغاية أشرف وأجل من حياتهم الحاضرة، هي العمل للدار الآخرة،

الحديثة التي استهوت فئة من شبابنا.

ولهذا فلا يجوز للعاقل أن ينصرف عن هذا الجانب وأن يهمله، إذ بإهماله إهدار لما خلقه الله له، ولما أوجبه عليه، وهو الاستعداد للميعاد بالأعمال الصالحة، وليس المراد هنا بأن يطغى هذا الجانب، بحيث يهمل الجانب الذي قبله، فالإسلام أتى للعمل بهذين الأمرين، إلا أنه فضل الجانب الروحي، إذ به تتصل سعادة المرء عند انتقاله إلى الحياة الأخرى، وكما هو مطالب بأن يؤدي ما يجب عليه نحو هذا فهو أيضا مطالب بأن يهتم بجميع الأمور التي تكفل لأمته حياة سعيدة لكي تؤدي واجباتها في صيانة دينها وأخلاقها والحفاظ على كرامتها.

وأتمنى لأدبائنا الناشئين بصفة خاصة ألا ينخدعوا بما يزيفه الغربيون من بهارج فتخدعهم، وهي في الواقع كسراب بقيعة، فلنا من آدابنا الإسلامية العربية الصحيحة ما يغنينا عن هذه المبتدعات الحديثة، التي انتشرت في عالمنا الإسلامي العربي، واستهوت طائفة من شبابنا ممن لم تسبق لهم دراسة واسعة في العلوم والآداب الإسلامية، فكان أن انحرف أو تأثر بعضهم بما طرأ على واقع أدبنا العربي من تأثير هذه المذاهب الغربية مما نرى بعضها يهدم بعضاً.

■■ قامت الدعوة إلى الأدب الإسلامي لتقف أمام تيار المذاهب الأدبية الدخيلة، التي تصدر عن معتقدات «أيديولوجيات» بعيدة عن الإسلام ومضادة له، ما رأيكم في هذه الدعوة مع أنها تعتمد لغة القرآن لغة أولى للأدب الإسلامي، وتعد الأدب العربي محضنه الأول، كما تعتمد القرآن والسنة النبوية مرجعية لهذا الأدب الإسلامي؟

●● لاشك أن الدعوة إلى الأدب الإسلامي للوقوف أمام تيار المذاهب الأدبية الدخيلة الصادرة عن معتقدات بعيدة عن الإسلام هي دعوة إلى مايجب توجيه ناشئة الأمة، بل كل أدبائها ومثقفيها إليه، بل إن محاولة الحيلولة دون تأثير تلك الأفكار والمذاهب الغربية في حياة الأمة الإسلامية بكل وسيلة ممكنة من أوجب الواجبات على كل مسلم.

ولاشك أن الأدب الإسلامي وهو الأدب العربي بصفة عامة الذي يعتمد اللغة العربية التي نزل القرآن الكريم بها هو النهج الحميد الذي يجب السير عليه متى صحت أصوله وقواعده المقتبسة مما جاء به القرآن الكريم، وما أثر في السنة النبوية.

ولكن الذي أحب أن ألفت إليه النظر هو محاولة أن لاتكون الدعوة سبباً من أسباب تضييق مدلول الأدب، وإخراج ماليس إسلاميا منه، إذ في هذا الأمر من التضييق ما أراه مؤثراً على الاستجابة لتلك الفكرة؛ فسلفنا الأول الصالح ماكانت صدورهم تضيق من الرجوع إلى شعر ما قبل الإسلام، والاستدلال به عندما يسألون عن معنى آية كريمة أو حديث نبوي، فيستدلون بقول شاعر معروف بخلاعته وفسقه، كامرىء القيس وعمر بن أبي ربيعه وغيرهما، وقد ينشدون شيئاً من أشعار أولئك في محافلهم ومجالسهم.

ولو جرى تضييق هذه الدائرة لأخرجنا كثيرين من الأدباء والشعراء قديماً وحديثاً، بل ليس من المبالغة القول بأنه لايبقى لنا إلا أقل

القليل، والتوسط في الأمور أيا كانت، هو الأمر المحمود في كل شيء.

■■ مارأيكم في مجلة الأدب الإسلامي التي تعد المنبر الأول للشعراء والكتاب والنقاد الإسلاميين؟

●● إنني أُسر بكل رافد من روافد الثقافة العربية متى أحسست فيه بنبل الغاية وحسن القصد وسلامة الأسلوب، وأقصد بهذا سيره على النهج العربي الفصيح، وهذه الأمور مما رأيتها ممثلة في هذه المجلة الناشئة القوية حقاً، في أبحاثها ومظهرها، وحسن اتجاه القائمين بها، وإن كان يؤسفني أنني أصبحت في أيامي الأخيرة قليل المطالعة لتقدم سني وضعف بصري.

والله أسال أن يتولى القائمين بها لتحقيق ما يطمحون إليه من آمال في خدمة أمتنا ولغتنا وأدبنا بصفة عامة.

■■ الحواشي:

(١): «العرب» ـ س٣٠ ص٤٣٤ ـ ومابعدها.

(٢): سورة (النساء) الآية ٨٢ـ

(٣): «العرب» ـ س٦ ص٥٧٠ ـ ومابعدها فهو خاص عن (المجامع اللغوية)

أمي الغالية.. كنت أعيش في أحشائك فلا تبخلين عليَّ بشيء، واليوم أريد منك مايسعد حياتي فهل أنت فاعلة...

شعر:
أم البراء

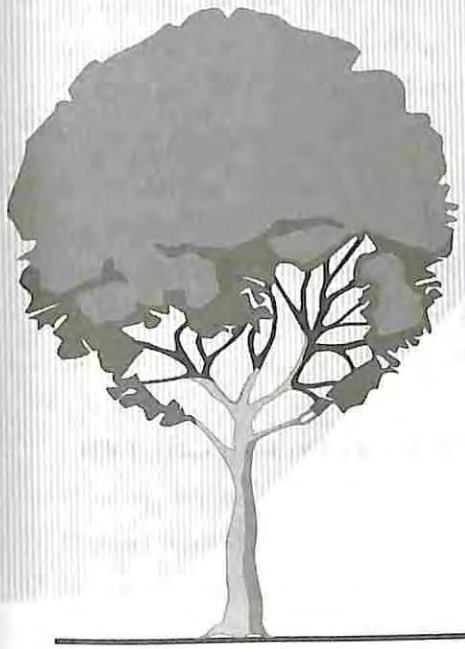

رسالة.. إلى أمي

أمـاهُ قلبي في الحـيـاة يعـاني
وترنُّ أشـعـاري بلا أوزانِ
قد كنتُ أحيا في الحشا متنعماً
بين الضلوعِ، وذا الجنانُ حواني
فـأنا أبادله الودادَ بخـفـقـة
أو ركلـة من عـاشقٍ ولهـانِ
وأتيتُ يـاأمـاه.. أرقبُ دفـقـةً
من نـفـسك الملآى بكلِّ حنان
ولمستني بـيـدَيْ فؤادكِ رحمةً
وتبسمتْ شفتاك عن إحسانِ
كم غازلتْ عيني عيونَك خلسةً
ورأيتُ فيكِ جمالَ كلِّ حِسانِ
كم ضمة للصدر تُفْرِحُ مُهْجتي
كم رضعة تروي بغير توانِ
وظللتُ أسعد بالحياة منعَّماً
حتى أتاني من صروف زماني
وأفقت في أحضان أُمٍّ واله
وأكفُّها خُلقتْ لآخر ثانِ
هي ذاتُ قلبٍ مشفقٍ متلهف
هي ذاتُ صدرٍ دافئ الأركانِ
هي ذاتُ كف ناعمٍ لكنها
حُبلى وتحملُ أثقل الأحزانِ

هي فارقتْ ولداً يفيض بعبرة
هي أسبلت دمعاً بكل أوان
أماه.. أنتظرُ اللقاءَ بلهفة
وأظلُّ أصرخُ مقبلاً بحنان
أهْوي بنفسي من يديها صارخاً
فتقبّلين.. وتتركين مكاني
وتُسارعين إلى الفراشِ كأنني
طفلٌ يتيمٌ في الحياة يعاني
وأظلّ أبكي ثائراً متألماً..
وتظل خادمتي تهز ثوان
حتى إذا ما النومُ غالبَ أعيني
قامتْ إلى الأعمالِ وهي تراني
ترنو إليَّ.. بنظرة ملهوفة
تتذكر الولدَ البعيدَ الداني
ياليت أنك كالفراش ضممتني
ضم اللحاف لجسمي الوسنان
ياليتني.. مثل الحقيبة إنها
محروسةٌ من ساعدي وبناني
أماهُ سُحقاً للمدارس إنها
قتلتْ أمومتنا.. بغير سنانِ

دراسة شعرية..

الحرم في شعر إقبال

لقد كان العلامة الدكتور «محمد إقبال» شاعر الإسلام في أصح معاني الكلمة وأدقها، وهذه الدعوى ليست بلا دليل، أو دون ما يسوغها من الشواهد؛ فقد نشأ شاعر الإسلام في أسرة محافظة متحمسة للدين، وفي أحضان أبويه الصالحين، وترعرع في جو إسلامي، وكان يختلف بين المسجد والكتاب، وقد تعلم القرآن الكريم، وأوصاه أبوه حين رآه مشغوفاً بتلاوة الكتاب العزيز قائلاً: «اقرأ القرآن ياإقبال وكأنه ينزل على قلبك، أو كأنك بين يدي ربك وتناجيه»(١)

تعلم إقبال مبادئ الإسلام وعقائده، واطلع على تاريخه وثقافته، وجمع الكثير من المعلومات القيمة عن الموضوعات الدينية، وهو محاط بهذه البيئة الصالحة المتحفظة من الكُتّاب والمدرسة، يقرأ على والده المحافظ على دينه، أو أستاذه المربي الفذ الشيخ «ميرحسن» السيالكوتي الذي أدبه فأحسن تأديبه، وثقفه ثقافة إسلامية شاملة، جعلت منه إقبال المستقبل، إقبال الإسلام والمسلمين جميعاً(٢).

وقد ساعدته هذه الدروس التي تلقاها على أبويه الصالحين وعلى مربيه الفاضل، وما جمعه من المعلومات القيمة الواسعة عن فهم الإسلام فهماً جيداً وإدراكه لما فيه من المعاني والمفاهيم والعقائد والأفكار، فعبر إقبال عن ذلك كله في شعره وفكره، وذلك ما جعل بعض المؤلفين «الإقباليين» يقول: **إن شعر إقبال وفكره إنما هو من مغزى الإسلام وجوهره، فمن لم يستطيع أن يدرس الإسلام في مراجعه ومصادره على نطاق أوسع فعليه أن يدرس شعر إقبال وفكره فإن ذلك هو أقصر الطرق وأسرعها نحو فهم الإسلام وإدراك مافيه من المعاني والأفكار**(٣).

فمن الموضوعات الدينية التي أولاها إقبال اهتمامه الخاص، والتزامه بإبراز خصائصها ومعانيها وأسرارها ورموزها في شعره وفكره، بيت الله الحرام الذي هو قبلة الإسلام ومحوره، ومركز المسلمين ورمز وحدتهم، وقد تناول إقبال العديد من جوانب البيت المحرم ودوره في حياة المسلمين وسلوكهم، فأبدى فيها رأيه وعبر عنها في شعره فابتكر المعاني والأفكار التي تستحق الاهتمام وتدعو إلى دراستها والاطلاع عليها.

ولم يتح لإقبال أن يحج البيت فيطوف حوله ويسعى بين الصفا والمروة أو يقف في عرفات، ولكنه أراد أن تكون فريضة الحج مرحلة من المراحل في حياة المسلم، تغيره تغييراً شاملاً، ولايعود كما ذهب إلى مكة المكرمة، ويجب أن يؤثر البيت في شخصية الحاج وسيرته، وذلك لايمكن إلا إذا حج المسلم وقلبه يتدفق حباً وإيماناً، وقد ملأه خوف الله وخشيته، وأن ينسى الدنيا ومافيها، ويكاد حبه لله الشديد يبلغ مبلغ الجنون، أنظر إليه كيف يريد أن يطوف حول بيت الله الحرام، إذا أتيح له ذلك:

قد ظل إقبال «في خياله» يطوف حول بيت الله الحرام بكل حماسة ونشاط، وكاد يجن في حب الله الشديد إلا أنه يحمد الله ويشكره إذ استطاع أن يتغلب على عواطفه ولم يرتكب مايخالف الشرع!.

وله قصيدتان شعريتان قد أبدعتهما عبقريته الفذة، وسخت بهما قريحته البارعة، وهما من روائع شعره، وقد تركتا أثراً بالغاً للغاية، ليس في الآداب الأردية فحسب بل في الآداب العالمية على أوسع نطاق، وقد أثارتا ضجة في حينهما على المستوى الديني في أقاصى الهند وأدانيها، وقد سمى الشاعر إحداهما «**الشكوى**» والثانية «**جواب الشكوى**» وقد ترجمهما إلى العربية شعراً الشيخ الصاوي علي شعلان المصري - رحمه الله - وسمى ترجمته «حديث الروح» وهي ترجمة رائعة تعبر عن الأصل الأردي تعبيراً صادقاً

ـــــال

بقلـــم الدكتور
ظهـــور أحمد أظهـــر*

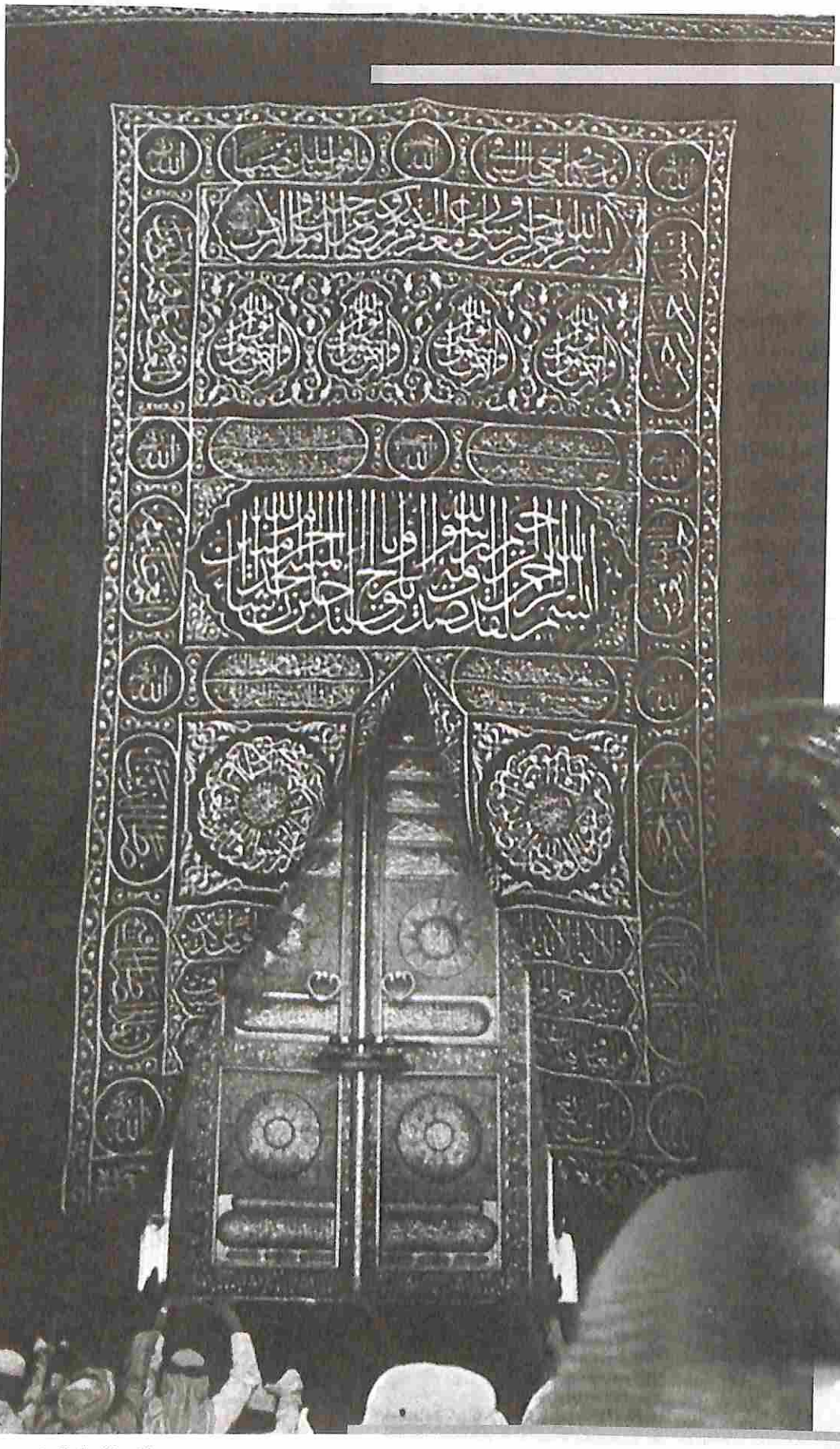

الحرم في شعر إقبال

وجميلاً، يقول فيها:

حديث الروح للأرواح يسري
فتدركه القلوب بلا عناء
هتفت به فطار بلا جناح
وشق أنينه صدر الفضاء

والواقع أن إقبال قد عرض على المسلم جانبي الصورة في هاتين القصيدتين، أو قل إنهما مرآتان مختلفتان: إحداهما تعرض على المسلمين صورة ماضيهم الحافل المجيد، بينما تريهم الثانية صورة الحاضر المؤسف المليء بالآلام والنكبات، وكل قصيدة منهما قد تركت أثراً بالغاً للغاية في نفوس المسلمين في عصر إقبال وفيما بعده من العصور.

وفي هاتين القصيدتين لقطات شعرية عن صورة بيت الله الحرام تسلط أضواء على ماكان يرى إقبال ويفكر في الحرم ودوره في حياة المسلمين، فمن ذلك أن المسلم المعاصر في عصر إقبال، وحتى اليوم، يشكو الأقدار، ويبكي حظه ونصيبه، إنه لم يحرم من الحياة الإسلامية الفعالة فحسب بل انغمس في السيئات التي تكذب مايدعيه من إسلامه!

إنه مسلم بالاسم فقط، وأما مايعمله صباح مساء فلا صلة له بالإسلام! هذا المسلم يشكو من الأقدار ويدعي أنه هو الذي شارك في المعارك الفاصلة بين الحق والباطل، وأنه هو الذي قضى على الشرك والكفر، وأنه من هؤلاء المؤمنين الذين طهروا الحرم من أدناس الشرك وزينوه بسجودهم، وأمسكوا كتاب الله وتلوه حق تلاوته، وبرغم ذلك كله فقد أنساهم الله وأهملهم وأسلمهم إلى الأعداء، يقول إقبال مامعناه(٥):

«نحن الذين قضوا على الباطل وأنقذوا النوع البشري من العبودية، ونحن الذين قد عمروا بيتك بجباههم، وحافظوا على قرآنك في صدورهم».

ويأتي الجواب على هذا الادعاء على لسان إقبال الذي يقول:(٦) **«ألا تعرفون أيها المسلمون من الذي قضى على الباطل فمحاه من صفحة الدهر؟ ومن الذي حرر النوع البشري وأنقذه من العبودية؟ ومن الذي كان قد زين كعبتي بناصيته وعمّرها دون شك، ولكن من أنتم؟ ألستم الذين قعدوا متواكلين مكتوفي الأيدي تنتظرون المستقبل الزاهر دون عمل وكفاح!!؟**

وأخذت الأوضاع تتحول من السوء إلى الأسوأ مما جعل أعداء المسلمين يفرحون بها وجعل المسلمين يضجرون ويرفعون الشكوى إلى الله على لسان إقبال الذي يقول مامعناه:(٧) **«قد بدأت الأصنام تعلن في معابدها قائلة إن المسلمين قد راحوا إلى غير رجعة وهي مسرورة فرحة لأنها تظن بأن حراس الكعبة من المسلمين قد ذهبوا ولن يعودوا بعد الآن، وأن حداة الإبل من أوائل المسلمين قد تلاشوا من وجه الأرض إلى الأبد، وأن الكفر اليوم قد بدأ متضاحكاً فخوراً بانتصاراته على المسلمين؛ فأصلح أحوال المسلمين يارب العالمين».**

والجواب الذي يجري على لسان شاعر الإسلام رداً على هذه الشكوى هو(٨): **«أليس فيكم أيها المسلمون عدد كثير من أصحاب الأيدي الضعيفة الواهنة وأصحاب القلوب المليئة بالإلحاد والعلمانية، وهم يدعون بأنهم من أمة محمد ﷺ! إن الذين كسروا الأصنام بضرباتهم القاضية قد راحوا وقد بقي صناع الأصنام وتجارها من أمثال هؤلاء! فأما الآباء فقد كانوا من أتباع إبراهيم الخليل مكسر الأصنام، وأما هؤلاء الأبناء فقد اختاروا موقف آذر صانع الأصنام وتاجرها! لقد اتخذوا لهم كعبة جديدة وتجددت أصنامهم بحجة التجديد والتطور».**

وفي «جواب الشكوى» قطعة شعرية قد خصصها شاعر الإسلام للمسلم الهندي في وقته؛ حيث كان المسلمون الوطنيون المخدوعون الذين آمنوا بالقومية الهندية الزائفة التي دعا إليها الحزب الوطني الهندي، وأخذوا يرددون هتافات العلمانية

الخادعة التي لقنها إياهم البراهمة والبناديت «واحدهم باندیت» فقال لهم إقبال مامعناه(٩):

إنكم قد اكتسبتم الشهرة على المستوى الوطني حين اعتنقتم البرهمية حباً للصنم الهندي أو رغبة في الوطنية الهندية، فأما أجيالكم الناشئة، فقد رغبت في التقدم المادي ونبذت الدين الإسلامي وراءها وأساءوا به الظن، وقد أطلقتكم المدنية المعاصرة من كل مبدأ ديني وخلقي، فكأنها قد أخرجتكم من الكعبة وأسكنتكم في معبد الأصنام الهندوكي!! أفبعد ذلك كله لاتزالون تشكون الأقدار وتظنون بالله الظنون!؟

ويرى إقبال أن وجود الحرم كمركز للوحدة ومحور للعبادة بإمكانه أن يعطي المسلم دروساً ومواعظ عن الوحدة والأخوة والمساواة، وأن اجتماع المسلمين العظيم في عرفات بمناسبة الحج بإمكانه أن يغير وجهة نظرهم؛ لأن الحياة المدنية المعاصرة في المدن المزدحمة والحواضر ضيقة الأزقة، قد سلبت منهم سعة النظر

وقوة العمل، فلو اجتمعوا في مكان واسع مثل عرفات لأمكن لهم أن يستعيدوا ما فقدوا من الحيوية وسعة النظر، يقول إقبال داعياً ومناجياً ربه:(١٠)

إن المسلم يارب بطبيعته صحراوي كالغزال، إلا أنه قد ضل طريقه وتعود الحياة الحضرية السهلة الناعمة إنك أنت يارب تقدر على أن تهديه الطريق المستقيم، إلى حرمك وإلى عرفاتك؛ لكي يتمكن من استعادة الذكريات عن حياته الصحراوية فيتسع به صدره ونظره اتساع الصحراء المترامية الأطراف!

ومما يحزن إقبال أنه يرى المسلم وقد نسى رسالة الحرم الحقيقية، إنهم يطوفون حول البيت ولكنهم لايجدون حلاوة الطواف، وقد كان من حق الطواف أن يثير العواطف الجياشة في نفوس الطائفين وأن يجدوا حرارة الإيمان ولوعته في أعماق قلوبهم، يقول إقبال:(١١) **«ياحرم الله إنني أريد أن أتعلم منك أسلوباً من الطواف الذي بإمكانه أن يثير في نفسي عواطف جياشة!».**

وإن للحرم رسالة قد نسيها المسلون، وهي رسالة الوحدة والأخوة والمودة والمساواة، فقد خلق الله البشر أجمعين من نفس واحدة فأصل البشر، إذن، واحد، وهذا الأصل الواحد يقتضي أن يكون الناس سواسية في الحقوق والفرائض، وألايكون الفرق بينهم إلا بالتقوى، فأكرم الناس وأفضلهم عند الله هو أتقاهم، والأتقى هو من يكون أكثرنا طاعة وعبادة لله، وأكثرنا خدمة وفائدة لإخوانه من بني آدم، لأن التقوى إنما هي العمل وأداء الحقوق، فمن أدى حقوق الله وحقوق عباده فهو الأتقى وهو الأفضل والأكرم، إذن فلا مجال للدعاوى الكاذبة الزائفة من فوارق الجنس واللون واللغة. وقد كافح إقبال ضد هذه الدعاوى الزائفة التي لاأصل لها ولا أساس، وتلك هي رسالة الحرم التي يتلقاها المسلم، وهو يؤدي مناسك الحج!

فإقبال يرى أن مناسك الحج فيها دروس وعبر وفرص للتربية العملية من أجل الوحدة والأخوة والمساواة، يقول إقبال مامعناه(١٢):

«تذكر أيها الحاج المسلم أن حرمك المقدس وداخله طاهر نقي، بريء من فوارق الأسود والأحمر، إذن فمن الحرام والعار عليك أن تنظر إلى الحمرة والبياض أو الصفرة من الألوان بعين الاعتبار!»

ويقول في موضع آخر في المعنى نفسه(١٣):

إن الذي ينظر إلى فوارق اللون والعنصرية بعين الاعتبار من أهل الإسلام فسوف يقضى عليه وسيصير نسياً منسياً سواء كان ذلك هو التركي الشجاع أو العربي الشريف».

ويرى إقبال بأنه لابد للحاج المؤمن أن يتوب إلى الله ويطهر قلبه من فوارق اللون والعنصرية قبل أن يحرم ويخرج مسافراً إلى الحرم!!

يقول إقبال وهو يشبه الحاج المؤمن بطائر الحرم الذي يهم بالطيران(١٤):

«أيها الطائر من طيور الحرم المقدس أما ترى أن حواصلك وأجنحتك قد

الحرم في شعر إقبال

تلوثت واتسخت بأدناس الفوارق من اللون والجنس والعنصرية، إذن، فيجب عليك أن تنظف الحواصل والأجنحة وتطهرها من الأدناس قبل أن تعتزم على الطيران والسفر إلى بيت الله الحرام».

وقد عُرِفَ إقبال كطبيب الأمة وحكيمها، وبذلك لقّبه شعبه المسلم الهندي حين اكتشف أمراضه الاجتماعية ووصف لها الدواء، ومن بين هذه الأمراض التي تعاني منها الأمة عداوة اليهود والمشركين، وقد نص الكتاب العزيز على أن أعدى أعداء المسلمين وأشد الناس ضرراً لهم هم اليهود والمشركون مهما كانوا وحيثما وجدوا، ويشهد على ذلك تاريخنا عبر العصور وحتى يومنا هذا؛ فالصهاينة وأهل الشرك وعبدة الأصنام هم أعدى أعداء المسلمين الموحدين، ولكن مجرى التاريخ قد تغير، حيث تمكن اليهود الصهاينة من إثارة العداوة والبغضاء بين الشرق الإسلامي والغرب الصليبي، مما جعل هؤلاء يتفقون سراً ويعتزمون على أن يقضوا على المسلمين، وقد أخذوا يبحثون عن الوسائل والأدوات والطرق الناجحة للقضاء عليهم، وإبليس هو معلمهم، وهو يعرض عليهم الطرق والوسائل، ويرى إقبال أن الوصفة الطبية الإبليسية الأخيرة التي لقنها الشيطان أهل الغرب الصليبي هو إبعاد أهل الحرم عن تقاليد الوحدة والأخوة والمساواة، وحرمان العرب من عواطف الأخوة الإسلامية، وولوعهم بالقومية والعلمانية أشد مايكون، والقضاء على علماء الدين المخلصين في كل بلد من العالم الإسلامي، يقول إقبال وهو ينبه المسلمين إلى هذه الوصفة الإبليسية قبل نصف قرن أو مايزيد من الزمان، مامعناه(١٦):

«إن هذا المسلم الفقير المعدم لا يخاف الموت ولايحفل به، إذن فلا داعي إلى إعدامه ولافائدة فيه، بل يجب عليكم أن تنتزعوا عواطف الحب والاحترام لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب العرب والمسلمين جميعاً، وأن تغيروا فكرهم الإسلامي بالفكر الغربي، وبذلك تتمكنون من طرد الإسلام ونفيه من الحجاز واليمن، وإذا أردتم القضاء على الحمية الدينية عند الأفغان فيمكن لكم ذلك بنفي «الملاَّ» وجلائه من جبال أفغانستان وسهولها، وعليكم أن تنتزعوا من أهل الحرم المسلمين تقاليدهم الدينية من الوحدة والأخوة والمساواة، وبذلك سوف تتمكنون من القضاء عليهم دون سلاح أو قتال!!

إن صلة المسلمين وعلاقتهم بالحرم إنما هي صلة ثنائية الفوائد والمنافع، فهو أول بيت وضع للناس، ووجوده يضمن الوحدة الإسلامية كما يضمن دفاعاً متبادلاً، وذلك أن المسلمين هم حراس الحرم الذين يدافعون عنه بينما الحرم هو قبلة المسلمين وهو رمز إيمانهم وأخوتهم ووحدتهم، وذلك مايراه إقبال حين يقول:(١٧)

«إن الحرم هو أول بيت من بيوت الله وضع لعبادته في أرضه، وهو يضمن الدفاع المتبادل إذ نحن ندافع عنه ونحرسه وهو يدافع عنا ويحرسنا».

وقد ظل إقبال بين حين وآخر يردد ذكر الحرم ويكرره في شعره مايمكن له أن يقوم بدور في حياة الأمة الإسلامية حتى حان الموعد لتأليف ديوان فارسي، وهو ديوان الأسرار والرموز، حيث أعطى الأمة مشروعاً عملياً لبناء المجتمع الإسلامي الفاضل على مبادئ قويمة وأسس متينة وقد خصص فصلاً مستقلاً لدور الحرم الشريف ومكانته في ديوانه هذا وقد عَنْوَنَه: **«فصل في أن حياة الأمة العملية تحتاج إلى مركز محسوس ملموس، وأن مركز هذه الأمة الإسلامية إنما هو بيت الله الحرام!».**

ولكي ينبه الأمة على مكانة الحرم ودوره في حياته فقد اتخذ إقبال مثلاً بارعاً رائعاً وكشف عن سر الحياة فقال: إن الحياة تنتقل من العدم إلى حيز الوجود لكي يمكن تقسيمها إلى الماضي والمستقبل، وتتمكن في نفس من النفوس أو صدر من الصدور، وهكذا تقيد نفسها في جسد ترابي لكي تتمكن من الحركة والعمل؛ فالحياة تحتاج إلى جسد ملموس لكي تأخذ وجودها المحسوس فكذلك الأمة تحتاج إلى مركز ملموس لكي تصبح أمة متحدة مرتبطة تبرهن على وجودها، يقول إقبال مامعناه: **«إن الحياة تتخذ لها لباساً من الماء والطين، فتخلق لنفسها الأيدي والأرجل والقلب، وهكذا تأخذ الحياة لها وجوداً بالجسد الترابي لكي تتمكن من إيجاد العوالم المتنوعة من الأعمال. وكذلك الأمة تتخذ لها وجوداً باللجوء إلى مركز ماً، فالمركز للحلقة كالجسد للروح، وذلك لأن وحدة الأمة ونظامها بالمركز، وبه تدوم حياتها!».**

ورحم الله الدكتور عبدالوهاب عزام، الذي ترجم هذه الأبيات إلى العربية شعراً فقال: (١٩)

خلعة الطين عليها ترفدُ
فإذا عين وقلب ويدُ
تؤثر الخلوة في الجسم الحياه
وتُجلّي نشأة... نعم الحياه
هكذا سنة ميلاد الأمم
مركز فيه حياةٌ تنتظم
إنما المركز روح الدائره
نقطة، فيها محيط، ضامره
ومن المركز للقوم نظام
ومن المركز للقوم دوام!
نقطة المركز منا الحرمُ
لحننا والوجد فينا الحرمُ!!

وبهذا المثال الرائع البديع يوضح إقبال تطور الحياة وحاجتها إلى الجسد وحاجة الأمة إلى مركزها لكي يبشر أمته

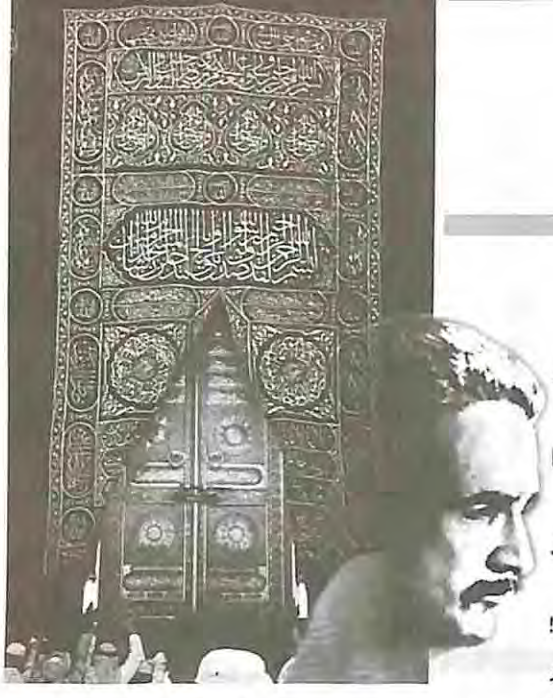

الإسلامية بأنها أسعد الأمم حظاً وأعظمها قدراً بين الأمم كلها، وذلك لأن الله قد شرفها بمركز فريد خالد ليس له نظير ولا مثال، وهو سر وحدتها ورمز بقائها ومحور نظامها في صلواتها الخمسة.

والصور الشعرية التي ابتكرها إقبال عن مكانة الحرم ودوره هي صور رائعة خلابة دون شك، ولكنها في الوقت نفسه صور تملأ النفوس بالغبطة والسرور والطمأنينة والهدوء، كما أنها تضيء الطرق وتنور القلوب بنور اليقين والإيمان! فالمسلمون بمنزلة الأرواح وبيت الله الحرام يطهر هذه الأرواح ويربيها ويقويها، والعكس كذلك، فإن الحرم الشريف هو روح الأمة، وهي بمنزلة الجسد له، تحبه وتعظمه وتتجه إليه في صلواتها، وتطوف حوله لتجدد به صلتها، صلة الإيمان بالله وحده، والخضوع لأوامره ونواهيه عز وجل، إن الحرم عند إقبال سماء تمطر على الأمة قطرات من ندى الوحدة والمساواة، وتحيي أرواحنا وترويها، كما أن ماء زمزمه يروي ظمأ النفوس ويثلج القلوب.. إننا لمحظوظون بوجود ذلك المركز المبارك، الفريد الذي يضمن لنا الوحدة والنظام، والأخوة والمساواة وفوق ذلك كله فإن وجودنا لهو خير دليل على دعوة الخليل المستجابة! إن بيت الله الحرام قد رفع من قدرنا وأكرمنا الله بوجوده، وأن صلاتنا به قد ضمنت الخلود لوجودنا الحادث! فيقول شاعر الإسلام، مامعناه(٢٠):

«إن قطرات الندى من الحرم الشريف تمنح الرونق والبهاء لحديقة أرواحنا وماء زمزمه يروي أرواحنا وإن ذراته تضيء الشمس التي تغوص في جوه المتلألىء».

وقد ترجم الدكتور عزام الأبيات إلى العربية شعراً فقال:(٢١)

نفس في صدورنا يتقد
روحنا الغالي، ونحن الجسد
من نداه نضرت أغصاننا
حيّ من زمزمه بستاننا
نحن من دعواه في الدنيا دليل
نحن فيه من براهين الخليل
صوتنا يَنْدَى به في الأمم
واصلاً مُحْدَثَنَا بالقدم!

وقد أمر الله أمة الإسلام أن تتجه شطر المسجد الحرام في صلواتها، وهذا الاتجاه نحو القبلة الشريفة يعطيهم درساً عن الوحدة في الفكر والعمل، كما أن الطواف مع الإحرام يدعوهم إلى المساواة، وهذه الوحدة والمساواة تمنح الأمة لوناً من ألوان التجدد والرونق والبهاء، كما أنها تقوّي ذاتية المؤمن وتدعم صلته بالحرم المقدس، وفوق ذلك كله فإنها تذكر المسلم بأن سر الحياة ورمز البقاء هما الوحدة والجمعية.

وإلى ذلك يشير العلامة إقبال حين يقول مامعناه:(٢٢)

«إن الطواف حول البيت يمنح الملة الحنيفية فكرة الوحدة، فيجعل منها قوة متجددة، كما تتجدّد أضواء الشمس كل صباح، وإن الصلة بالحرم تذكر بالوحدة في الفكر والعمل، كما أنها تقوي ذاتية المؤمنين، وهي تدل على الحياة والبقاء، إن سر الحرم الحقيقي إنما هي الوحدة واجتماع الكلمة وقد عرفت، ويجب أن تأخذ بعين الاعتبار، أن روح الأمم وحياتها إنما هي الوحدة واجتماع الشمل، وذلك هو درس يلقنك إياه الحرم في الصلوات الخمس، وحين تؤدي مناسك الحج!!»

وقد ترجمها عزام إلى العربية شعراً فقال(٢٣):

وَحَّدَ الملةَ طوفٌ حوله
في صباح قد حوى صدرٌ لهُ
وُحِّدت في حُبِّه كثرتُنا
أحكمت من وحدة قوتُنا

إن في الجمع حياة الأمم
إن هذا الجمع سر الحرم!

■■ الهوامش والمراجع:

* رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في باكستان.

١- زنده رود أو النهر الخالد «بالأردية»١/٣٣ طبعة لاهور ١٩٧٤م.
٢- المرجع نفسه.
٣- إيقان إقبال ص ٢٧٣، لاهور، ١٩٨٥م.
٤- كليات إقبال (أردو) ص٣٧٠ لاهور ١٩٧١م.
٥- المرجع نفسه ص١٦٦.
٦- المرجع نفسه ص٢٠١.
٧- المرجع نفسه ص ١٦٦.
٨- المرجع نفسه.
٩- المرجع نفسه ص٢١٢.
١٠- المرجع نفسه ص٦٨٣.
١١- المرجع نفسه ص٥٧٦.
١٢- المرجع نفسه ص٢٦٥.
١٣- المرجع نفسه ص٢٧٣.
١٤- المرجع نفسه ص ٦٠٨.
١٥- المرجع نفسه.
١٦- المرجع نفسه.
١٧- المرجع نفسه.
١٨- المرجع نفسه.
١٩- المرجع نفسه ص١٥٩.
٢٠- كليات إقبال فارس طهران ١٩٧٨م ص١٣٣.
٢١- ديوان الأسرار والرموز ص٧٣، لاهور ١٩٧٨م.
٢٢- كليات إقبال فارس، ص ١٣٤.
٢٣- ديوان الأسرار والرموز ص٧٤.

من ثمرات المطابع

حوار مع د.عبدالباسط بدر..*

المفهوم المتميز للأدب الإسلامي

كل نص يهدف إلى تعزيز القيم الإسلامية.. أدب إسلامي

المسرح الإسلامي منضبط بقواعد لا تجرح القيم الدينية

■■ في حوار أجراه مندوب مجلة رابطة العالم الإسلامي مع الدكتور عبدالباسط بدر الناقد الأدبي والأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية حول المفهوم المتميز للأدب الإسلامي تحدث قائلاً:

الأدب الإسلامي: كل عمل أدبي يتضمن عاطفة إيمانية، أو يعالج قضية إسلامية معالجة إيجابية بشكل من الأشكال.

فالأدب الذي يعالج مشكلة اجتماعية من منظور إسلامي يدخل في الأدب الإسلامي. فالأدب الإسلامي أدب واسع وشامل؛ فهو كل عمل أدبي يعرض موضوعاً «ما» من وجهة نظر إسلامية، وعليه فكل نص أدبي يحمل قضية أو فكرة، أو عاطفة إسلامية أو يهدف إلى تعزيز قيمة من القيم الإسلامية فهو أدب إسلامي. وهناك تعريف رابطة الأدب الإسلامي لهذا الأدب بأنه: «هو التعبير الفني الجميل عن الإنسان والحياة، والكون من زاوية التصور الإسلامي» كل هذه التعريفات: تلتقي في أنه كل عمل أدبي يحمل وجهة نظر إسلامية.

الأدب الإسلامي يعالج القضايا الإنسانية جمعاء

■■ ماهي القضايا التي يعالجها الأدب الإسلامي؟

● الأدب الإسلامي يعالج قضايا الإنسان بأكملها: فهو يعالج معاناة الإنسان المسلم، ومعاناة المجتمع المسلم، ووضع المشكلات، والسلبيات التي يعيشها بدءاً من قضايا الجراحات الراعفة الموجودة في فلسطين، وأفغانستان، والبوسنة والهرسك، وكوسوفا، وكشمير، وفي كثير من أنحاء العالم إلى جانب قضايا الشخصية المسلمة المعاصرة في الحياة، وقضايا مواجهة التغريب، وقضايا العائلة المسلمة وقضايا المسلم المعاصر، وكذلك قضايا التعامل مع الحياة، فالأدب الإسلامي يعالج قضايا الحياة بكاملها.

الأدب الإسلامي «أدب شمولي»

■■ ماهي الموضوعات التي يمكن أن يساهم فيها الأدب الإسلامي؟

● كل موضوع من موضوعات الحياة يمكن أن يساهم فيه الأدب الإسلامي، لأن الإسلام شمولي، وجاء إطارا للحياة كلها، فلا يوجد سلوك عند الإنسان إلا وللإسلام فيه حكم. والأدب الإسلامي عندما أضفناه للإسلام اكتسب منه الشمول.

فتلك الموضوعات التي يعالجها الأدب الإسلامي هي موضوعات الحياة كلها سلبياتها، وإيجابياتها، موضوعات الرجل والمرأة، موضوعات الشعوب بأكملها، والمجتمعات والأمم، والحرية، والمسئولية، حتى الجنس ممكن أن يعالجه الأديب المسلم بنص أدبي جميل ونظيف، فيبين أثر الهبوط في الأخلاق على الفضيلة، والانحلال في مجتمع «ما» من خلال قصة أو مسرحية، أو من خلال قصيدة شعرية، فيظهر سلبيات الهبوط من خلال العرض لأن الأدب الإسلامي له أسلوب متميز.

■■ هل يوجد مسرح إسلامي؟

● نعم المسرح الإسلامي موجود في واجهتين: الأولى «الوجهة التراثية التي تقدم لنا الأحداث التاريخية العظيمة بدءا من أثر الأنبياء في الشعوب إلى المعارك الكبرى من غزوة بدر، تبوك، حطين، إلى الشخصيات الإسلامية مثل صلاح الدين الأيوبي... هذا جانب التراث، أما الجانب الآخر المعاصر كالذي يقدم في بعض المدارس والمخيمات، والذي ينضبط بقواعد المسرح الإسلامي الذي لا يجرح أية قاعدة إسلامية.

الشعر الحديث ليس بديلا عن التراث

■■ ما رأيكم في الشعر الحديث؟

● الشعر الحديث أرضية واسعة، فيها كل شيء ،فالتجارب الشعرية ليست محظورة على الأديب المسلم على ألا يكون هذا بديلا عن التراث:

قد يكون عندي شاعر يكتب قصيدة بالتفعيلة العروضية المعروفة، وقد يكتب قصيدة بدون ذلك، فلا بأس في ذلك إذا كان ناجحا، وعندنا شعراء إسلاميون كتبوا الشكلين أمثال الحسناوي والعشماوي، ونجحوا فعندما يكون الشاعر عنده القدرة الشعرية، والموهبة يستطيع أن يكتب الشكلين، لكن الشاعر العاجز أو الشاعر الذي يريد أن يحطم التراث ويجعل شعره بديلاً عن التراث هذا نرفضه، ولا شك أن الشعر العامي يشكل خطورة على التراث وقد يفيد فئة بسيطة من الناس، والشعر العامي مع زحف الثقافة والعودة إلى الأصالة سينتهي.

من مهمات الأدب الإسلامي تعزيز القيم الإسلامية.

■■ ما المهمة التي يمكن أن يؤديها الأدب الإسلامي؟

أجاب الدكتور عبدالباسط بدر عضو رابطة الأدب الإسلامي: مهمات كثيرة: أولها: تعزيز القيم الإسلامية.

ثانيها: التربية.. الأدب أصبح الآن جزءاً من المنهج التربوي، تجده في الحضانة في «الأناشيد» وفي المدارس الإبتدائية والمتوسطة، والثانوية فهو جزء من المنهج التربوي، فالأدب الإسلامي هو الذي يقدم النصوص التربوية العظيمة. ثم هناك الوظيفة الجمالية فعندما يقدم لنا الأدب الإسلامي نصوصاً جميلة فإنه يربي ذوق الفرد، وذوق المجتمع تربية جمالية إسلامية.

■ عبد الرحمن العشماوي

■■ هل هناك فرق بين الأدب الإسلامي والأدب المسلم؟

● قال الرسول ﷺ **«قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»** الإنسان المسلم قد يمر بفترة صفاء في العقيدة، وقد يمر بفترة معصية فإذا أنتج أدبا فيه معصية فهذا أدب فاسد أما إذا أنتج أدباً فيه صفاء في العقيدة فهذا أدب إسلامي، هذا بالنسبة للمسلم.. أما غير المسلم فإن ما ينتجه من أدب مثل الشاعر طاغور فقد يتحدث فيه عن محبة الله، وحسن

التعامل بين الناس، فهذا أدب يوافق الأدب الإسلامي لكن لا يمكن أن نسميه أدباً إسلامياً:

لأن طاغور مهما قدم من إنتاج قريب من الرؤية الإسلامية عنده خصائص هندوسية في فهم الذات الإلهية وفهم العلاقة البشرية تختلف عنا، ولابد أن يظهر أثر هذا الفهم في جزء من عمله الأدبي، لذلك لا نستطيع أن نسميه أدباً إسلامياً لكن هناك جزء منه يوافق الإسلام نأخذه، ونشجعه وما يخالف أقول هذا خارج عن الإسلام.

سمات الأديب المسلم حسن الإيمان

■■ ماهي سمات الأديب المسلم؟

● أولاً حسن الإيمان لا يكفي أن يكون الأديب مسلماً ولكن لابد أن يكون مؤمناً ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا وَاللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الحجرات ١٤.

فيمكن أن يكون الإنسان مسلماً وتصدر عنه أفعال لاتليق بالمؤمن، لكن الأديب الإسلامي هو أديب مؤمن وملتزم، بمعنى أن أدبه يهتم بقضايا الشخصية المسلمة، وقضايا المجتمع الإسلامي اهتماماً طوعياً اختيارياً مثل إنك عندما تتجه إلى الصلاة بدافع من أعماقك بدون أن يدفعك أحد فكذلك الأديب المسلم عندما يسمع بحدث ينفعل وجدانه المسلم وينفجر هذا النص الأدبي تلقائياً معالجاً القضية الإسلامية بوجدانه وليس بشيء مفروض عليه.. إذاً يمتاز الأديب المسلم بالإيمان والواقعية الإيجابية وهو يرى انتصار الحق دائماً، هذه هي من أهم صفات الأديب المسلم.

■■ يقوم بعض الكتاب العلمانيين بالهجوم على الإسلام والمسلمين فهل يوجد في رابطة الأدب الإسلامي من يرد على هؤلاء؟

أجاب الأستاذ الناقد د.عبدالباسط بدر: لايفل الحديد إلا الحديد كما يقولون، الناقد لا يواجهه إلا ناقد أو أديب، والمفكر لا يواجهه إلا مفكر، والسياسي لا يواجهه إلا سياسي، فالتماثل هو أساس المواجهة. علمها لنا الرسول ﷺ إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض فبعد أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة بدأت قريش المعركة ضد المسلمين، والرسول ﷺ لم يرد عليهم، ولكن قال لحسان ولكعب ردوا عليهم: فكانت المعركة الشعرية الأولى، فكذلك الآن فتحت ثغرات في الأدب، وثغرات في النقد لضرب المجتمع المسلم وضرب الفكرة الإسلامية عبر الأدب ولا نستطيع الرد عليها إلا عبر الأدب نفسه وعبر النقد.

الأدب الإسلامي يمكن أن يساهم في إضاءة قضايا أمته

■■ ماهي المجالات التي يمكن أن يساهم فيها الأدب الإسلامي.. والأدباء الإسلاميون في خدمة القضايا الإسلامية؟

● يمكن للأدب الإسلامي أن يساهم في إضاءة القضايا الإسلامية وإظهارها، هناك محاولات تعتيم للقضايا الإسلامية، فالأديب يملك قدرة على حشد المشاعر. فالشعراء عندما يكتبون القصائد، وعندما يكتب القصاصون القصص، والمسرحيات

هذه قضية محورية من قضايا المجتمع الإسلامي والفرد المسلم، والأدباء الإسلاميون يضيئون هذه القضية ويعالجونها، فالأدب قادر على إثارة المشاعر وتحريك جماهير القراء، ووجدانهم نحو القضية الإسلامية

● الأديب المسلم يمتاز بالإيمان والواقعية والإيجابية في الانتصار للحق.

● إذا أنتج غير المسلم أدباً يوافق الأدب الإسلامي نشجعه ولكن لا نسميه إسلاميا.

● الأدب الإسلامي جزء من المنهج التربوي في تربية ذوق الفرد والجماعة.

● هناك دواوين شعرية في مأساة البوسنة والهرسك.

وهذا ليس بقليل. وأذكر في التاريخ الإسلامي أنّ قتيبة بن مسلم كان يصطحب معه في جيوش الفتح الإسلامي الشعراء، والخطباء لكي يثيروا مشاعر المجاهدين، ويرفعوا معنوياتهم فكذلك الأديب المسلم عليه أن يقوم بدوره الإسلامي الذي يخدم القضية المسلمة والمجتمع المسلم.

■■ هناك جهات كثيرة تقدم المساعدات للأدباء والكتاب العلمانيين فما هي الجهة التي تقدم المساعدة للأدباء الإسلاميين؟

● الذي يساعد الإسلاميين هي الجهات الإسلامية الصادقة التي تتحرك للإسلام، وكل مسلم يتفهم القضية وجدنا عنده الحماسة، والجهات التي تساعد هي التي لديها القدرة على المساعدة «فبحمد الله» هناك جهات إسلامية واعية تدرك أهمية الأدب الإسلامي، وتدرك ضرورة وجود منبر للأدب الإسلامي، فهذه الجهات تفتح الأبواب وتساعد في قضية الأدب الإسلامي.

■■ كيف كان تأثير أحداث البوسنة والهرسك في الأدب الإسلامي؟

● الأدب بطبيعته حساس فلقد ظهرت كتابات، وإسهامات تبين الجانب المأساوي في حياة المسلم المعاصر فلقد أصدرت رابطة الأدب الإسلامي ديواناً جمعت فيه الشعر الذي قيل في البوسنة والهرسك أو بعض الذي قيل، ومعظمه لأعضاء الرابطة، وهناك دواوين بأكملها مثل ديوان الدكتور عدنان النحوي، وللحقيقة أن الشعراء الإسلاميين ما تركوا هذه المأساة تمر دون أن يتأثروا بها، ولذلك صدرت أعمال كثيرة في البوسنة والهرسك وهناك أعمال ترجمت إلى العربية فيوجد أعمال أدبية في كثير من البلدان الإسلامية، في أفغانستان، في أفريقيا، فغالبية الدول الإسلامية اهتزت لهذا الحدث ولهذه الأعمال البشعة.

الأدب وأثره في التضامن الإسلامي

■■ هل يمكن أن يساعد الأدب الإسلامي في التضامن الإسلامي؟

● لاشك أننا فرقتنا السياسة ويجمعنا الإسلام، وعندنا الأدب الذي ينتسب إلى الإسلام الذي يجمعنا. فرابطة الأدب الإسلامي نموذج لهذا التجمع فرئيسها الأول الشيخ أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ من الدعاة إلى الله وهو من الهند، وتضم الرابطة الأدباء من كل البلاد الإسلامية، فرابطة الأدب الإسلامي نموذج لهذا التوحد والتضامن، وهي تصدر مجلة شهرية باسم: «**الأدب الإسلامي**».

---

* عن مجلة رابطة العالم الإسلامي ـ العدد ٤٠٨ ـ السنة ٣٦ شوال ١٤١٩ هـ ـ يناير/فبراير ١٩٩٩م.

□□□

قواعد النشر في المجلة

■ لاتنشر المجلة أي موضوع سبق نشره.

■ موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة ولاتوزع على عددين.

■ يرجى كتابة الموضوع على الآلة الكاتبة أو بخط واضح، مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن خمس عشرة صفحة.

■ يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل ليمكن وصول المكافأة الرمزية إلى الكاتب.

■ ترسل نبذة عن الكاتب في حدود سطرين.

■ يرجى توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً.

■ الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.

■ إرسال صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة، أو المجرى معها الحوار.

قصة قصيرة

البحث عن راحة

بقلم:
حسن حجاب الحازمي

حين التقيته لأول مرة لم أكن أتوقع أنني سأقتله، لكنني جزمت بذلك في اليوم التالي للمقابلة الأولى، فحين نزلت من شقتي في الدور العلوي ألفيته ينتظرني إلى جوار «سيارتي» ليخبرني أني نسيت السيارة مضاءة من الداخل ليلة البارحة، وأن ذلك خطأ جسيم - خصوصاً في الليل - إذ أن هذه الإضاءة تكشف مابداخل «السيارة» وهذا بدوره يغري اللصوص بكسر الزجاج، حتى وإن لم يكن في داخل السيارة مايستحق هذه المغامرة، وأضاف دون أن يتيح لي أدنى فرصة لمقاطعته: ثم إن نسيان هذه الإضاءة قد يؤدي إلى فساد «البطارية» فتضطر عندها لشراء «بطارية» جديدة.. فانظر كم يكلفك نسيان «لمبة» صغيرة من خسائر ياصديقي؟ قالها وابتسم، وقلت في نفسي: هذا الرجل إما أن يقتلني وإما أن أقتله.

هارب من حصارات عدة، أحلم بمكان لايعرفني فيه أحد، ولايؤرقني فيه أحد، ولقد أنفقت في سبيل ذلك أسابيع من البحث، حتى اهتديت إلى هذا الحي، في أقصى جنوب الرياض، حي جديد لايزال السكن فيه مغامرة، ولاأدري ما الذي قذف بي إلى جوار هذا الرجل بالذات، ففي الليلة الأولى لم أستطع أن أرتب شيئاً في البيت، بفضل ثرثرته وحديثه غير المنقطع عن خبرته في الرياض، وقدرته على اختيار الأماكن الهادئة، وكيف استطاع أن يهتدي إلى هذا المكان الجميل في أقصى جنوب الرياض، في حين أن الناس بدأوا يتجهون إلى الشمال، ولكنهم أغبياء ومغفلون، ويقلد بعضهم بعضاً بلا وعي، أما هو فإنه يعي حركته تماماً، ويعرف أين يضع قدميه بالضبط، حتى إنه اشترى ثلاث قطع من الأراضي في هذه المنطقة، دفع فيها مجتمعه مايدفع في قطعة واحدة في الشمال. انتصف الليل وهو يثرثر، وأنا لم أنجز شيئاً، وحين طلبت منه أن يساعدني في ترتيب الأشياء قدم اقتراحات قلبت كل ترتيباتي المعدة سلفاً. فهذا المكيف جديد، ومن الأفضل وضعه في المجلس حتى يراه الناس، ولا يهم أن أموت أنا وزوجتي من الحر، والمكتبة لاتصلح في هذه الغرفة - هكذا دون سبب مقنع - وغرفة الطعام التي اخترتها قريبة من المجلس اقترح علي أن أجعلها هي المكتبة، قدم اقتراحات عديدة لم تنل استحساني، فاعتذرت منه بحجة النوم والتعب، وأجلت كل شيء لليوم التالي، وقد بت على يقين تام بأن تركي لقريتي التي تتمشى في شراييني، ومدرستي التي تسكن بجدرانها وحجراتها وممراتها وحصاها ورملها في أوردتي، وبيتي الجميل الذي انفقت في بنائه أربع سنوات من عمري كان ضرباً من الجنون، مع أنني لم أكن أراه كذلك وأنا أترك قريتي طائعاً مختاراً وانتقل بزوجتي وعملي إلى الرياض.

يومها اهتاجت كل القرية، واتهموني بالجنون والتهور، إذ كيف أترك قريتي التي يعلم الجميع أني أحبها حد الهوس، وبيتي الذي ينظر إليه الجميع على أنه أجمل بيت في القرية، ومدرستي التي لاتبعد عن بيتي إلا خطوات، كيف أترك كل ذلك وارتحل طائعاً مختاراً دون أن تكون هناك ضرورة ملحة أو إجبار من أي جهة، وكنت في بعض الأحيان أصل إلى هذه النتيجة، وأشارك أهل القرية في رأيهم - بيني وبين نفسي فقط -

لكنني كنت قد خطوت خطوات في طريق النقل لم يكن من السهل التراجع عنها.

كان اسمي قد ظهر في الصحف ضمن الأسماء المنقولة إلى الرياض، وكنت لكثرة النصائح والاتهامات والتدخلات والتحليلات التي حاصرني بها أهل القرية قد عزمت على ألا أتراجع، فلا أحد منهم يدرك أنهم هم الذين دفعوني إلى ذلك، وأجبروني على أن أترك عمراً كاملاً من الذكريات والأحلام وأرحل.

لم يشعر أحد منهم بما أعاني، ولم يدركوا أي درجة من السأم قد بلغت، كانت الأيام متشابهة والوجوه متشابهة، والكلام متشابه.

عشر سنوات من الاستقرار والركود والأحلام المؤجلة.

عشر سنوات من الزواج الذي لايثمر، والأسئلة المكررة والنصائح المعادة:

(لماذا لم تنجبوا حتى الآن) (العيب منك أو منها) (ياأخي، تعالجوا.. الطب تقدم وليس هناك شيء صعب هذي الأيام) (تزوج ياأخي، الشرع حلل مثني وثلاث ورباع) (يقولون هناك دكتور ممتاز في جدة اذهبوا له.. يمكن.. ربك كريم).

عشر سنوات والكلمات المسنونة تبكي زوجتي كل ليلة، والعيون الحادة لاتنظر إلا إلى بطنها تبحث عن التكور المنتظر، وتزُورَ مشفقة أو شامتة.

عشر سنوات وهم يمضغونني في جلساتهم الليلية، ويقذفونني مع آخر غصن بكلمات باهتة مكررة: (بيت كبير عبير وما فيه ولاجاهل.. مسكين، الله يرزقه)

كان لابد أن أقذف حجراً في البركة الراكدة، وأن أشغلهم بقضية جديدة يمضغونها في الأعوام القادمة، كان لابد أن أرحل تاركاً خلفي عمراً من الذكريات والأحلام المؤجلة.

كان السفر مجرد فكرة عبرت كغيمة، لا أدري كيف استوقفتها واستمطرتها سيلاً من الهواجس والأفكار والرؤى أغرقتني، وحفرت داخلي نفقاً لم أعد أدري كيف ارتقه.

قذفت حجراً في البركة الراكدة ورحلت، لكنني كنت غبياً حينما اخترت «منفوحة» من كل أحياء العاصمة مقراً جديداً لإقامتي.

لقد بدت وكأنها نسخة أخرى من القرية، ووجدتني محاطاً من جديد بعدد كبير من أبناء قريتي والقرى المجاورة، يغمرونني بحب لا أريده، ومودة لم أجيء بحثاً عنها، ويحاصرونني بالنظرات نفسها، والأسئلة، والنصائح ذاتها، ووجدتني من جديد لاأستطيع التحكم في وقتي، فلا أستطيع أن أقرأ متى أريد، وأنام متى أريد، وأسهر متى أريد، محاصر أنا بالأحبة حتى في العاصمة التي هربت إليها؛ لكي لا أضيع في صخبها، وأنفي نفسي ـ مختاراً ـ في ضجيجها، ذرة ضائعة لاتريد لأحد أن يهتدي إليها، لذلك كان لابد أن أبحث عن مكان جديد لايعرفني فيه أحد، ولا يؤرقني فيه أحد.

استغرق نقل العفش وترتيبه في البيت الجديد ثلاثة أيام، وكان بالإمكان أن يستمر شهراً كاملاً لو أنني طاوعت جاري العزيز، لكنني كنت صارماً معه، وفي كل مرة يلتقيني عند الباب ليعرض خدماته المجانية كنت أعتذر له، وخلال الأيام الثلاثة الأولى كنت قد عرفت كل شيء عن جاري العزيز: اسمه كاملاً، عائلته، مقرهم الأصلي، مقرهم الحالي، تاريخ زواجه، أسماء أولاده وبناته، تواريخ ميلادهم، الأماكن التي سكن فيها في الرياض، عمله، زملاؤه في العمل، حتى دوراته التدريبية عرفتها بتواريخها وأماكنها، وكنت ألتزم الصمت إزاء كل تلك الإيضاحات، لأنني بطبعي لم أكن أحب الحديث عن نفسي، ولاأحب أن أكون دفتراً مفتوحاً بهذه الصورة، ثم إنني لم أكن أريد للحديث بيننا أن يتصل، ولاللعلاقة بيننا أن تستمر، حتى إنني حذرت زوجتي من التعرف على زوجته، أو النزول إلى شقتهم، حتى ولو زارتها ألف مرة، ورغم كل الاحتياطات التي اتخذتها كنت ألقاه دائماً، ألقاه وأنا صاعد إلى شقتي وأنا نازل منها، وأنا خارج من المسجد وفي البقالة، وفي كل مكان أذهب إليه ـ عدا المدرسة ـ حتى شككت أن هذا الرجل يراقبني، وفي كل مرة كان يقدم لي معلومة قيمة، ونصيحة ثمينة يجب أن أحتفي بها؛ لأنها نتاج خبرة «أبي بدر».

«أبوبدر» الذي إذا قال فعل، و«أبوبدر» دائماً يقول ويقول، وأنا أتجرع مقولاته وحدي.

آه ياسكني القديم أين أنت؟ أين أنتم يارفاقي الذين هربت منكم؟! طوال عمري وأنا أحلم بالوحدة، وها أنذا أجدها الآن في هذا الحي النائي إلى جوار «أبي بدر» الذي يحاصرني صباح مساء بنصائحه المملة: فالبقالة التي إلى جوارنا يجب ألا أشتري منها لأن صاحبها «روحه في أنفه»، كما يقول «أبوبدر»، وكل يوم أجده فيها وإمام مسجدنا عجول، ومن الأفضل أن نصلي مع إمام آخر يتأنى في صلاته، ومكيفاتنا تهدر طوال الليل

وهذا أخطر على الصحة؛ لأن الفريون كما يقول أبوبدر «يكسر العظام ويأتي بالزكام» وباب العمارة إذا نسيته مواربا أتى لي بعشرين قصة لأناس تركوا أبوابهم مفتوحة وحدثت لهم مآس يدمي لها القلب، وإذا أغلقته وهو في الخارج أيقظني بعد منتصف الليل لكي أفتح له، ليعاتبني بنبرة لاتخلو من تقريع: كيف تغلق الباب ونحن في بلد الأمن والأمان؟ هذا عدا النصائح الصغيرة التي يقدمها لي في كيفية التعامل مع زملائي في العمل، ومع رئيسي ومع الناس جميعاً، وكل ذلك من واقع خبرة أبي بدر، أبي بدر الذي أمضّ عيشي، حتى إنني قررت أن أقاطعه نهائياً وألا أتحدث معه، وحين نزلت زاماً شفتي على قراري لأفاجئه به قبل أن يتفوه بنصف كلمة، لم أجده هذه المرة ووجدت على بابه ورقة مذيلة بتوقيعه كتب فيها: «جاري العزيز: أنا مسافر لمدة أسبوع فأرجو ألا تنسى الزرع الذي في الأحواض الخارجية من الماء، ولكن إياك أن تسقيه في منتصف النهار، لأن الماء قد يتبخر قبل أن يرتوي الزرع» بلعت غيظي، وعدت وأنا مصمم على الرحيل من هذا البيت وليكن مايكون.

لم تكن زوجتي سعيدة بانتقالنا إلى هذا الحي المعزول، كانت قد ألفت في الحي الأول بعض الجارات، وأنست بهن في غربتها، ولذلك غالبت ضحكة شماتة بعد قراءتها للرسالة التي تركها جاري، ثم أطلقت لضحكتها العنان وقالت:

- أنت اشتريت الهم.

- اشتريته وسأبيعه بأرخص الأثمان.

- ولكن ذلك سيكلفنا كثيراً.

- ماذا؟ إيجار نصف عام؟ نقل العفش من جديد؟ تعب أسبوع؟ كل ذلك لايهم مقابل راحتي التي أشتريهابكل أموال الدنيا.

- لاليس هذا هو الحل، أنا أرى أن تصبر حتى تنقضي مدة الإيجار وبعدها ننتقل، اسمع مشورتي ولو مرة واحدة في العمر.

- ولكنني لم أعد أحتمل، رؤيته وحدها تغمني.

هل تصدقين البارحة كدت أخنقه بيدي هاتين؟

قالت زوجتي وهي تغالب ضحكتها: لماذا؟

- لأنه على مايبدو متفرغ لي، ولا همّ له في هذه الحياة إلا نصحي وتوجيهي، فحين رآني في البقالة تظاهر بأنه لم يرني، ولكني ما إن وصلت إلى سيارتي وركبتها حتى وجدته واقفاً أمامي، أتدرين لماذا؟ ليتفرج عليّ وأنا أبحث كالمجنون عن مفاتيح السيارة، ثم أخرجها من جيبه بعد أن رآني مبتلاً بعرقي، وناولني إياها ضاحكاً ومحذراً من تركها مرة أخرى داخل السيارة، لأن ذلك خطأ جسيم يؤدي إلى كوارث، وحكى لي قصة لأحد أقربائه ترك مفتاح السيارة فيها وزوجته داخلها، وحين عاد لم يجد السيارة ولازوجته، وحتى الآن لم يعثر لهما على أثر، ثم حكى لي عن شخص آخر نسي المفتاح في سيارته وفيها أطفاله الثلاثة، وحين عاد وجد السيارة في منتصف الطريق وقد عجنتها شاحنة هي وأطفاله الثلاثة، وحكى، وحكى، حتى كدت أن أتقيأ، فبلعت غيظي وتركته، قومي ياامرأة قبل أن يعود من سفره، أعدي العدة ولنرتحل.

كان قراري نهائياً وحاسماً، إنني أشعر بالراحة الآن في هذا الحي الهادىء، بالفعل تفصلني عن مقولات «أبي بدر» أكثر من أربعين كيلو متر، أنا في أقصى الشمال وهو في أقصى الجنوب، أنا في حي «الازدهار» وهو في حي «العزيزية» فكيف سيصل إليّ؟ لم أكن أتوقع مطلقاً أنه سيصل إليّ إلا حين فتحت الباب ورأيته واقفاً أمامي يحمل في يده «قدراً» كنا تركناه عنوة قبل أن نرحل لأنه قديم ومحترق.

كيف عرف بيتي الجديد؟

هل تابعني وأنا أخرج من المدرسة حتى وصل إلى هنا؟

لابد أن هذا الرجل يراقبني وإلا كيف وصل إلى بيتي بهذه السرعة؟

لماذا يصر هذا الرجل على تنغيص عيشي؟

انتزعني من حصار الأسئلة وهو يدفع «القدر» في صدري قائلاً: وجدته على الدرج، وتوقعت أنكم نسيتموه فأحضرته «الجيران لبعض» على فكرة: قل لأم العيال إذا طبخت لاتثرثر كثيراً في الهاتف حتى لاتحرق لك كل القدور، ثم أضاف مستغلاً ذهولي ودهشتي: بالمناسبة لماذا قلدت الآخرين واتجهت إلى الشمال مع أنه أغلى؟

انتزعت القدر من يده، وقذفته به بكل قوتي، ودخلت بسرعة لأحضر مسدسي وحين عدت لم أجده، فانطلقت أجري خلفه.. كان غبار سيارته مايزال عالقاً في الجو تغطي سحابته الداكنة بيتي الجديد، وكانت طلقات مدوية من مسدسي تسافر خلفه في فضاء حي الازدهار.

---

* أديب سعودي.. وأستاذ بكلية المعلمين بجازان

أهـــلاً وســـهلاً

«إنها العودة إلى العرش الحقيقي»

شـعر: محمد بن عبدالله الهويمل*

أطلّتْ دمـعـة بـيـضـاء خَـجْلى
لـيـرفُـلَ فـوق حـقـلـك كلُّ حـاف

تَدَلـتْ مـــثلَ فـــانوسٍ تَـدَلّى
وأنتَ على الصـخـورِ تجرُّ نعـلا

تجـــرَ الماءَ مـن عـيـنيـك عـــذباً
يكرُّ عليـك جـيشُ البـؤس غـدراً

جرى يسـقي الربى حقلاً فحـقلا
ولم يقـرعْ قـبَـيْلَ الحـربِ طَبْـلا

وينمـو الشـعـرُ والأزهارُ فيـهـا
ذَللْتَ له، فـمـا جـردْتَ سـيـفـاً

ويلهـو في الربى قـيـسٌ وليلى
لتـصرعَـه ومـا أسـرجْتَ خـيـلاً

تجـــر الـدمعَ إثرَ الدمعِ حـــتى
فـأدمنْتَ البكاءَ فـصـار عـذباً

حـسبْـتُ الدمعَ في خديـك حبـلا
وعـانقْتَ الشـقـاءَ فـصـار خِـلاً

زفرْتَ كمن جرى في الـبيدِ ظُهراً
فَـخُـيّـرتَ الحِـمَـامَ أو الرَّزايا

فَـــعَنَّ له ظـلالٌ فـــاسـتـظلا
فـقلتَ: كـلاهمـا حلـوٌ وأحْلَى

زفـيـرُك في ضـمـيـر الليلِ نارٌ
ولما صـــار جلدُك مـن رمـــادٍ

لظاها مـن لهـيبِ الشُّـهْبِ أعلى
وصـارَ الماءُ في شـفـتـيك رَمْـلاً

سـمـعتُك والحـمـامُ يكفُّ رِجْـلاً
رحلت مُضَـرّجاً واليـأسُ شمسٌ

ويبـسطُ للهـجـوم عليك رجْـلا
مـسـعَـرةٌ، وصـــارَ الموتُ ظِلا

وأقـمـشـةُ المســاء تمدُّ ثوباً
وأنت على لسـانِ الجـمـر تمشي

يكفّنُ بائـسـاً سـيـمـوتُ قَـتْـلا
لمسْتَ خـيـوطَ إصـبـاحٍ تَجلّى

كـأنَّ الأرضَ والـلـيلُ احـتـواها
ضـيـاءً فـوق كـرسيٍّ وثيـرِ

عـــجـــوزٌ تـرتدي أثوابَ ثَكْـلى
وهمسَ حكـايةٍ بـالأمس تُـتْلَـى

أيا مـــسكـينُ!! عـذراءُ المآسي
هرعتَ إليـه مـرتعـشـاً ذهولاً

عـقـيمٌ أصبـحَتْ شمطاءَ حُـبْلى
فـقلْتَ: أأنت عـرشٌ؟ قـال: كـلاّ!

جمـعْتَ سوادَ حظّكَ في الليالي
فـهـذا الحـضنُ ليس يراه شـيخٌ

فـصـارَ لعـينك النجـلاءِ كُـحْـلا
كـبـيـرُ السّنِ إلا عـادَ طِفْـلا

طموحك في الـسحائب كـان ماءً
ومـدّتْ كَـفَّـهـا المبلولَ دمـعـاً

هوى حـتى غـدا طيناً ووحْـلا
لتـغـسلَ وجـهَكَ المغـبرَّ غَـسْـلاً

وقلبُك قـد غـدا مـرمىً وحـيـداً
ألا فاصـعد لعـرشك ياصغـيري

فـصـارتْ حـادثـاتُ الدهر نَبْـلا
وصـاحَ فـؤادُها.. أهـلاً وسـهـلاً

أراك وكـلمـــــا ذَبُـلَتْ زهـور

زرعْتَ مكانَـهـا شـجـراً ونخـلاً

*شـاعر سعودي

بين ماتقيين..

□□ احتضنت القاهرة برحابة صدرها هذين المؤتمرين، أما أولهما فهو الملتقى الدولي الأول للأدبيات الإسلاميات الذي عقد لمدة يومين: ١٩٩٩/٧/٣١م و١٩٩٩/٨/١م بجمعية الشبان المسلمين تحت رعاية جامعة الأزهر، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية، وبلغ عدد المشاركين من الجنسين سواء المشاركة بالبحوث أو المناقشة، مائتي مشاركة ومشارك من أرجاء العالم العربي والإسلامي، وقد كان عدد البحوث المقدمة إليه خمسة وثلاثين بحثاً، قدمت المرأة منها ثلاثين بحثاً، بجانب الشهادات التي قدمت لتكريم الراحلة بنت الشاطئ بهذه المناسبة، ومن أهم المحاور: ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المرأة في العصر الحديث، لمحات من أدب المرأة المعاصرة (الإيجابيات والسلبيات)، دور الأديبة الإسلامية في النهضة، المرأة وأدب الطفل.

كما أعقبه أمسية شعرية شارك فيها أكثر من خمسة وثلاثين شاعراً وشاعرة. وبرغم الطابع الأدبي للملتقى، فقد كان للجانب التنويري حضوره القوي في البحوث المقدمة ومناقشاتها؛ كشفاً عن أهمية دور المرأة المسلمة في النهضة والتقدم، والتنشئة السوية للأبناء، والتوجيه القويم للإبداع النسائي، والحث على وجوب مواكبة حركة نقدية إسلامية لهذا الإبداع بمختلف فنونه الأدبية.

هذا برغم أن بعض البحوث التي قدمت لهذا الملتقى كان يعوزها المنهجية والعمق، وإن كانت قد حاولت أن تقدم تحليلاً لنماذج من شعر المرأة، وصورة لتناولها خلال الروايات عند بعض الكتاب.

أما المؤتمر الثاني وهو «مائة عام على تحرير المرأة»، بمناسبة مرور مائة عام على كتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين فقد نظمه المجلس الأعلى للثقافة في مصر لمدة الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر الماضي، وقد شارك فيه مايقرب من مائة وثمانين مشاركاً ومشاركة من أرجاء العالم العربي، وقدم فيه عدد من البحوث يقارب ماقدم في الملتقى الدولي للأديبات الإسلاميات، وقد كان من أهم محاوره، المرأة والإسلام، قاسم أمين ورائدات تحرير المرأة، والممارسة السياسية للمرأة العربية، والمرأة في خطاب النهضة، والأوضاع القانونية، وتهميش المرأة في التاريخ، والجسد الأنثوي، كما قدمت العديد من الشهادات، وتم عرض بعض الأفلام التي يمكن أن تتصل بهذه المحاور.

وقد حظي المؤتمران بتغطية إعلامية طيبة، لكن من المفارقات حقاً أن يصبح «الجسد الأنثوي» محوراً لإحدى الموائد المستديرة في «مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة» مما كان مدعاة لأحاديث نسائية لا تليق بمؤتمر علمي تنويري، كما قال الأستاذ سامح كريم محرر صفحة «الأهرام الأدبي» يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩٩/١١/٢م.

وبرغم أن هذا المؤتمر يعقد بعد مائة عام من صدور كتاب

الملتقى الدولي الأول للأديبات ومؤتمر مائة عام على تحـ

ـــات الإســـــلاميات
ـــرير المـــــرأة

بقلم الدكتور:
سعد أبو الرضا

تحرير المرأة لقاسم أمين، فما يزال الحديث معاداً وجارياً حول تحرير المرأة، وكأن قرناً من الزمان لم تضف فيه المرأة جديداً إلى هذه القضية، حتى إن بعض الكتاب يرون أننا كلما أحسسنا بشيء من التقصير والتخلف، ظهرت قضية تحرير المرأة كسبب من أسباب ذلك، مما جعل د. مصطفى عبدالغني يرى في مقاله الأسبوعي في أهرام ١٩٩٩/١١/٨م أن الكتاب الذي أعاد طبعه المجلس الأعلى للثقافة بهذه المناسبة وهو كتاب «الاكتراث في حقوق الإناث» لمحمد مصطفى بن الخوجة الجزائري الذي كتبه سنة ١٣١٠هـ، داعياً إلى الاهتمام بالمرأة وإعطائها حقوقها الإنسانية، يحمل مناخ نهاية هذا القرن، برغم تأليفه في بدايته تقريباً.

ولذلك فقد كان من الأجدى لهذا المؤتمر أن يرصد المتغيرات ثقافياً وسياسياً وفنياً واجتماعياً، لا أن نظل ندور قرناً كاملاً في نفس الدائرة، دون إضافة إنسانية تذكر.

وهذا الرصد قد تحقق فعلاً إلى حد كبير خلال النتاج الأدبي والنقدي الذي عرض في الملتقى الدولي الأول للأدبيات الإسلاميات، فكشفت بعض التحليلات لبعض الدواوين الشعرية عن فاعلية المرأة في الحياة، وإسهامها الإيجابي في أداء دورها في رقي المجتمع، ورعاية الأبناء، كما بينت بعض التحليلات لبعض الروايات أهمية أثر المرأة في تحقيق التقدم، وما حققته من نيل لحقوقها الاجتماعية.

وكم كان المرء يتمنى أن تتكامل مؤتمراتنا في مختلف المجالات بحيث يصبح مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة امتداداً للكشف عن الجديد الذي لم يلتفت إليه المؤتمر السابق عليه، وهكذا تتقدم حياتنا الفكرية والثقافية والاجتماعية والفنية، بفضل هذا التواصل المرجو، خاصة والقاهرة هي التي احتضنت المؤتمرين كليهما.

بل من المفارقات أيضاً أن يستثير المؤتمر الثاني قرائح بعض الكتاب، فيطالب بتحرير الرجل من تسلطه إزاء المرأة، وكأن تسلط الرجال قد أصبح هو أهم مايسم العلاقات الإنسانية بين الرجل والمرأة، بدلاً من التعاون والمودة والسكن الذي أوصانا به المولى جلَّ وعلا بقوله: «الذي خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة»، بل والرعاية وحسن أداء المسؤولية التي أوصانا بها الرسول صلى الله عليه وسلم، بقوله «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» «الحديث».

فمتى يصبح حساب الإيجابيات والسلبيات، والرصد الدقيق للمنجزات الإنسانية من أهم المعايير لما نقيمه من مؤتمرات على كافة المستويات والأصعدة إسلامياً وفنياً وفكرياً وإنسانياً؟!

حقيقة الأدب الإسلامي

■■ إذا كان التصور الصحيح لإسلامية الأدب هو- كما يقول أنصاره ومريدوه - تحريره من التبعية والنفوذ الأجنبي الوافد، والتماسه منهج القرآن الكريم في تصور الأداء والمضمون للأدب، من خلال عطاء النفس المؤمنة، والوجدان الأصيل، المؤمن بالله تبارك وتعالى، الملتمس لرضوانه، الراضي بقضائه، والذي يسلم نفسه لله تبارك وتعالى، إسلاما كاملا في سبيل الوصول إلى السكينة والأمن ورضاء النفس، دون أن يؤثر ذلك في إرادة الإنسان وحريته في التصرف والتزامه الأخلاقي(١).. إذا كان التصورالصحيح لإسلامية الأدب هو بهذه المثابة، فإن الداعين إلى الأدب الإسلامي يكونون قد كسبوا المعركة من الجولة الأولى، في مواجهة المعارضين الرافضين لهذا اللون من الأدب: سواء أكانت معارضتهم منصبة على المصطلح فقط «الأدب الإسلامي» دون المحتوى، أو على كليهما معا، لأن الفن في نظر الإسلام - والأدب لغة من لغاته - هو ما يهتف بالإنسان عن طريق الصورة الجميلة، أو الكلمة الراقية، حاثا له على أن يتذكر دائما أنه خليفه الله في أرضه، وأنه يجب أن يصعد دائما في مدارج الكمال، ليحقق في نفسه أكبر قدر ممكن من الرفعة والاستعلاء على صغائر الخصال الحيوانية.

الأدب الإس
من خلال تص
كان من ال
بقدر اهتمامه بنج

بقلم:
صديق بكر علي عيطه

ولذا كان من الحق والواجب، أن ننسب الفضل لأصحابه في تعريفهم «الأدب الإسلامي»، فقد عرفه الأستاذ محمد قطب في كتابه «منهج الفن الإسلامي» بقوله: «هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود». «هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان».

«هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين «الجمال» و«الحق»، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال. ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود»(٢).

وهو تقريبا ما عناه الأستاذ الدكتور جابر قميحة عندما عرفه قائلا: «هو ذلك الأدب الذي ينبع من التصور الإسلامي للكون والحياة في قوالب فنية آسرة»(٣).

وهذا التعريف، هو ما تعضده - صراحة أوضمنا - كل التعريفات والدراسات التي أطلقها أو قام بها أدباء وكتاب هذا الفن الإسلامي الراقي إلى أن استقر تعريف رابطة الأدب الإسلامي له بأنه «التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي».

ولقد احتل «الأدب الإسلامي» هذه المكانة العالية في نفوس الأدباء والنقاد، الذين دعوا إليه ووطدوا أركانه، لما للأدب - عامة - من بالغ الأثر في حركة الحياة وتحديد اتجاه هذه الحركة، واختيار منهج الأفراد والجماعات، فالأدب هو «المحرك الأول للمجتمعات، والدافع للبحث بالطرق المؤدية إلى خدمة المجتمع وتحريك الناس من الجمود الذي قد يؤدي بهم إلى الموت، والمجتمع الذي يصل إلى الجمود، مجتمع ميت، والموت ضد طبيعة الحياة المتحركة المتغيرة، ولهذا نجد أن بعض المجتمعات يصل في حركته إلى الأوج، والبعض الآخر ينحدر إلى الحضيض، وكل ذلك راجع إلى حركة المفكرين العاملين، والأدباء منهم خاصة الذين يبحثون عن المزيد من المعرفة والإدراك ولايرضون لمجتمعاتهم أن يدركها الجمود الذي يؤدي إلى الموت»(٤).

ولذا كان من اللازم على الأديب أن يهتم بمخزونه الثقافي والأخلاقي، بقدر اهتماه بنجاحه في أداء رسالته: سواء من حيث اتساع رقعة ذلك المخزون وعمقه، أو من حيث نظافته وطهارته، وهو مايشكل مسئولية الأديب أمام فنه، هذه المسئولية التي تتمثل في أن يوفر له - كما يقول الدكتور عبدالحكيم بلبع - كل مقومات النجاح من ثقافة خصبة أصيلة، تمتد إلى مختلف المعرفة الإنسانية، فكل أديب بل وكل مفكر محتاج إلى أن يعرف عن زمانه وعصره ما استطاع، فثقافة العصر هي التي تمنح الأديب القدرة على تفهم احتياجاته ومشكلاته، ولكن هذا لايعني أن تنقطع صلة الأديب بتراثه وثقافة ماضيه، بل يجب أن تتوطد صلته بهذا التراث وأن يعمق إيمانه به وثقته فيه بوصفه مصدراً مهماً من مصادر المعرفة، فكل ثقافة حاضرة ليست في حقيقتها إلا امتداد واستمراراً على صورة ما للثقافة الماضية، وتلك الحركة الموصلة بين كل ماهو قديم وجديد هي أمر طبيعي في كل مجال من مجالات النشاط الإنساني(٥).

فالأديب والمفكر، كلاهما يستعيد بصورة أو بأخرى ماسبق له من خبرات أو مهارات، ومما لاشك فيه «أن الخبرات النظرية لأي فرد من الأفراد هي مجموع معلوماته العقدية والفكرية والسياسية التي استقر عليها والاقتناعات التي كونها في نفسه وسلوكه إزاءها، وهذه الخبرات النظرية والعملية متشابكة وغير متوازنة، يزيد بعضها وينقص حسب ميول الفرد واتجاهاته ونوعية تربيته الفردية والاجتماعية، فقد تكون الخبرات الفكرية لفرد ما أضعاف خبراته الاجتماعية، وقد تكون خبرات آخر العقدية ضئيلة جداً بينما خبراته السياسية واسعة.. وهكذا أما الخبرات الفنية فلابد من وجود حد أدنى، وإلا قلنا للأديب عليك أن تعود إلى مقاعد الدرس.

«ولعل أول مكونات الخبرات النظرية - الإطار العام - هو العقيدة، والعقيدة هي كل مايعتقده الفرد سواء أكان سماوياً أم بشرياً من صنع العقل الإنساني، وذلك أن الإنسان مرتبط دائماً بعقيدة معينة، وحاجته إليها فطرية تلازمه في كل زمان ومكان، لأن فيه ميلاً غريزياً إلى تبني عقيدة ما، توحّد أو لاتوحد، بل إن الإلحاد في ذاته عقيدة، لأنه يضع الطبيعة أو الإنسان مكان الألوهية، لذلك لا يمكن أن يتجرد الإنسان من العقيدة»(٦).

■■■

هذا فيما يتعلق بقيمة الأدب في تربية الأمم، وتوجيه حركة حياتها، وماينشأ عن ذلك من ضرورة تنقية الأديب فنه مما قد يشوبه من فساد العقيدة، أو انحراف السلوك والآداب النفسية العامة.

فإذا ما استعرضنا حياتنا الثقافية العامة، وجدناها قد عانت الكثير من الضربات

لامي.. هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان

ور الإسلام للكون والحياة والإنسان

لازم على الأديب أن يهتم بمخزونه الثقافي والأخلاقي

احه في أداء رسالته

الموجعة، التي كان لها الأثر البالغ في زحزحة الأدب العربي الأصيل، وبخاصة الشعر عن مكانته، أو على الأقل، فقدانه كثيراً من المساحة الثقافية، التي كان يحتلها لقرون طويلة تمتد في أغوار الزمن إلى ماقبل الإسلام بحوالي مائتي سنة، حتى مشارف عصر النهضة، وذلك بالرغم من هذا السيل الجارف الذي تصبه على آذاننا صبّاً كل منافذنا الثقافية: مسموعة كانت أو مرئية أو مقروءة، مما يسمى شعراً.. ومع ذلك فإنك لاتكاد تظفر إلا بالقليل النادر جداً من الشعر، الذي يثري الوجدان، ويلهب المشاعر، ويعكس من الإنسان صورته الحية، النابضة بالحياة، والتي تتجاوب مع الكون آخذة ومعطية في حركة دائبة دائمة ـ حتى ولو مات صاحب النص ـ في صدق لتضيف إليه ماينمي المشاعر وتظل نبعاً فياضاً، يضاف إلى ينابيع الفكر والثقافة والأدب الخالدة.

والسر في ندرة هذا النوع من الأدب، تأثر الأدباء والنقاد بالثقافة الغربية، التي وفدت إلى الشرق مع قدوم الحملة الفرنسية، ثم مع العلماء والمدرسين الذين استقدموا من الغرب، للإسهام في قيام «حركة التنوير» حسبما أطلق عليها فيما بعد، أو قل إساءة الإفادة منها لدى الكثيرين، وبخاصة في مرحلة مابعد الثلث الأول من القرن العشرين ـ إذ لم يكن هناك بد من التأثر والتأثير بين الآداب العالمية.

ومما وفد إلى الشرق مع الاتصال الحضاري بالغرب، المذاهب الأدبية الغربية، التي خضع الشعر العربي لها «خضوع استسلام ومتابعة، ونحن نعلم أن هذه المذاهب لم تنشأ مصادفة، بل هي نتيجة طبيعية لأمرين لابد من تحققهما:

الأول: وجود قاعدة فلسفية تحدد أصول النظرة التجريدية

الثاني: وجود عوامل تطور في المجتمع من حيث نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي يتيح لتلك النظرة التجريدية فرصة السريان والتأثير»(٧).

ومن هنا نرى النظريات الغربية، وقد شطت بعيداً عن التصور الإسلامي للأدب: فهي، إما تقوم على فلسفة مادية بحتة لاعلاقة بينها وبين متطلبات الروح الإنساني، وإما تعيش بين أجواء الخيال المجنح الذي يبعد عن الواقع الإنساني ويبعد بالأدب عن غايته الأخلاقية في توجيه بني الإنسان، وإما تغوص في بحار من الغموض الرمزي، ثم السريالي، مما أخرج الأدب عن مهمته الجليلة، التي تجمع في رباط أخوي وتلاحم عضوي بين العقل والعاطفة، وبين المادة والروح.

■■ الأدب الإسلامي يغطي الحياة بجانبيها المادي والروحي

أما المفهوم الإسلامي للأدب فإنه:

١ـ يغطي الحياة الإنسانية بجانبيها: المادي والروحي معاً، ويصور الإنسان في حال ارتفاعه وسقوطه، نصره وهزيمته، قوته وضعفه، ليخرج في النهاية بخلاصة كريمة لائقة بخليفة الله في أرضه، ومانيط به من مهام في هذه الحياة، ولاتصور من لحظة السقوط بطولة للإنسان، وإنما تصورها لحظات عابرة في تاريخه الطويل، يجب أن يرتفع فوقها إذا هو سقط فيها، لأنه يتلخص في عاملين، أساسيين: نفخة من الروح، وقبضة من الطين، تم بينهما ذلك اللقاء الذي أراده الله تعالى في هذه الدنيا.

٢ـ هو أدب واقعي يجره جوادان لايستغني بأحدهما عن الآخر: العقل، والعاطفة، فالعقل، إنما يمثل جانب المادة، التي بها يعمر الكون، وتسوخ قدما الإنسان في تربة الأرض ليبني حضارة، تتقدم به في مضمار المدنية الحديثة، التي تسخر عناصر الوجود بأفضل صورة ممكنة، أما العاطفة، فهي التي ترسخ قوى الترابط بين بني الإنسان، وهي التي تمد أشواقه الطائرة بزاد من القوة، التي تصل مابين الأرض والسماء، حتى لاتستبد به المادة، وتحوله إلى وحش كاسر، لا يرعى في الله لأخيه إلاً ولاذمة.

٣ـ لابد أن تتوافر فيه الفائدة العملية والمتعة النفسية معاً، الفائدة العملية التي تشبع لديه حاجاته الضرورية، وتقيم أوده وتحقق له وجوده وأمانيه. أما المتعة النفسية، فهي التي تمده بزاد من القوة الروحية، وتجعله قادراً على التحدي، مستمسكاً بالحياة في أنقى صورها، وأشرف معانيها.

إن المذاهب الأدبية الغربية، إنما تصدر عن رؤية إسلامية، ترتكز على مفاهيم وتيارات خطيرة، تتلخص في هذه النظريات الأربع:

ـ نظرية فرويد، وما يتصل بها من تصور، أن الجنس وحده هو المنطلق الذي تندفع منه الرغبات الإنسانية.

ـ نظرية التطور الداروينية، وما يتصل بها من تصور مطلق، يتصل بالمجتمع كله، وأن الإنسان حيوان ناطق.

ـ نظرية ماركس، ومايتصل بها من أن حركة الحياة تحكمها لقمة العيش.

ـ الفلسفة المادية التي تقرر أنه لايوجد إلا المحسوس وحده وأن الغيبيات والنبوة والأخلاق غير معترف بها.

أما الأدب الإسلامي، فإنه يقوم على التصور الإسلامي الذي يعتمد على القواعد الأساسية الآتية:

١ـ تأكيد الانتماء الإسلامي، والالتزام الإسلامي، ومسئولية القلم.

٢ـ إعادة الثقة إلى النفس الإنسانية في مغفرة الله تبارك وتعالى ورحمته وفتح صفحة جديدة مع العمل الصالح.

٣ـ الارتقاء بالإنسان، وتجاوز حالات ضعفه، وعدم التركيز على نقائصه أو تحسينها.

٤ـ التصدي للحركات الأدبية، والمناهج الأدبية المنحرفة، وإبراز مخاطرها وسيئاتها ومفاسدها.

٥ـ توجيه المجتمع إلى الاستعلاء على الفاحشة والإباحية، والعودة إلى الأصالة والمناهج والقيم الإسلامية العليا(٨).

هذه هي القواعد التي يقوم عليها التصور الإسلامي للأدب، وهي ذاتها هموم الأديب المسلم، أوهي ماينبغي أن يشغله، وهو يحمل هموم مجتمعه، لينظر إليه من خلالها كمعايير أخلاقية، إذا كان ـ حقاً ـ يقدر الكلمة، وقيمتها وموقعها في بناء المجتمع المسلم.

■■■

ولأهمية الإخلاص لهذا الاتجاه الأدبي، وخطورة موقعه في بناء المجتمع المسلم، يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه «منهج الفن الإسلامي»: «والفن الإسلامي ينبغي أن يصدر عن فنان مسلم، أى «إنسان» تكيفت نفسه ذلك التكيف الخارجي الذي يعطيها حساسية شعورية تجاه الكون والحياة، والواقع بمعناه الكبير، وزود بالقدرة على جمال التعبير، وهو في الوقت ذاته إنسان يتلقى الحياة كلها من خلال التصور الإسلامي، وينفعل بها ويعانيها من خلال هذا التصور، ثم يقص علينا هذه التجربة الخاصة التي عاناها، في صورة جميلة موحية.

«وهذا هو الذي لم يتيسر من قبل في الأدب العربي ـ لسبب من الأسباب ـ والذي توجد منه اليوم بواكير متفرقة تنبيء بأنه قد ولد بالفعل، وأنه في طريقه إلى التكامل والنضوج.

«وصحيح ـ من ناحية أخرى ـ أن المسلم وحده هو الذي تتسع نفسه للتصور الإسلامي الكامل، لأن هذا التصور هو المقتضى الطبيعي المباشر لحقيقة إسلامه، ولأن الإنسان لايصل إلى هذا التصور الكامل الشامل حتى يكون قد أسلم نفسه لله على طريقة الإسلام وبمفهوم الإسلام.

«ومع ذلك فإن التصور «الفني» الإسلامي للكون والحياة والإنسان، هو تصور كوني إنساني.. مفتوح للبشرية كلها، لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان، ويلتقي معه كذلك من حيث هو إنسان. ومن ثم يستطيع أي «إنسان» أن يتجاوب مع هذا التصور، ويتلقى الحياة من خلاله ـ بمقدار ماتطيق نفسه هذا التلقي وذلك التجاوب، فيلتقي مع الفن الإسلامي بذلك المقدار»(٩).

فالأديب المسلم والأديب غير المسلم يلتقيان حول رؤية واحدة تتطابق مع وجهة النظر الإسلامية، حينما يحتكم غير المسلم إلى فطرته النقية، التي تستحسن الحسن وتستقبح القبيح في القول والفعل.

فمثلاً عندما نرى أحد المشركين وقد سمع قول الله تبارك وتعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون» ترى هذا الرجل يقول: إن رب محمد يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الفحشاء والمنكر!! والله، لو لم يكن هذا دنيا لكان في ميزان الأخلاق حسنا!!

وعندما نرى الوليد بن الغيرة يقول عن القرآن مخاطباً قريشاً: «والله لقد سمعت من محمد كلاماً ماهو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولايعلى عليه، وإنه ليحطم ماتحته».

عندما نرى هذا الكلام وذاك يجريان على لسان المشركين في لحظة عابرة من ليل أونهار، ندرك أن «الإنسان» أديباً كان أو غير أديب، حينا يخلص إلى نفسه، وتتخلص هي من أدران الشرك، وأوهان العبودية لغير الله تعالى يمكن «أن يتجاوب مع هذا التصور، ويتلقى الحياة من خلاله بمقدار ماتطيق نفسه هذا التلقي وذلك التجاوب».

ليس معنى هذا أن نطلق على ما أنتجته قريحة الأديب غير المسلم من هذا كنوع أدباً إسلامياً أو أن نتخلى عن شرط أن يكون الأديب مسلماً، وإنما يعني هذا أن الأدب الإسلامي، إنما هو أدب الخلق الرفيع والأهداف النبيلة، التي تلتقي في رحابها وتحت دوحتها قرائح «البشر» عندما تخلص من كل مايشوب فيه إنسانية «الإنسان».

ويكفي في تبرير هذا الشرط في اعتباره أدباً إسلامياً، أن الأديب المسلم هو الإنسان الذي يتلقى الحياة كلها من خلال التصور الإسلامي، وينفعل بها ويعانيها من خلال هذا التصور، ثم يقص علينا هذه التجربة الخاصة التي عاناها، في صورة جميلة موحية» فشرط إسلام الأديب هنا، إنما كان لضمان عنصر الصدق الشعوري الذي هو شرط القبول في أي عمل أدبي أو فني.

■■ هوامش:

(١) أنور الجندي ـ مجلة الأدب الإسلامي ـ المجلد الأول ـ العدد الثاني ص٣.

(٢) ص٨.

(٣) مجلة الدارة ـ العدد الأول ـ السنة العشرون ص١١١.

(٤) عبدالله زكريا الأنصاري ـ الثقافة. عدد مارس ١٩٧٤ ص٣٠.

(٥) مجلة الثقافة «ماهية الأدب ومسئولية الأديب في العصر الحديث».

(٦) د. عبدالباسط بدر ـ مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ص ٢١، ٢٢.

(٧) د. محمد مصطفى هدارة ـ مجلة الأدب الإسلامي السنة الأولى ـ العدد الثاني.

(٨) أنظر أنور الجندي في «مجلة الأدب الإسلامي» ومجلة «الثقافة».

(٩) ص ١٨٢ ، ١٨٣.

□□□

قراءة في ديوان..

مهرجان القصـ

● يتميز الشاعر والأديب والناقد الأدبي الدكتور عدنان علي رضا النحوي في جُلّ شعره بسطوع المنهج الإسلامي، بخصائصه الفنية والموضوعية المنبثقة من قيم الإسلام الحنيف، وذلك يتجلّى بيسر في دواوينه التي صدرت ومنها «الأرض المباركة» و«موكب النور» و«جراح على الدرب» و«مهرجان القصيد».. موضوع هذه الدراسة: والاتجاه الإسلامي الذي يتجلّى في الطرح الشعري للدكتور عدنان النحوي يواكبه ويعززه فكر أدبي تنظيري طرحه في أكثر من كتاب.. يحدد فيه مفهوم الأدب الإسلامي عامة، والشعر خاصة، وأبعاد هذا الأدب وآفاقه وخصائصه، ويفند النظريات الأدبية التي تتعارض مع إسلامية الأدب ويبين تهافتها وما تنطوي عليه من خَبث فكري يتسلل إلى النفس المستجيبة لتأثيرها؛ فيودي بكل قيمة جميلة فيها، ويدفع بها إلى ظلمات الضياع والشك ومتاهات العبث.. ومن هذه الكتب «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته».. و«تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها».. و«الحداثة في منظور إيماني».. ومن ثم فإن الاتجاه الإسلامي في شعر الدكتور عدنان النحوي إنما يجيء مرتكزاً على أسس فكرية راسخة في عقله ووجدانه، مردها إيمانه العميق برسالة الإسلام الشاملة التي تستوجب على كل أديب مسلم ألاّ ينحرف عن التصور الإسلامي في كل مايطرحه على الناس من إنتاج أدبي.

❑❑❑

وشاعرنا وهو مفكر إسلامي ومنظر وناقد أدبي يدرك أن إسلامية الأدب لاتعني تكريسه لنطاق موضوعي محدد، يتمثل في الدعوة والإرشاد والوعظ، أو التفاعل مع المناسبات الإسلامية.. وإنما يشمل ذلك في جانب من جوانبه، ثم ينطلق إلى آفاق رحبة، يعبر فيها الشاعر والأديب عن أفكاره ومشاعره ورؤاه وانفعالاته ـ على تنوعها ـ ملتزماً بالغايات الإسلامية العليا، وتصور الإسلام الحنيف للإنسان والحياة والكون.. ومن هنا جاء النتاج الشعري للدكتور عدنان النحوي ثرياً في أفكاره، متنوعاً في موضوعاته، خاصة في هذا الديوان.. فالديوان زاخر بالعديد من القصائد التي يتفاعل فيها الشاعر مع واقع أمته الإسلامية وأحداث حاضرها.. فيئن طرحه الشعري بآلامها، وينعي خمولها وغفوتها، كما ينبض بالأمل في غد أفضل لها، ويزخر الديوان أيضاً بقصائد عديدة يتفاعل فيها الشاعر بالمناسبات الإسلامية، ويتعايش مع تاريخ الأمة المجيد، مسقطاً رؤيته الفنية على الحاضر بما يمور به من أحداث، ويثقله من مآس، وبالديوان إلى جانب ذلك قصائد عديدة تتسم بالطابع الوجداني والتأملي وتكشف عن جوانب من حياة الشاعر الخاصة وعلاقاته الاجتماعية، وأيضاً قصائد ذات نزعة فكرية تحدد الموقف الفكري للشاعر حيال بعض القضايا الأدبية والاجتماعية والفلسفية.. بيد أن كل هذه الجوانب والأبعاد الموضوعية ينتظمها ـ على تنوعها ـ منظور إسلامي واضح الرؤية سامي الغايات.

دراسة بقلم:
أحمد محمود مبارك*

● وقبل أن نعرض بالتحليل لمقتطفات من بعض قصائد الديوان التي تندرج في كل تفريع موضوعي من التفريعات السابقة.. نجد أن ثمة أمراً جديراً بالذكر يتعلق بالشكل الفني الذي

ـــيد

الشاعر الدكتور عدنان النحوي

آثره الشاعر كإطار لقصائده.. وهو شكل ثابت لايختلف من ديوان لآخر، فالشاعر ليس من الشعراء الذين يرون أن الموضوع يختار شكله، وبالتالي يتسم موقفهم حيال الشكل بالمرونة، وإنما هو يختار الشكل العمودي كشكل وحيد لقصائده. بحيث يرى أن الخروج عليه هو خروج على الشعر.. يدفع بالعمل الأدبي لدائرة النثر. فهو لايرفض فحسب مايسميه الحداثيون «بقصيدة النثر»، وإنما يرفض كل خروج على الشكل المحافظ للقصيدة في صورة «الشكل التفعيلي» وإن كان هذا الشكل «التفعيلي» معتمداً في بنيته الفنية على تفعيلات البحور الموسيقية الخليلية، وعلى موسيقى القوافي غير الموحدة في القصيدة ككل، أوفي مقاطعها، وعلى الرغم من أن هذا الموقف الفني للدكتور عدنان النحوي يدلل عليه إنتاجه الشعري كله، فإنه إلى جانب ذلك آثر أن يدونه في بعض مؤلفاته النقدية، كما في مقدمة ديوانه مهرجان القصيد.. حيث يقول: «لقد كان الوزن والقافية شرفاً لهذا النوع من القول، وسيبقى مشرِّفاً له مابقيت اللغة العربية، ولايمكن اعتبار الشعر الحديث، المنثور وصاحب التفعيلة شعراً أبداً. إنه إذا استطاع أن ينهض لمستوى الأدب فهو نثر لا علاقة له بالشعر»(١) فالشاعر هنا يحسم موقفه من قضية الشكل. غير أننا يجب أن نشير إلى أن موقف الشاعر من هذه القضية ليس مرده المنهج الإسلامي.. بمعنى أن إسلامية الأدب لاتحتم أن يكون الشعر عمودياً. وتخرج بالتالي الشعر ذا الشكل التفعيلي من نطاق الاتجاه الإسلامي. ذلك أن منظور الإسلام الحنيف للإبداع الشعري هو منظور موضوعي في الأساس. بحيث يخرج عن نطاق الاتجاه الإسلامي كل مايتعارض مع التصور الإسلامي والغايات الإسلامية العليا وقيم الدين الحنيف من إنتاج شعري. حتى لوكان ذا شكل عمودي.. وليس بغائب عن الذهن أن شعر مشركي قريش من الشعراء «الذين يتبعهم الغاوون».. وشعر الشعراء الماجنين في العصر العباسي، بل شعر بعض المعاصرين المكتوب وفق النظام العمودي ينطوي على كثير من الأفكار والمضامين والرؤى التي تتعارض مع قيم الإسلام وتصوره، من ثم فإن موقف الشاعر من هذه القضية هو موقف شخصي.. فني وذوقي في الأساس.. وهو موقف ليس لنا أن نعترض عليه فهو يؤثر في طرحه الشعري الشكل الأصيل الذي كان ولم يزل ديواناً للعرب، وإن كنا لانتفق معه في نظرته «الحادة» للشعر التفعيلي.. إذ أننا

قراءة في ديوان.. مهرجان القصيد

نرى أن الشعر التفعيلي بموسيقاه المعتمدة على تفعيلات البحور الخليلية، وقوافيه ـ التي وإن لم تكن تجيء وفق نظام موحد ثابت ـ فإنها تلعب دوراً مهماً في البناء الموسيقي والتشكيلي ـ، نقول: إننا نرى أن هذا الشعر هو نتاج طبيعي وشرعي للشعر العمودي الأصيل، غير منبت الصلة به.. وأنه لايُفقد القصيدة خصوصيتها الفنية التي تميزها عن النثر الأدبي.. ولهذا فإن عدداً كبيراً من النقاد والشعراء الإسلاميين يرون في الشعر التفعيلي إضافة فنية غير مقطوعة الروابط «بديوان العرب» وحسب المتابع أن يرصد في كل قطر إسلامي أكثر من شاعر مجيد، يجمع في طرحه الشعري بين الشكلين العمودي والتفعيلي.

وإذا ماشئنا تناول بعض قصائد الديوان وفقاً للتقسيم الموضوعي الذي أشرنا إليه.. فإن أول مايستوقفنا هو تلك القصائد التي يتفاعل فيها الشاعر مع واقع أمته الإسلامية وقضاياها، بحيث يتوحد هم أمته العام مع همه الشخصي.. فيغدو شعره معبراً عن آلامها، وصورة لواقعها، ونابضاً بآمالها.. حتى إنه في ابتهالاته للمولى عز وجل. ملتمساً من خالق الكون فيضاً من كرمه وعونه. إنما يتحدث بضمير الأمة، معبراً عن واقعها، حاملاً همها، ملتمساً من المولى لها الفرج والعون.. وهذا يتبدى منذ القصيدة الأولى بالديوان وهي بعنوان «دعاء وابتهال»(٢) حيث يقول مفتتحاً قصيدته بالابتهال إلى الله عز وجل:

إلهي وفي جنبيَّ خفقةُ وامقٍ
وإنيَ أوّاب إليك وخائفُ

.. ثم لايلبث بدءاً من البيت الثاني للقصيدة أن يكشف عن أن صوت الأمة متوحد بصوته المبتهل، وأن نبض قلبه الوامق هو نبض أمته المثخنة بالجراح.

وفي الدار أهوالٌ تمورُ وفتنةٌ
تدور ودمع بين ذلك نازفُ
ودفقُ دماء والضحايا تناثرتْ
زلازلُ جُنّت حولنا ورواجفُ

ويتصاعد تصوير الشاعر لواقع الأمة منطوياً على صور جزئية مترابطة، توحي بعمق المأساة، ثم نلمس تأثر الشاعر في تعبيره بالحديث النبوي الشريف، بمدلوله الإيحائي الكاشف عن السبب الرئيس لما آل إليه حال الأمة وهو الوهن رغم الكثرة..

تهافتت الدُّنيا علينا فأقبلت
حشودٌ توالت في الديار زواحفُ
كأنهمو مالوا على قصعة لهمْ
فضجت لها أحشادهم والطوائفُ

ويجنح الشاعر إلى التفصيل التعبيري بعد تصوير يتسم بالعمومية.. حيث يقول:

إلهي وهذي أمتي مزَّق الهوى
قواها وغشَّاها هوى وزخارفُ
يقودُ خطاها في الدياجير تائهٌ
ويدفعها بين الأعاصير واكفُ
فهنَّا وداستْنا زحوفٌ ومُرِّغت
جباهٌ وأهوى في الوحول غطارفُ
هناك على «البوسنا» دواه وفتنة
وفي أرض «كشمير» لظىً وقذائفُ
وهذي فلسطين المدماة ويلنا
يغيب تليد المجد منها وطارف

.. وإزاء تلك المآسي التي تعانيها الأمة الإسلامية، وتلك الغفوة التي أودت بهممها وكبّلت صحوتها فإن الشاعر وهو يعبر بشعره عن آمال أمته في الخلاص مما تعانيه.. يلجأ للمولى عز وجل كي ينقذ هذه الأمة التي تتخذ الإسلام ديناً، على الرغم من الوهن الذي يعتريها والغفوة التي تكبلها.. والتشتت الذي يغشاها:

إلهي: فَمَنْ للمسلمين وقد غفوا
وما أيقظتهم آيةٌ ومصاحفُ
إلهي أعِنَّا واسكُب النور بيننا
بأفئدة ضاقت عليها المصارفُ
وألِّف قلوباً فرق الحقدُ بينها
وقد يجمع الأضداد يوماً تآلفُ
وهبنا يقيناً في القلوب لعلَّنا
نهبُّ إلى ساحاتنا ونشارفُ
ونحملُ للدنيا رسالة ربِّنا
نخاصم في هَدْيٍ لها ونعاطفُ

● وفي نطاق تفاعل الشاعر مع المناسبات الإسلامية، وتعايشه مع تاريخ الأمة المجيد، تستوقفنا قصيدة «مواكب بدر»(٣).. وهي قصيدة جيدة السبك، جزلة العبارات شفيفة التصوير. تكشف عن حس إسلامي عميق. نقتطف منها قول الشاعر وهو يسترجع الذكرى المضيئة لغزوة بدر الكبرى:

ها هنا نفحةُ النبوة من بدر..(م)
وهذي ملاحمُ الفرقانِ
هاهنا تُصنع الرجال وتُبنى
أمةٌ بين آيةٍ وسنانِ
يالبدرٍ! ويالمعركة تمضي..(م)
مُضيَ الدّهورِ والأزمانِ
ينحني عندها الزمان فَيُلقي
شعلاً من عزائم الإيمانِ

ويناشد الشاعر إخوانه الشعراء أن يرجعوا إلى التاريخ الإسلامي المجيد. ليستمدوا من بطولاته وأحداثه المشرِّفة إبداعهم الشعرى.. مستنكراً جفوة البعض لهذا التاريخ المجيد، وارتكانهم إلى الأساطير الغربية يستقون منها قصائدهم. وهنا يتجلى المنظور الإسلامي للشعر ساطعاً جلياً.

ها هنا يُرفعُ القصيدُ ويُبنى
أدبٌ ملهمٌ وفيضُ معانِ
أدب يرتوي البيانُ لديه
من حديث الرسول من قرآن
.....
هاجني الشوق من هوى فتلفَّتُّ..(م)
وناديت أين عزمُ البانى؟
أين أمجادُ أُمتي؟ كيف ترضون..(م)
«أبوللو» ودعوة من هوانِ
ها هنا تزخرُ البطولات في التاريخ..(م)
من صادق الوفاء وحانِ

ثم يجنح الشاعر في هذه القصيدة إلى الحكمة التصويرية المضيئة بنور الإيمان.. حيث يقول:

إن أعلى البيان دفْقُ دماء
فجَّرتْها مواقعُ الإيمانِ
كل حرف يصوغه دم حر
هو نورٌ يسري مع الأزمانِ

● ومن منطلق منهج إسلامي سام يطرح الشاعر رؤيته وأفكاره التأملية مصححاً بعض المفاهيم الخاطئة، مبيناً مايجب أن يتحلى به الشاعر المسلم ـ في انتاجه الشعري ـ من سمات وقيم نبيلة تنبع من الدين الحنيف، وتحول دون الشطط الفكري الساقط والجموح الغرائزي الدنيء.. فيعرض الدكتور عدنان النحوي لقول الشاعر الماجن عطاء الخراساني الذي قال بإيحاء من شيطان غرائزه وخطله الفكري وسوء أدبه مع الله عز وجل:

«خلقتَ الجمالَ لنا فتنةً
وقلتَ لنا ياعبادي اتقونْ
وأنت جميلٌ تحبُ الجمالَ
فكيف عبادُكَ لايعشقونْ»

.. وهذا القول الذي يشوبه الخطل ويسقط في مهاوي الخسة يثير الحس الإسلامي لدى شاعرنا فيعارضه معارضة ناقدة مدحضة حيث يقول في قصيدة له بعنوان «الجمال»(٤) مبتهلاً للمولى عز وجل في خشوع ونور بصيرة.

خلقتَ الجمالَ لنا آيةً
تطوفُ القلوبُ بها والعيونْ
وأبدعتَ في الكون ماتجتلي
عيونٌ وماهو سرٌ دفينْ
وزيّنتَهُ يالهذا الجمال
وهذا الجلال وهذا الحنين
فتخشع في نوره أضلعٌ
وتخفق أشواقُها والشجونْ

وينساب التعبير في دفقات سلسة، مصوراً آيات جمال خلق الله في الكون بشفافية تصويرية، ومن خلال عبارات مموسقة لينهي الشاعر قصيدته بنفحة إيمانية مؤثرة، تفوح بعطر الحكمة النابعة من نفس تنعم بهدى الله:

قراءة في ديوان.. مهرجان القصيد

وما الحبُّ إلا زكيُّ الجمال
نقيُّ الفعال وفاءٌ ودينْ
ومن عرفَ الحَّب لله علَّمه..(م)
اللهُ ترك الخنا والمجون
ففي كل ناجيةٍ آيةٌ
من الحسن تُجْلى وحقٌ يبينْ
تدل على أنكَ اللهُ ربي
ورب الخلائق والعالمينْ
وليس يراها سوى مؤمنٍ
وليس يراها سوى المتقينْ

● وفي قصيدة «مهرجان القصيد» التي اتخذها الشاعر عنواناً لديوانه.. نجده يطرح بجلاء رويته لما يجب أن تكون عليه القصيدة الإسلامية، ومايجب على الشاعر المسلم أن يتحلى به، فينبذ قصائد الهوى والضياع ويجاهد بشعره دفاعاً عن قضايا أمته ونصرة لدينه الحنيف.. وتزخر القصيدة بصور شعرية موحية، متآزرة مع الدفقات الفكرية للقصيدة التي ينتظمها المنهج الإسلامي المشع..

كبرياءُ القصيد يشمسُ عن ذُل..(م)
وينآى عن الهوى والجحودِ
عزةٌ فيه إنه أدب الإسلام..(م)
غرس الإيمان ريُّ العهودِ
لايسفُّ الهوى ولايهبط الحسِّ..(م)
ولاينحني لعصٍّ قيودِ
أدب يرتوي البيان لديه
من حديث من الكتاب المجيد

.. ثم يتصاعد المستوى التصويري للقصيدة لنلمح صوراً شعرية متفردة.. قليلاً ما تزخر بها القصائد ذات المحتوى الفكري، وذلك يتجلى في قول الشاعر. وهو يصور الأدب الإسلامي:

هو رفُّ الندى على الورقِ اليابسِ..(م)
يهتزُ في ربيعٍ جديدِ
هو خفقُ الأوتار بالنغم الحاني..(م)
على بهجةٍ وفرحةِ عيدِ
هو زهوُ الصَّبا التقيُّ وشوقٌ
من عفاف وزينةٌ في برود
هو في الكون آيةٌ حوَّم المجدُ..(م)
فعادتْ روائعاً من نشيد

ثم يؤكد الشاعر أن الدور الذي ينبغي أن يقوم به الأديب والشاعر المسلم المخلص لدينه وأمته، هو المشاركة بنتاج موهبته الأدبية في سبيل الدفاع عن حقوق الأمة.. وبث روح الجهاد والعزم فيها.. فيتحول قلمه سلاحاً.. وفكره نوراً.. في ظل ظروف الأمة التي تعاني من سلب حقوقها، وكيد الأعداء لها، وتخبط أبنائها في مهاوي الفرقة والضياع.

يادِيار الإسلام جُنَّت رباها
بين عادٍ مُرَّوع وحسودِ
.....
لستُ بالشاعر المدلِّ إذا لم
يكُ شعري قذائفاً من وقودِ
وإذا ماانطوى على الغمْدِ سيفٌ
أو خلا السَّاحُ من هوى صنديدِ
سوف يمضي على الطريق قصيدي
كالندى رفَّ في ربيع جديدِ

.. وفي المقابل يدين الشاعر الأدب الساقط.. أدب التائهين والمفسدين في الأرض.. والذي مهما انتشر في ظل ظروف ما، فإن انتشاره مؤقت إذ هو كالزبد سيذهب جفاء.. وسيخلد في الأرض الأدب الإسلامي النافع للناس السامي الغايات.

أدبُ التائهين ليلٌ وخمرٌ
بين كأس محطم أو غيْدِ
أدبٌ دلَّ في الفجور ونامتْ
بين أجفانه جفونُ العبيد
سوف يفنى مع الزمان ويبقى
أدبُ الحقِّ شعلةٌ في الوجود

وفي قصيدته المهداة إلى العالم والأديب الإسلامي الجليل الشيخ أبي الحسن الندوي، وإلى ندوة العلماء في «لكنهو»(٧).. تنطلق الأبيات في عفوية وجدانية مؤثرة،

مضمخة بعبير المنهج الإسلامي مضيئة بضياه.

يادار «لكنو» سلامُ الله يحملهُ
إليك من كلِّ روض نفحةُ الزَّهَرِ
إلى إمامك من قلبٍ ومن كبدٍ
تحيةٌ وإلى فتيانك الزُّهرُ
إلى أبي الحسن الندوي طلعتُهُ
نورٌ يموجُ من الآيات والسُّورِ
وندوةُ العلماء الغرِّ دفقُ هدىً
غنيةٌ بعطاء الحقِّ والذِّكرِ
غيث من الدين رواها ونضرها
ودفقةُ النهرِ عزمٌ غيرُ مُنحسرِ

ويبرز المنهج الإسلامي في مراثي الشاعر لبعض أفراد أسرته ولأصدقائه.. ليتحدد المنظور الذي ينظر الشاعر من خلاله لحقيقة الموت، الأمر الذي يكاد يحيل قصائد الرثاء في ديوانه إلى قصائد دينية بحتة. تكشف عن عمق إيمان الشاعر وتسليمه بحكم الله، ورضائه بقدره، على الرغم مما يخلفه موت الأحباء من آلام وشجون.. ومن بين قصائد الرثاء العديدة بالديوان تستوقفنا القصيدة التي يرثي فيها الشاعر «شاعر الإنسانية المؤمنة» المغفور له عمر بهاء الدين الأميري ـ عليه رحمة الله ـ(٨).. يبدأ الشاعر قصيدته بمدخل وجداني مفعم بالأسى، معبر عن مدى الحزن الذي سيطر على وجدانه الشاعر وأحاسيسه.. حيث يقول:

ليالٍ نُداريها وسَعْيٌ ومطلبُ
وعهدٌ مع الرحمن يوفيه أنْجَبُ
إذا ماكففتُ الدمعَ قلت: انتهى الأسى
فعاد مع الأحزان ماهو أصعبُ
تلفَّتُّ للساحات حيران: ثُلةٌ
توارتْ وأخرى لم تزل تتأهَّبُ

ثم تتجلى الحكمة الإسلامية سابغة على القصيدة سمتها الإيماني، الأمر الذي يحيلها إلى قصيدة دينية تعبدية حين يقول الشاعر:

وما اختلف الغادون إلاَّ بزادهم
فَبَرٌّ يُنجّى أو شقيٌّ يعذَّبُ
وما الموت إلا يقظةٌ بعد غفوة
فحق مُجَلَّى أو غُرورٌ يُكذبُ
وهذا جلالُ الموت حولك آيةٌ
فنخشع للرحمن منها ونرهبُ

ثم تنسكب الدفقات الشعرية الوجدانية الحزينة لتكشف عن مكانة الراحل الكريم في قلب الشاعر، وعن الدور العظيم الذي بذله الراحل الكريم، كشاعر إسلامي مرموق، في سبيل الدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية، ونصرة الدين الحنيف: وما يتسم به الراحل من صفات شخصية هي صفات المؤمن الحق.

أخي عمر: ياويح نفسي! أراحلٌ
وحشدُ القوافي من حواليك نُحَّبُ
وقد كانت الأشعار جَذْلى غنيةً
بجودك والنشْرُ الذي هو طيِّبُ
وقد كنت غنّيتَ الأماني وزهوةً
من الشوق والعزِّ الذي نترقَّبُ
ومازالت الآذانُ تُصغي وتنتشي
ومازالت الأكبادُ تهفو وتطلبُ
فما بالها التاعت: فيا لمصابها
وقد غاب عن أفْقِ البلاغة كوكبُ

.. وفي فقرة أخرى من فقرات هذه القصيدة يسمق المستوى الشعري من الناحية الفنية حيث نجد أنفسنا أمام لوحة شعرية شديدة التأثير والبراعة الفنية.. الأمر الذي يؤكد على سيطرة التجربة الشعرية على وجدان الشاعر وأحاسيسه: وامتلاكه لناصية البيان الجزل المعبر.. كما يؤكد على اصطباغ رؤيته الفنية بالصبغة الإسلامية:

رأيتُك في إشراقة الموت باسماً
وعيناك أسرارٌ وثغرُكَ يُعْرِبُ
كأنك تَلْقى البشريات بما ترى
فيشرق وجهٌ بالهناءة طَيِّبُ
مُسَجًّى حواليك الأحبَّة خُشَّعٌ
كأنك تتلو من عظاتٍ وتخطبُ
دعوتك حتى غاب صوتي من الأسى
وما عاد لي منك الجوابُ المحبَّبُ

قراءة في ديوان.. مهرجان القصيد

شُغلْتَ بما يلقى التقيُّ إذا قضى
وزادك إيمان وشوقٌ يقرِّبُ

● وحينما تومض قصائد الشاعر بالبهجة؛ مشاركاً بعض أصدقائه أفراحهم ومناسباتهم السعيدة، ومعبراً عن فرحته بزواج أحد أفراد أسرته، أو قدوم وليد، فإن التعبير الشعري لايخلو - في هذه الحالة - أيضاً - من نبض الحس الإسلامي.. فالشاعر يهنيء أحد أصدقائه بزفاف ولده قائلاً:(٩)

عطر الشباب زكا وطاب أريجهُ
فاهنأ بنجلك ذاك يومٌ أزهرُ
عرسٌ تموجُ به البشائر كل وجه(م)
فيه من صفو الهناءة مسفِرُ
بدران قد طلعا فهذي ساحةٌ
تُجلى بنورهما ومغنىً يزهرُ

ثم يبث الحس الإسلامي نبضه ونفحاته الطاهرة في بنية القصيدة، فيزيدها سموقاً حين يقول الشاعر بعد الأبيات السابقة آملاً حياة سعيدة للعروسين، يظلها النهج الإسلامي:

ويبارك الرحمنُ جمعهما على
خيرٍ يدومُ مع الرجاء وينشرُ
وندى الظلال ورحمة ممدودة
تغشى وآيات ونعمى تظهرُ
تقوى وعابدةٌ يظلِّل برّها
سكناً ويعبقُ مسكُها والعنبرُ
طابت نفوسكما وطابت همة
وزكا مع التقوى وطاب الجوهرُ

وتتجلى فرحة الشاعر في سمتها الإسلامي - أيضاً - حين احتفل بزفاف إحدى بناته، فعبر عن ذلك قائلاً:

ضمي الورود إلى الورود وغردي
لفتىً تزينهُ الهدايةُ أمْجَدِ
ضُمِّي على ثوب الزفاف زهوره
وعلى جبينك لفتة الغار النَّدِي
أغلى الجواهر نعمةُ الرحمن في
حُسْنٍ وفي خُلُقٍ وعلمٍ مُرْشِدِ
أغلى الجواهر لوعلمت فتىً رأى
دربَ الهدى أعلى وأشرفَ مقصدِ
كوني كما أمر الإلهُ فأخبتي
لله خاشعة الجوارح واسجدي
يارب بارك فيهما وعليهما
واجْمَعْهما بالخير منك وأسعدِ

وكذا الشأن حين يعبر الشاعر عن فرحته بميلاد حفيدة له، إذ يجيء التعبير الشعري مفعماً بأريج الروح الإسلامي حيث يقول(١٠).

صرتُ جداً فهللي ياجدودُ
واسْعدي أشرقت علينا الجدودُ
هي «لبنى» يابشريات أطلي
وانهضي أقبلت علينا السعود
غرسةٌ من منابت الخير والطهر(م)
وعطرٌ من التُّقى مشهودُ
غرسة شهدها الفضائل والبشرُ(م)
وحظ من ربِّها ممدود

●●● وبعد فنرجو أن نكون بهذه الإطلالة الوصفية التحليلية على بعض قصائد الديوان.. قد وفقنا في إلقاء الضوء على مايتميز به هذا الديوان القيّم من ثراء موضوعي وفني، في ظل منهج إسلامي رحب الأبعاد مضيء الملامح.. والله من وراء القصد.

الهوامش:

* كاتب وأديب مصري

١- الديوان «مهرجان القصيد» دار النحوي للنشر والتوزيع - الرياض. ط أولى عام ١٤١٤هـ - المقدمة ص٤٤.
٢- الديوان ص٥٥.
٣- الديوان ص٧٠.
٤- الديوان ص٧٥.
٥- الديوان ص٦٤.
٦- الديوان ص١٠٩.
٧- الديوان ص١٤٣.
٨- الديوان ص٢١٧.
٩- الديوان ص٢٣٦.
١٠- الديوان ص٢٤٥.

□□□

قصيدتان

للشاعر: محمد شلال الحناحنة*

١- المئذنة

تلك مئذنة شامخةْ
تلك مئذنة من سحابْ
جنّةٌ ترتوي من عطور الكتابِ،
تُعِدُّ لعمري الشبابْ
تلك مئذنة حائمهْ
لغةٌ من شموس السلامْ
ألفةُ الفجر بين الصّحابْ
احتفال الشهيد بوعد الإلهْ
حزمةٌ من ضياء القمرْ!
وبياضٌ يُزَفُّ لهذا البياضِ
حمامٌ يُهيئُ أجنحتي للسماءِ
وقدسٌ تخبيءُ أسرارهاَ في
حمى مُهجَتي
وطنٌ من دماء الحروفْ
صبَّ أحلامه من غبار السيوفْ
سروةٌ تقتفي أثري
أين، أين الضيوفْ؟
أيُّها الشعراءُ تهادوا لمئذنتي!

٢- الجبل

غائمٌ أبسط الآن جُميّزتي للتّقى
أتسامى لجُرْحِ اليَمَامْ
أحنُّ لموعدنا
وأحنُّ لسجادتي،
أقتدي بإمامي وأبذرُ ذاك المدى
باليمينْ
ياعرين الهداية هذا شجايَ
فكنْ صخرتي ورؤايَ،
لأطلق عصفورتي لحقول الجهادِ،
أطوع ممشاي للنبعِ
أحضن أمَّ الكتابْ

* شاعر أردني

المساكين

شعر:
سمير مصطفى فراج*

دَمُ المساكينِ يَجْري في شراييني
ونبضُ قلبي صَدَى نبضِ المساكينِ
صَادَفْتُهم في دَمِي يبكونَ مَسْغَبَةً
طَافَتْ بِهِمْ فارْتَمى نَحْرِي لِسِكّيني
أنا أَسَاكُمْ أنا تاريخُ مِحْنَتِكُمْ
زَرَعْتُ أَوْجُهَكُمْ في طَمْيِ تَكْوِيني
فَمَنْ تُنادونَ ياسكانَ أَوْرِدَتي
وليسَ تُصْغِي لَكُمْ أُذْنُ المَيَادِينِ
رَسَتْ سفينتُكم يوماً على رِئَتي
فَلَمْ يَعُدْ نَفَسٌ إلاَّ لِيَكويني
أَضْلاَعُكُمْ رَسَمَتْ للجوعِ خارطةً
يَتُوهُ عُمْرِي بها والموتُ يَهْدِيني
أَنْتُمْ رفاقُ دَمِي لاشَيءَ أَمْنَحُكُم
إلاهُ فالتمسوا عذراً يواريني

* شاعر مصري

دراسة

الصورة الفنية في.. و.. أدب البنة

لاقت دعوة العودة إلى التراث، والاستفادة من حصيلته المعرفية، صدىً واسعاً؛ لأهميته في رفد الحياة المعاصرة، بتلك التجارب الثرة، والصفحات المشرقة، التي أضاءت للإنسانية معالم نهضتها وحضارتها.

ومع انطلاقة هذه الدعوة تبرز أهمية الأدب البنوي(١) كجزء من هذا التراث الذي عُني ببناء الشخصية الإنسانية، فأسهم بتفجير الوعي الخلقي والحضاري في نفوس أولئك الرجال الذين صارعوا أكبر دولتين عظميين: الفرس والروم، فنهضوا تحت ظلال الإسلام إلى نواحي العالم، حاملين معهم مشاعل الهداية، والعلم، والحضارة.

□□□

ولعله من المفيد التنويه عن ماهية أدب البُنوة قبل تناول دراسة الصورة الفنية، وقيمها التعبيرية.

فالأدب البنوي ظاهرة أدبية من المنظوم أو المنثور، يتركز حول ما دار بين الآباء والأبناء، من الخطب والوصايا، والرسائل والأمثال والحوارات، مجسداً الارتباط العاطفي بين الأبوة والبنوة، ويحفل بالأفكار السامية، والمعاني العميقة، فضلا عن جمال الصياغة وإشراقة التعبير، وقد تتسع دائرة هذا الأدب، ليشمل كل ما ورد في البنوة خارج نطاق الأبوة؛ محققاً علاقة الأبوة بالبنوة، في مجال بناء الشخصية الإنسانية، المرتكزة على تمثل القيم السامية، التي تؤدي إلى مدارج الكمال الإنساني، لانبثاق هذا الأدب عن التصور الإسلامي

■■ يُطلق مفهوم الصورة في الدراسات البلاغية القديمة: «للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي»

للإنسان والكون والحياة، مما يتيح له الانضواء في ثنايا الأدب الإسلامي وخصائصه.

ودراسة الصورة الفنية في أدب البنوة، سوف تتركز حول ما ورد من نصوص بنوية في نثر العصرين: الأموي والعباسي الأول، نظراً لخصوبة هذين العصرين، سواء على صعيد القيمة الفنية للنصوص النثرية، أم على صعيد الدور الريادي التأسيسي للخلفاء والولاة، والقادة الذين تولوا قيادة هذه الأمة، فأسهموا بدورهم في تشكيل الوعي السياسي والتربوي والاجتماعي، للأمة الإسلامية، لا سيما أن معظم النصوص البنوية قد صدرت عن هذه الفئة الرائدة.

وسنسلط الضوء على الإطار العام لمفهوم الصورة الفنية، الذي سنتناوله في هذه الدراسة عند القدماء والمحدثين.

يُطلق مفهوم الصورة في الدراسات البلاغية القديمة: «للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي»(٢) وما يمكن استحضاره في الذهن من مرئيات ومحسوسات.

ـــوّة

بقلم الدكتورة:
رجاء محمد عودة*

■■ اتسع الحقل الدلالي لمفهوم الصورة في كتابات الدارسين والنقاد المحدثين وأصبح الركيزة التي يُعتمد عليها في تقويم موهبة المبدع وأصالته وإبداعه.. فأصبحت الصورة «عضوية في ظل تجربة عضوية صادقة، وأصبحت تعبيرية إيحائية لا تقف عند حدود الحس

وهي تأتي غالبا في التراث الأدبي مرادفة لما يدخل تحت علم البيان من تشبيه واستعارة ومجاز مرسل وكناية، حيث تمتزج اللغة بذات الفنان وفكره مثيرة في ذهنه من الرؤى والأفكار، مالايلبث الخيال المبدع أن يحيلها إلى صورة مبتكرة، لا عهد للواقع المرئي بها، مع أن عناصرها من هذا الواقع، ومن ثم تثير هذه الصور في وجدان المتلقي وفكره شتى الأحاسيس والانفعالات، محققة وضوح المعنى. وجمال العرض، فضلا عن الإقناع والإمتاع.

والصورة الناجحة لدى بعض البلاغيين القدماء هي ما كان لها القدرة على الجمع بين الصور المتباعدة؛ فتحرك المشاعر وتهز الوجدان. يقول عبد القاهر الجرجاني: «وهكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت النفوس لها أطرب.. وذلك أن موضع الاستحسان أنك ترى بها الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين..»(٣).

أما الصورة في النقد الحديث، فهي الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة، كما نص على ذلك الناقد د. محمد غنيمي هلال قائلا: «الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة في معناها الجزئي والكلي.. فالصورة جزء من التجربة، ويجب أن تتآزر مع الأجزاء الأخرى في نقل التجربة نقلا صادقا فنيا وواقعيا. وهذا قدر مشترك بين المذاهب الأدبية الحديثة»(٤).

وهي إلى جانب ذلك «مصطلح حديث، صيغ تحت وطأة التأثر بمصطلحات النقد الغربي، والاجتهاد في ترجمتها.. ولكن المشكلات والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث وطرحها موجودة في التراث، وإن اختلفت طريقة التناول، أو تميزت جوانب التركيز ودرجات الاهتمام ....»(٥).

ومع أن مفهوم الصورة الفنية قد انصرف في أغلب الدراسات إلى الصورة الفنية في الشعر خاصة، على

الصورة الفنية في.. أدب البنوة

اعتبار أن الصورة الفنية وليدة الخيال المبدع، الذي هو منبع الجمال إلا أن هذا المفهوم للصورة ينسحب على النثر ايضا؛ فالشعر والنثر كلاهما نتاج التجربة الشعورية الصادقة التي تشكل الصورة وسيلة هامة لإبرازها وتأثيرها.

ومع هذا فقد اتسع الحقل الدلالي لمفهوم الصورة، في كتابات الدارسين والنقاد المحدثين، وأصبح الركيزة التي يُعتمد عليها في تقويم موهبة المبدع وأصالته وإبداعه، إذ أن النقد الحديث وسع إطارها، ومجالات استخدامها، فأصبحت الصورة «عضوية في ظل تجربة عضوية صادقة، وأصبحت تعبيرية إيحائية لا تقف عند حدود الحس، ولا تسلك مسلك الوصف المباشر، أو البرهنة العقلية» (٦) بل قد تخلو الصورة من ألوان المجاز أصلا، فتتألف من عبارات حقيقية الاستعمال، ومع ذلك تشكل صورة دقيقة موحية (٧) ومدار الجودة فيها يتجلى في القدرة على تصويرها بأصالة وصدق فني.

كما أن الصورة في النقد الحديث أصبحت تعنى بتشكيل علاقات جديدة في صياغة جديدة(٨) كما أنها أصبحت تعتمد عنصر المغايرة في تشكيل البناء الصوري، إضافة إلى العنصر الجامع الذي كان هو العنصر السائد، فأصبحت «المشابهة والمغايرة معاً عنصرين متكافئين في تشكيل البناء الصوري (٩) ولعل هذا ما أشار إليه الناقد عز الدين إسماعيل مبيناً أن ميدان الصورة ميدان خصب، يجمع شتات المتناقضات في خيط شعوري واحد متآلف: «ففي الصورة الشعرية تتجمع عناصر متباعدة في المكان والزمان غاية التباعد، لكنها سرعان ما تأتلف في إطار شعوري واحد»(١٠).

ومن ناحية أخرى فإن هناك ملمحين بارزين يأتلفان في تشكيل الصورة: «الأول منها: الأفق النفسي، وحيوية التجربة الشعورية، والآخر: الحركة اللغوية الدلالية بتفاعل السياق وتركيب الجملة»(١١).

ووفق هذه المعطيات عن مفهوم الصورة الفنية في الدراسات القديمة والحديثة سنتناول دراسة الصورة الفنية في أدب البنوة، مع الإشارة إلى طبيعة النصوص المدروسة، سواء من حيث كونها نصوصاً نثرية يغلب فيها: «الإقناع على التخييل، والوصف على التصوير، والتقرير على الإيحاء (١٢)، أو من خلال كونها نصوصاً ذات طبيعة خاصة في تشكيل التجربة الشعورية، التي هي تمازج متوازن من العقل والعاطفة، غير أن صوت العقل فيها أكثر وضوحا، ليحقق جدواه في تكوين رجال المستقبل، الذين ستؤول إليهم مهمة الاستخلاف في الأرض، وإعمار الحياة، فجاءت النصوص تبعاً لذلك يغلب عليها الإقناع والتقرير، على الإيحاء والتصوير. ومع ذلك فقد أمدنا الأدب البنوي بصور موحية تنبض بالصدق والحياة، والقدرة على تشكيل الواقع من جديد.

ومن نماذج الصور البنوية الصورة التي تمزج بين العناصر المتباعدة؛ لتشكل منها نسيجا متآلفا منسجماً ونجدها في تلك الصورة التي رسمها الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لولده يزيد، في وصية وجهها إليه قائلا فيها.. «انظر أهل العراق فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله عنهم، فإن عزل عامل أهون من أن يُشهر عليك مائة ألف سيف، ثم لا تدري على ما أنت منهم. وانظر أهل الشام فاجعلهم الشعار والدثار، فإن رابك من عدوك ريب فارمهم بهم، فإن أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، ولا يقيموا في بلاد غيرهم فيتأدبوا بغير أدبهم..»(١٣).

وتتضح أهمية هذه الوصية في إبانتها عن فكر معاوية السياسي، وحنكته في سوس الرعية، بما خبره من معرفة بطبائع النفس البشرية، وأساليب معاملتها، وفي كيفية اصطناع الأصدقاء، ودفع كيد الأعداء، تبعا للقاعدة المثلى في الحكم: الوسطية في اللين والشدة.

وهي تَمثُل للقاعدة الإسلامية ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾(١٤) تلك القاعدة التي ارتكز عليها حكم معاوية والياً وخليفة، ومن ثم تحولت إلى رؤية فلسفية عُرفتْ اصطلاحاً بـ«شعرة معاوية»(١٥) رمزاً للحنكة السياسية.

ومما يلفت نظرنا في هذه الوصية تلك الصورة المركبة، التي رسم من خلالها نظام الحكم، وعلى الرغم مما يبدو من سمة التباعد بين عناصرها بحيث يكون أهل الشام في آن واحد ـ بمثابة الشعار والدثار ـ من الدولة، فالشعار يوظف بمثابة البطانة الصالحة، والدثار يكون بمثابة الدرع

الواقي لأمن الدولة، وعليه يصبح أهل الشام أصحاب القوة الفكرية والقوة الدفاعية معاً. ويؤيد ذلك ما أردفه بالصورة الأخرى تدعيماً للأولى: «فإن رابك من عدوك ريب فارمهم بهم»(١٦).

وإذا كانت هذه الصورة قد وضحت المهمة الدفاعية فإنها أيضا قد رسمت المناخ النفسي لها؛ بتجسيد الصراع النفسي والقتالي، كقوتين متصارعتين حيال المتلقي؛ إذ جمعت بينهما في خيط شعوري واحد، فجعلت الصراع القتالي مؤديا طبعياً للصراع النفسي، وقد ساعد على تمثل هذا المعنى النفسي في الذهن والشعور ما اتسمت به الصورة من حركة ظاهرة ومضمرة؛ فالحركة الظاهرة تراءت من خلال تصوير حركة الرمي باختيار لفظة «فارمهم» حيث تجسدت الحركة في جرسها ودلالتها. أما الحركة المضمرة فقد تراءت من خلال تصوير حركة القلق، مستخدما لفظة «رابك» التي صاغها بأسلوب الشرط الذي يقتضي حدوث فعلين يكون الثاني جواب الأول وجزاءه.

وهكذا استطاعت هذه الصورة إبراز سياسية التوسط والاعتدال في نظام الحكم الإسلامي، واصطناع الخلق السياسي المتحضر في محاورة الخصوم، وعدم اللجوء إلى منطق القوة إلا عند المجابهة. ومن ثم رسمت مبدأ التعايش السلمي - إن جاز هذا التعبير - مع جبهة المعارضة في مفهومنا السياسي المعاصر.

ومن الصور التي تمزج بين العناصر المتباعدة الصورة التي رسمها هشام بن عبدالملك لأولاده في وصيته لهم «تعلموا القرآن والنحو، فإن القرآن بلا نحو كالجسد بلا رأس»(١٧).

ولدى تأمل هذه الصورة لأول وهلة يبدو فيها التباين بين القرآن وعلم النحو؛ فالقرآن كتاب مقدس وله مرجعيته التشريعية، ومكانته التعبدية، فضلا عن كونه الغذاء الروحي للإنسان، وفي الذروة العليا من الفصاحة والبيان، أما النحو فهو علم وضعي، ليس له المرجعية الدينية، أو المكانة التعبدية، فضلا عن افتقاده للمتعة الروحية.

ومن ثنايا هذا التباين تتجمع خيوط الانسجام والتآلف من خلال ما يؤديه الدرس النحوي للفهم القرآني؛ فمقاصد التشريع الحكيم لا تتأتى إلا بفقه الحكم النحوي للسياق القرآني، وتلاوته التعبدية لا تستقيم إلا بضبط حروفه، وإعراب آياته.

■■ من نماذج الصور البنوية الصورة التي تمزج بين العناصر المتباعدة لتشكل منها نسيجا متآلفا منسجماً.. واستطاعت هذه الصورة إبراز سياسية التوسط والاعتدال في نظام الحكم الإسلامي.

ومن ناحية أخرى يبدو التآلف بين العلْمين من خلال أنهما يمثلان الصدارة بينَ العلوم الأخرى، فالعلم القرآني يُعدَّ رأس العلوم النقلية، وعلم النحو أساس العلوم الوضعية؛ إذ لا تستقيم هذه العلوم تأليفاً وفهماً إلا بضبطها نحوياً، كما نلحظ التلازم بين العلمين من خلال أثرهما في بناء شخصية الأبناء عقلياً ولغوياً؛ فالقرآن يدعو في الكثير من آياته لشحذ الذهن، وإعمال الفكر، والتدبر في ملكوت السماء والأرض، فضلا عن دوره الحيوي في تقويم الألسنة وفصاحتها وصقل الملكات وبلاغتها.

والنحو من العلوم التي تقوم على الرياضة الذهنية، والمحاكمة العقلية. إلى جانب أنه العلم الرئيسي لسلامة التعبير من اللحن والعُجمة.

ومن هنا كان حرص الخليفة بالغاً على تلقي أبنائه ذروة سنام العلوم وأفضلها، للوشائج القوية التي تربط بينهما وبين بناء الشخصية دينياً وعقلياً ولغوياً، فنهضت الصورة من خلال التشبيه بهذا الدور الوظيفي مدعمة بالصيغة التوكيدية مما يفيد أن تعلمهما حق واجب: «فإنَّ القرآن بلا نحو كالجسد بلا رأس».

ومع صورة أخرى من صور الأدب البنوي تطالعنا الصورة التي تشف عن شعور نفسي، وتصور فلسفي تجاه الإنسان والكون والحياة.

يرسم هذه الصورة عبدالله بن شداد(١٨) لابنه من خلال وصية له حين حضرته الوفاة: «يا بني، إني أرى داعي الموت لا يُقلع، وأرى من مضى لا يرجع، ومن بقي

الصورة الفنية في.. أدب البنوة

فإليه ينزع»(١٩)،

عبر ابن شداد بهذه الصورة عن المعنى الذهني المجرد للموت بصورة حسية شاخصة، تمثلت بتشخيص ملك الموت بإنسان يدعو الناس إلى رحلة الموت والفناء، ومع ديمومة النداء تتواكب ديمومة الرحيل!! ومع سرمدية هذه الرحلة الدائبة الخفية بين النداء والرحيل، تبدو ومضة وجدانية تضيء جوانب الوصية؛ مبينة مآل هذه الحياة الدنيوية التي لا خلود فيها، ولا عودة إليها. وكل تلك المظاهر والمتع الدنيوية الخلابة أضحت سراباً خادعاً إزاء تلك الحقيقة الوحيدة الثابتة: «الموت والرحيل» معززاً هذه الصورة الفلسفية لمآل الحياة الدنيوية بصياغتها بأفعال «مضارعة» لتحقق آنية الفعل واستمراريته، بل بتجسيدها ماثلة للعيان، لمجيء هذه الأفعال أفعالا حركية: «يقلع، يرجع، ينزع» لتسهم بجلاء الفكرة وتوضيحها.

ثم يرسم الأب لابنه من خلال وصيته المنهج الأمثل لهذه الحياة، من خلال صورة كلية تنضوي في ثناياها صور جزئية أخرى، تقوم مقام الحوادث الجزئية لأحداث الحياة، أو الخطوط والألوان والظلال لتلك الصورة الكلية، قائلاً له: «عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك شكر الله وحسن النية في السر والعلانية، فإن الشكور يزداد، والتقوى خير زاد، وكن كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا
وعند الله للأتقى مزيد(٢٠)

نلمح في هذه الصورة التي رسمتها الأبوة للحياة الفاضلة تصديرها بقيمة إسلامية، توازن بين حياة الفرد الدنيوية والدينية، فتقوى الله هي الحصن المنيع إزاء مغريات الحياة وآثامها، كما أنها أساس كل تعامل دنيوي مع الآخرين. ومن هنا حرص الأب على بيان القيمة المعرفية للتقوى، أو بعبارة أخرى مفهوم هذه التقوى من خلال إدراك الأشياء بمعطياتها وثوابتها، فقرن التقوى بالشكر وحسن النية، ولا ريب في هذا، فشكر المنعم على نعمائه مدعاة لدوام النعم كلها، وأظهرها نعمة الدين. فضلا عن أن جوهر الدين التقوى، وجوهر التقوى إخلاص النية سواء كانت: عقيدة، أم عبادة، أم معاملة. كما يندرج في ثنايا حسن النية الأمور الدنيوية المباحة التي إذا أخلصت فيها النية للخالق عدت من صميم الأعمال التعبدية.

ثم توالي الأبوة رسم معايير أخرى للحياة الفاضلة ترتكز عليها البنوة في قادمات أيامها قائلا لها: «أي بني، لا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب، فكم من راغب أصبح مطلوباً ما لديه. واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان ير الهوان، وكن كما قال أبو الأسود الدؤلي:

وعد من الرحمن فضلا ونعمة
عليك إذا ما جاء للعرف(٢١) طالب
فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالباً
فإنك لا تدري متى أنت راغب(٢٢)

في هذه الصورة يذكي الأب قيمة المعروف، ويعطيه بعداً فلسفياً، من منطلق أن الخير وإن طال أمده لا يجني ثماره إلا زارعه، وأن لا يركن الإنسان إلى رغد الحياة مهما تقلب في نعيمها، فقد تقلب له على حين غرة ظهر المجن؛ فيصبح معوزاً بعد أن كان ميسوراً، فليعط ليعطَ، ولا يمنَعُ فيُمْنَع. وهكذا تسير سنن الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة، فالدنيا أخذ وعطاء.

وتتوالى الصور الجزئية في ثنايا الصورة الكلية، ليرسم من خلالها قيمة الإنفاق وسبل هذا الإنفاق قائلا له: «أي بني، كن جواداً بالمال في موضع الحق، بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في أوجه البر، وإن أحمد بخل المرء الضن بمكتوم السر، وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري:

أجودُ بمكنونِ التلادِ وإنني
بسرِّكَ عمن سَالني لضنينُ
إذا جاوز الإثنين سر فإنه
بنثٌّ(٢٣) وتكثير الحديث قمينُ(٢٤)

وهكذا تنهض الصور الجزئية في رسم المنهج الأمثل للشخصية البنوية، فإذا كانت الصورة السالفة قد نهضت بتصوير قيمة الإنفاق المعنوي (المعروف) فإن هذه الصورة قد نهضت بتصوير قيمة الإنفاق المادي. ولما كان

الأب مدركاً لقيمة المال وأنه عصب الحياة، فإنه يحث ابنه ويرشده إلى بذله في قنواته المشروعة، وليكن أعلى مراتب هذا الانفاق الجود في أوجه البر. وليقتصد ما وسعه الاقتصاد في نشر الكلام، ولتكن أشد حالات هذا الاقتصاد في كتمان الأسرار.

ومع أن طرفي الصورة قد تشكلا من عنصرين متباعدين (الإنفاق المالي) والاقتصاد المعنوي (كتمان الأسرار) إلا أنهما قد تآلفا في خيط شعوري واحد، لأنهما نتاج العاطفة الأبوية الصادقة التي تتوخى لولدها أعلى مراتب الكمال الإنساني.

ثم يعقد الأب مفاضلة بين هذين الوجهين من الإنفاق «فإن أحمد جود المرء الإنفاق في أوجه البر، وإن أحمد بخل الحر الضن بمكتوم السر» من خلال صورة جزئية أخرى تنضوي في ثنايا الصورة الكلية لماهية الإنفاق، ليمنح ولده التمثل الواعي، وقناعة التصرف في هذين الجانبين من منظور النظام الديني والاجتماعي، فالإنفاق المالي يملك الفرد أهلية التصرف به، وقد يثاب على بذله إذا وظف في مواضع الحق، وأوجه البر. في حين أن الإنفاق الكلامي لا طائل من ورائه. إن لم يكن له مسوغاته، وقد يأثم المرء به إذا وظف في الخوض بأخبار الناس، ومكنون أسرارهم، ومن هنا يعطي الأب هذه المفاضلة بعداً فلسفياً، يمنح ابنه أهلية التحرك في نطاقه، فالإنسان يتحرك في إطار أهلية التملك، فما يملكه الإنسان (المال) فحريته به مطلقة، وما لا يملكه الإنسان (أسرار الناس) فحريته به مقيدة. وقد أسهمت صيغة المبالغة في منح الصورة بعدها الدلالي بإيضاح سبل هذا الإنفاق، سواء من خلال تحقيق فاعليه الحدث أولاً، ثم نسبة المفاضلة فيه ثانياً.

وإذا كانت الأبوة قد حثت البنوة على الإنفاق، وحددت لها أطر هذا الإنفاق، فلا بد أن تستوفي رؤيتها الشاملة لهذا الجانب، من خلال صورة أخرى جزئية، تنهض ببيان أن الحصول على المال لابد له من السعي الدؤوب، واغتنام شتي الفرص المشروعة لكسبه قائلاً له: «أي بني، وإن غُلبت يوماً على المال فلا تدع الحيلة على حال، فإن الكريم يحتال، والدني عيال(٢٥) وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً أقل ما تكون في الباطن مآلاً، فإن الكريم من كرمت طبيعته، وظهرت عند الإنفاذ نعمته، وكن كما قال ابن حذاقة العبدي:

وجدت أبي قد اورثه أبوه
خلالاً قد تعد من المعالي
فأكرم ما تكون عليّ نفسي
إذا ما قل في الأزمات مالي(٢٦)

وفي هذه الصورة يعلي الأب من مفهوم السعي للكسب، ويجعله قيمة خلقية من سجايا النفس الأبية التي تربأ بصاحبها عن ذل النفس وامتهانها للآخرين «فإن الكريم يحتال» تماما كالتقاعس عن الكسب يعد من صفات العجز والتواكل ودناءة النفس: «والدني عيال».

ثم تدعم الأبوة نظريتها الفلسفية للمال من خلال صورة أخرى مبينة فيها أن كرم النفس لا يقف عند حدود السعي للكسب، والترفع عن استجداء الآخرين، بل بالتجمل بثوب الغنى، بأن يحيك من الفاقة ثوباً قشيبا يبدو فيه في أحسن الأحوال مظهرا ومآلاً، في حين أنه في أشد الحالات فقراً ومعاناة: «فإن الكريم من كرمت طبيعته، وظهرت عند الإنفاذ نعمته».

■■ مع أن طرفي الصورة قد تشكلا من عنصرين متباعدين إلا أنهما قد تآلفا في خيط شعوري واحد، لأنهما نتاج العاطفة الأبوية الصادقة التي تتوخى لولدها أعلى مراتب الكمال الإنساني.

وتتابع الأبوة رسم المعايير الفاضلة للشخصية البنوية من خلال صورة أخرى تطوف بها في ميدان الحياة الاجتماعية بمنعطفاتها وثوابتها، قائلا: «أي بني، وإن سمعت كلمة من حاسد فكن لست بالشاهد، فإنك إن أمضيتها حيالها(٢٧) رجع العيب على من قالها، وكان يقال: «الأريب العاقل هو الفطن المتغافل» وكن كما قال حاتم الطائي:(٢٨).

وما من شيمتي شتم ابن عمي
وما أنا مخلف من يرتجيني
وكلمة حاسد في غير جرم
سمعت فقلت مري فأنفذيني(٢٩)

الصورة الفنية في.. أدب البنوة

وهكذا يغرس الأب في نفس الابن قيمة من قيم التربية الاجتماعية، التي لا تذكي أوار الفتنة عند حدوثها بل تخمد جذوتها عند ظهور بصيصها. فالحسد وإن كان وباء المجتمعات منذ الأزل فإن دفعه ليس مستحيلاً، فأخذ الحيطة من الحاسد بالوسائل المشروعة، والإعراض عنه، هو الحل الناجع الذي يطفيء شر حسده.

ثم يعنى الأب بترسيخ قيمة العفو والتغافل عن المسيء، مع اليقظة والحذر منه، فالعلاقات الاجتماعية تقتضي هذا التوازن بين الفطنة والتغافل. مما يلفتنا في هذه الصورة قدرتها على مزج عناصر متعددة في آن واحد، إذ بدت فيها المشابهة، فالمغايرة، ثم المشابهة. فالمشابهة تراءت من خلال تشكل طرفي الصورة من عنصرين ذهنيين «الفطنة والتغافل» ومع ذلك فهما متقابلان من حيث الدلالة، فالفطنة تقابل التغافل، ثم نجد هذا التقابل يأتلف ثانية ضمن الإحساس والشعور ليحقق التوازن في العلاقة الاجتماعية.

وتتابع شخصية الأبوة الخصبة تجوالها في خضم الحياة الاجتماعية من خلال لوحة أخرى، تسلط الضوء فيها على زاوية من زواياها البارزة وهي «الصداقة» موضحة معاييرها وضوابطها، قائلا: «أي بني، لا تواخ امرأ حتى تعاشره، وتتفقد موارده ومصادره، فإذا استطعت العشرة، ورضيت الخبرة فواخه على إقالة العثرة، والمواساة في العسرة، وكن كما قال المقنع الكندي:

أبل الرجال إذا أردت إخاءهم
وتوسمنَّ فعالهم وتفقد
فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى
فيه اليدين قرير عين فاشدد(٣٠)

وهكذا يسلط الأب ذهن ولده على سنة من سنن الفطرة البشرية، والتفاعل الاجتماعي، والأخوة الإسلامية، وهي أن يألف الإنسان ويؤلف، وينشيء علاقات وصداقات تشبع احتياجاته الوجدانية والاجتماعية والعقلية. فيوجه اهتمامه إلى ضوابط هذه الصداقة التي ينبغي أن تكون مبنية على اختيار دقيق، تدرك بها انتماءات الصديق، وأخلاقه، وسلوكه العام. ومن ثم تعقد أواصر هذه الصداقة وفق معايير إسلامية، يراعي فيها التناصح والتسامح، والمؤازرة عند الشدائد. ولما كان عبدالله بن شداد حريصاً على أن يقيم ابنه صداقات متينة فإن الأمر يقتضي أن يزوده بالمقومات التي تصون هذه الصداقة، وذلك من خلال رسم صورة أخرى تنهض بالحفاظ عليها من التداعي والانهيار، قائلا له: «أي بني، إذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط، فإنه قد كان يقال: «أحبب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما» وكن كما قال هدبة بن الخشرم العذري:

وأحبب إذا أحببت حباً مقارباً
فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً
فإنك لا تدري متى أنت راجع(٣١)

فالوالد الذي حنكته الأيام يزن الأمور بموازينها، فيرسم علاقة الصداقة والتآخي بميزان الاعتدال والتوسط، وهو بذلك يتأسى بالقول المأثور الذي يضع ضوابط الاعتدال والتوسط في تنظيم العلاقات الإنسانية تحسباً لردود الفعل التي قد تثيرها سنن التغير في الطبائع البشرية، فقد يصبح الصديق خصماً، ويضحى الخصم صديقا. والتوسط هو القاعدة المثلى للأمور كلها.

ونلحظ في هذه الصورة أيضاً قدرة الأب على التوفيق بين المتناقضات وصهرها في بوتقة المشاعر الإنسانية بحيث يتولد عنها التكيف والتكامل. ويبدو لنا أن ابن شداد يعد سابقاً لغيره في التأليف المطرد بين هذه المتناقضات التي هي سمة واضحة في الفنون الإنسانية على اختلاف أنواعها.

ثم تختم الأبوة وصيتها للبنوة بصورة أخرى تعزز ما سبقها في مجابهة متطلبات الحياة الاجتماعية، وتنظيم العلاقات الإنسانية، قائلة له: «وعليك بصحبة الأخيار، وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار فإنه عار» وكن كما قال الشاعر:

اصحب الأخيار وارغب فيهمُ
رب من صاحبته مثل الجرب
واصدق الناس إذا حدثتهم
ودع الناس فمن شاء كذب(٣٢)

وفي ختام هذه الوصية قد نعجب من قدرة الأب على توظيف هذا الكم من الصور الشعرية توظيفا فنياً صادقاً، بحيث مثلت كل صورة جزءا من التجربة الشعورية، التي تمثلت بصورة عضوية نسجت خيوط الوصية، مجسدة الآراء والقيم التي تناولت بناء الفرد، وتشكيل شخصيته الإنسانية المتحضرة، في خضم هذا التغير الفكري والاجتماعي واللغوي الذي لامس الحياة العربية الجديدة، فكشف عن دور القيم الإسلامية التي ترقى بالإنسان إلى مدارج الكمال الإنساني.

كما نعجب من شخصية الأبوة الخصبة لإحاطتها بهذا الكم الثر من الآراء والتجارب والحكم الشعرية والنثرية، مع بسطها ومحاكمتها محاكمة منطقية، ثم إسنادها لقائليها، وصياغتها في تلك الصور الفنية، التي كانت رمزاً لعلاقة الأبوة بالبنوة، مجسدة في ذلك دور الأدب البنوي ووظيفته، بتحقيق تلك الفطرة الإنسانية، بأن البنوة امتداد للأبوة، ومن هنا كان حرص الأبوة على منح البنوة عصارة تجاربها في الحياة، حتى في تلك اللحظات التي أوشكت أن تلقي بها عصا الترحال!

■■ الهوامش والتعليقات:

* عضو هيئة التدريس بكلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض.

(١) من مادة «بني» تتولد مشتقات الابن والأبناء والبنوة في دلالتها الحسية والمعنوية، وهي تدور كلها حول التأسيس والتنمية والرعاية.

(٢) الصورة الأدبية: د.مصطفى ناصف، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٨م. ص/٣.

(٣) أسرار البلاغة: عبدالقاهر الجرجاني، الطبعة السادسة، مكتبة محمد على صبيح، القاهرة ١٩٥٩م، ص/١٠١.

(٤) النقد الأدبي الحديث: د.محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٧م. ص/٤١٧.

(٥) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د.جابر عصفور، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م، ص/٥.

(٦) المرجع السابق، ص/٤٣٣.

(٧) السابق، ص/٤٣٢.

(٨) فن الشعر: د.إحسان عباس، الطبعة الخامسة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧م. ص/٢٦٠.

(٩) البعد المكاني في صور ذي الرمة: أسامة اختيار، مجلة الثرات العربي، العدد/٥٢، دمشق، ١٩٩٣م، ص/٤١.

(١٠) الشعر العربي المعاصر: د.عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص/١٦١.

(١١) جماليات الأسلوب: الصورة الفنية في الأدب العربي: د.فايز الداية، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م. ص/١١٤.

(١٢) في نظرية الأدب: د.عثمان الموافي. الطبعة الثانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ٢/٢٧٤.

(١٣) المعمرون والوصايا: أبوحاتم السجستاني، تحقيق: عبدالمنعم عامر، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٦١م، ص/١٥٥.

(١٤) سورة البقرة، الآية ١٤٢.

(١٥) انظر العقد الفريد: ابن عبدربه، تحقيق أحمد أمين وآخرين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣م، ٤/٣٦٤.

(١٦) المعمرون والوصايا: أبوحاتم السجستاني، ص/١٥٥.

(١٧) ربيع الأبرار: الزمخشري، تحقيق: د.سليم النعيمي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٠م، ٣/٢٦٦.

(١٨) هو: عبدالله بن شداد الليثي، وكان فقيهاً محدثاً، وهو ابن خالة بن عبدالله بن عباس، وخالد بن الوليد. المعارف: ابن قتيبة، تحقيق: د.ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م، ص/٢٨٢.

(١٩) الأمالي أبوعلى القالي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ٢/٢٠٢.

(٢٠) الأمالي، القالي، ٢/٢٠٢.

(٢١) العرف: المعروف.

(٢٢) الأمالي: القالي، ٢/٢٠٢.

(٢٣) نث الحديث: نشره وأفشاه.

(٢٤) الأمالي: القالي، ٢/٢٠٢.

(٢٥) العيال: من معانيها: الذي يصبح عالة على غيره.

(٢٦) الأمالي: القالي، ٢/٢٠٣.

(٢٧) حيالها: أي دعها تجري في مجراها لا تبالِ بها.

(٢٨) الأمالي: القالي، ٢/٢٠٣.

(٢٩) نفذهم: جازهم.

(٣٠) الأمالي: القالي، ٢/٢٠٣.

(٣١) الأمالي، القالي، ٢/٢٠٤.

(٣٢) الأمالي: القالي، ٢/٢٠٤.

■■■

■■ يغرس الأب في نفس الابن قيمة من قيم التربية الاجتماعية، التي لا تذكي أوار الفتنة عند حدوثها بل تخمد جذوتها عند ظهور بصيصها.. ثم يعنى الأب بترسيخ قيمة العفو والتغافل عن المسيء، مع اليقظة والحذر منه

حول تأصيل المنهج في الن

قامت دعوات كثيرة في العصر الحاضر للاستفادة من مناهج العلوم الشرعية، كالتفسير والحديث والأصول والفقه، في دراسة الفكر وتحليل الأدب ونحوهما، منها دعوة علي سامي النشار في كتابه «مناهج البحث عند مفكري الإسلام» واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي(١) وحثّ الباحثين على دراسة الفكر الإسلامي في اطار المنهج العام لأصحاب الأصول ولعلماء الكلام.

ولم تكن هذه الدعوة أمراً محدثا في مجال علم اللغة، إذا علمنا أن قدماء النحاة قد تاثروا بمنهج المحدثين في ضبط الرواية، التي يستمدون منها مسالة نحوية كضبطهم لتلك التي يستنبطون منها حكما شرعيا، وتمثلوا طريقتهم في إسناد الروايات، وفي استعمال مقاييس النقد والتجريح، وتوظيف أساليب التصنيف والتخريج، ومعايير الموازنة والترجيح، عند الاستشهاد وأثناء الاحتجاج..

كما أخذ النحاة أمثال الخليل وسيبويه والفارسي وابن جني والأنباري عن الأصوليين والفقهاء طرائق الاحتجاج العقلي: من قياس واجماع وعلة استحسان واستصحاب، وسبر وتقسيم، واستدلال بالأولى وقول بالموجب.

ومثلما استفاد النحاة من مناهج المحدثين والأصوليين، فقد استفاد بعض المفسرين من المنهج اللغوي في تفسير القرآن الكريم أذكر منهم على سبيل المثال من مفسري الغرب الإسلامي قدامى ومحدثين:

- ابن أبي طالب الأندلسي (توفي ٤٣٧هـ) في «الهداية إلى بلوغ النهاية».
- ابن عطية (توفي ٥٤٦هـ) في «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز».
- القرطبي (توفي ٦٧١هـ) في «الجامع لأحكام القرآن».
- ابن حيان الأندلسي (توفي٧٥٤هـ) «في تفسير البحر المحيط».
- الشنقيحي محمد الأمين (من رجال ق ١٤هـ) في «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن».
- التازي عبدالهادي في «تفسير سورة النور».

كما استعان بعض المحدثين بمناهج المعجميين والنحاة والبلاغيين - إلى جانب منهج أهل الحديث - في دراسة النص الحديثي، على غرار ما فعل القاضي عياض مع حديث أم زرع في كتابه «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد».

هذا، ولم يكتف المفسرون والفقهاء بالتوسل بمناهج اللغويين، وإنما خاضوا في قضايا اللغة والأدب، ومن جملة مفسري الغرب الإسلامي وأصوليه الذين بحثوا - في إطار مذهب الإعجاز - قضيتي الفصاحة والبلاغة في علاقتهما باللفظ والمعنى أذكر ابن جُزي الأندلسي (من رجال ق الثامن)هـ الذي خص لهما الباب العاشر من تفسيره «التسهيل لعلوم التنزيل»، ومثل ذلك فعل محمد القرطبي في جامعه، وابن حيان في بحره وعرّف محمد الأمين الشنقيطي في أضوائه الإجمال والبيان في اصطلاح أهل الأصول، وعقد سليمان الباجي (توفي ٤٧٤هـ) في «إحكام.. الفضول في أحكام الفصول» بابا للكلام في معقول الأصل، شمل فصلا في لحن الخطاب وفصلا في فحوى الخطاب، وفصلا في الاستدلال بالحصر، وفصلا في دليل الخطاب، وتحدث عبدالله العلوي الشنقيطي (توفي ١٢٣٣هـ) في «نشر البنود على مراقي السعود» عن الترادف والاشتراك، والحقيقة والمجاز، والكناية والتعريض، وتكلم علي بن حزم الأندلسي الظاهري (توفي ٤٥٦هـ) في «الأحكام في أصول الأحكام» عن الكناية بالضمير وعن الإشارة والمجاز والتشبيه.. وبحث ابن رشد الحفيد في باب خاص من كتابه «مختصر المستصفى» قضية الظاهر من جهة الصيغ..

هؤلاء العلماء وأمثالهم يمكن الاستفادة من آرائهم ومن مناهجهم في دراسة اللفظ والمعنى وفي تحليل الخطاب.

هذا، ولم تقف عناية المفسرين والمحدثين عند حد مناهج النحاة والبلاغيين، وإنما تجاوزتها إلى الاستشهاد بالنصوص الأدبية، على الرغم من تحفظ بعض المفسرين من الاحتجاج بالشعر، واختلافهم حول حجية الشاهد الشعري كتحفظ النحاة والمعجميين المتقدمين أمثال أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من البصريين، والكسائي والفراء وعلى بن مبارك الأحمر وهشام الضرير من أهل الكوفة في جواز الاستشهاد بالحديث النبوي، إلى حد

نقد الإسلامي

إعداد:
خالد الدادسي بن الحبيب*

الامتناع والإنكار، والرفض والإهمال، علتهم في ذلك الشك في صحة بعض الأحاديث، وكون بعضها الآخر مرويا بالمعنى وحسب، علاوة على تعدد روايات نص الحديث الواحد حتى ليحار النحوي بأيها يحتج؟ وكون بعض الرواة ليسوا من الأعراب الفصحاء.. مع أن المتأخرين من اللغويين استشهدوا به في معاجمهم وشروحهم كما هو الحال عند الأزهري، في «التهذيب» والجوهري في «الصحاح» وابن فارس في «المقاييس» والزمخشري في «الفائق في غريب الحديث».. بل إن ابن حزم هاجم النحاة الذين أهملوا الاحتجاج بالحديث النبوي في استنباط القواعد في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، وقد كان لصرخته صدى لدى نحاة الأندلس أمثال السهيلي وابن خروف وابن مالك، ومن جاء بعدهم من نحاة مصر؛ كابن هشام وابن عقيل والسيوطي.

والتحقيق عندنا أولوية الاستشهاد بالحديث على الشعر، لأن هذا الأخير محل الضرورة، والقواعد لا تثبت بالمحتملات، على ان المعيار الحق في قضية الاحتجاج سواء بالحديث أو بالشعر هو الصحة والموثوقية والفصاحة.

ولا يخفى أن عنصر الشاهد مقوِّم اساسي في المنهج النقدي وبخاصة في المنهج التفسيري، فضلا عن كونه عنصرا جوهريا في عملية التوثيق والبرهنة والإقناع..

هكذا يتبين إذن إمكان الاستعانة بمنهج المفسرين من خلال علم «أسباب النزول» في دراسة ظروف النص الأدبي، وفي بحث روايته من حيث صيغتها أصريحة هي أم محتملة، ومن حيث إفرادها أو تعددها، ومن حيث صحتها أو خطؤها، كما يمكن الاستفادة من منهج علماء الحديث في تحليل شخصية الراوي، وتحديد شروط الرواية، ونقد السند من خلال علم الجرح والتعديل،(٢) إضافة إلى طريقتهم في نقد المتن(٣) وتصحيح الرواية، وقراءة النص من الداخل، ولهذه الطريقة معايير(٤) نجملها فيما يلي:

١ ـ عدم مخالفة القرآن الكريم من جهة الورود ومن جهة الدلالة.

٢ ـ عدم مخالفة الثابت من الحديث والسيرة النبوية.

٣ ـ عدم مخالفة العقل المستنير بالقرآن والسنة، أو الحس السليم، أو التاريخ الثابت بالقطع أو بما يشبه القطع.

هذه المعايير وإن كانت خاصة بنقد نص الحديث النبوي فإنها تظل صالحة لنقد النص الأدبي أيضا من حيث الإسلامية والمنطقية والواقعية..

وأخيراً، يمكن اعتماد منهجي الأصوليين(٥) والمفسرين من خلال علم الخاص والعام، وعلم المطلق والمقيد، وعلم المنطوق والمفهوم، والأمر والنهي، والواضح والغامض، ومراتبهما في بحث قضية اللفظ والمعنى ومسالة الدلالة..

إن التفسير والحديث والفقه والأصول ليست علوما ومعارف فقط ولكنها مناهج بحث(٦) وأساليب في الدرس وطرائق في القراءة والنقد والتحليل..

تلكم كانت نظرات في طريق تأصيل الإسلامية في النقد الأدبي من خلال التوسل بمناهج العلوم الشرعية.

■■ الهوامش:

* أستاذ بكلية اللغة العربية ـ جامعة القرويين ـ مراكش ـ المغرب.

(١) راجع تقديم عبده الراجحي للكتاب ص٦- دار النهضة العربية ط ١٩٨٤، وانظر حديث علي النشار عن منهج الأصوليين في الفصل الرابع من الباب الثاني من الكتاب.

(٢) راجع مثلا: المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل: دراسة منهجية في علوم الحديث - فاروق حمادة - مكتبة المعارف

(٣) انظر كتاب: منهج نقد المتن عند علماء الحديث - الباب الثاني - صلاح الدين الأدلبي - دار الآفاق الجديدة ط١/.

(٤) نفسه ص ٢٣٨ بتصرف - راجع تفصيل ذلك في الباب الثالث.

(٥) للتوسع راجع كتاب: المناهج الأصولية - محمد فتحي الدريني - مؤسسة الرسالة - بيروت ط٣/١٩٩٧.

(٦) انظر مثلا: أصول الفقه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة - طه جابر العلواني - منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي - ١٩٩٥.

تجيب عليها: الأديبة الشاعرة.. سعاد الناصر «أم سلمى»*

الأدب الإسلامي قادر على الإصغاء لنبضات الواقع وإعادة تشكـ

إذا كان عصر «المودة والعولمة والأنترنت»، قد فرض على الكثيرات من أديبات العصر، التنصل من أنوثتهن، والارتقاء على وَهمْ الرجولة، طمعا في النجومية، أو الظفر بذرة اهتمام.. وفي النهاية وجدن أنفسهن معلقات في شرنقة جنس ثالث، شاذّ على المجتمع، سمج في علاقاته الطبيعية والإنسانية.. فإنّ أخريات أبين هذه المساومة الرّخيصة، ودافعن عن أنوثتهن الأدبية والفنية باستماتة إبداعية محضة. مكنتهن - وباستحقاق - من ولوج هذا المجال، ومقاسمة الرجال، ما كان يبدو - في زمن مضى - حكراً عليهم. لكن من داخل أنوثتهن، الرافضة للتهميش والإقصاء.. لا من داخل معترك مستعار.. وبطبيعتهن لا بأصباغ الغير.. وعلى سبيل المثال لا الحصر، أستحضر هنا بعض هذه الأسماء التي حلقت في سماء الأدب الإسلامي، وإن كان غيرهن كثيرات مثل: الأخت الشاعرة: «عليّة الجعّار»، والأديبة المجاهدة: «أمينة قطب» من مصر.. وكذا الأخوات الأديبات: «فاطمة خليل» و«سعاد الناصر» «وأمنية المريني».. من المغرب.

ويسعدني اليوم، أن أستضيف إحداهن - وإياكم، على مأدبة: أسئلة التأصيل.. وكلي أمل في أن نلتقي بأخريات في المستقبل القريب إن شاء الله.

■■ الأخت أم سلمى.. من خلال تجربتك الأدبية في إطار الأدب الإسلامي هل استطعت أن تعبري عن مشاعرك وتترجميها إلى لغة إبداعية قابلة للتواصل؟ وإلى أيّ مدى، يضيق أو يتّسع فضاؤه العام، أمام أحلامك وآمالك؟ وأخيرا كيف تتصورين أو تريدينه أن يكون؟

●● أعتقد أن السؤال ينقسم إلى شطرين:

١- مدى استطاعة الأدب الإسلامي التعبير عن مشاعر المرأة وترجمتها إلى لغة إبداعية قابلة للتواصل

٢- ماهية تصوري لهذا الأدب وأحلامي حوله؟

بالنسبة للشطر الأول، فإني أود أن أقف عند نقطة معّينة، وهي أنّ المرأة إنسان، يتمتع بالرقة وشحنة إضافية من

سألها: المداني عدادي

بلغة إبداعية تختلف في قوتها بحسب حرارة التجربة نفسها

العاطفة. وإذا كانت هذه المرأة أديبة فهي آنذاك تفيض بما يموج في نفسها ووجدانها من مشاعر، سواء أكانت إحساسا بالجمال والتغني بحبه، أم كان إصغاء لنبض الواقع وإعادة تشكيله، شأنها في ذلك شأن الرجل الأديب.

وتجرّع جرعات مفرطة من العاطفة يصرف المرأة الأديبة عن ذاتها، باعتبارها إنسانا يمارس حقّه الطبيعي في تأسيس عالمه الجمالي في علاقته المتناغمة مع المدلولات الإنسانية ـ لتظلّ هائمة في محراب سوق العرض والطلب، أو في فضاء الصراع المفتعل بينها وبين الرجل

بالنسبة إليّ، فقد عملت على الخروج من هذه الشرنقة إلى رحاب الإنسانية، دون التخلي عن موقعي: امرأة معتزّة بدينها وبنفسها، تؤدّي رسالتها في الحياة، باعتبارها شريكة الرجل في خلافة الله في الأرض.

وبما أنّي قد أعطيت لنفسي الحقّ بحمل القلم، فإني مسؤولة عمّا يخطّه أمام الله أوّلاً وأمام الإنسانية ثانيا. وإحساسي بهذه المسؤولية قد حصّن رؤاي من الهيمان، وخوّل لي الانطلاق في آفاق ما نصطلح عليه «بالأدب الإسلامي».

وربط أدبنا بديننا الإسلامي لا يعني أننا مجبرون على التقوقع داخل إطار محدّد سلفاً ـ لأن هذا لن يثمر سوى أدب مفتعل، قد يتضمن مضامين جميلة وراقية، ولكن لن يصل إلى القلوب ولن يخترق المشاعر، وإنّما يعني أنّ الأديب المسلم ـ رجلاً كان أم أمرأة ـ من المفترض أن تسري في دمائه قناعات إيمانية، وأن يعمل دائما على تهذيب نفسه وإشباعها بالرّوح الإسلامية التي تجعله ينفر بشكل عفويّ وطبيعي من كلّ ما يناقض هذه الروح، وبالتّالي ينطلق أدبه حرّاً في سماء الإبداع دون أن تحدّه أيّ ضوابط إلزامية، وإنما تدفعه نسمات التصّور الإسلامي ليفيض بما يتناغم مع قيم الجمال والحقّ والعدل والحرية.. ويعيش في قلب الواقع وتلافيفه، كما يجوب آفاق الحلم وتضاريسه بفنّية وجمالية ملائمة.

انطلاقا من هذا يمكن القول: إن تصوّراً له هذا الفضاء الشاسع من الحرية لاشك أنه قابل لاحتضان مختلف المشاعر، وقادر على الإصغاء لأدق نبضات الواقع، وإعادة تشكيلهما بلغة إبداعية، قد تسمو وقد تضعف حسب حرارة التجربة الإبداعية نفسها، وحسب القدرات الذّاتية للمبدع، ومدى استطاعته مدّ التّواصل مع المتلقّي.

أما بالنسبة للشطر الثاني من السؤال فإني أتصور أن الأدب الإسلامي قد استطاع ـ من خلال نماذج متعددة ـ أن يعيد للكلمة دورها ووظيفتها في سلم الحضارة، بعد أن غرقت طويلاً في مستنقع الملذّات، وتعرية العورات، وأنتجت صوراً مغموسة في الانحلال والعبث والضياع.

ولذلك فإني أرجو ألاّ يظل الأدب الإسلامي مرتبطاً بالدّعوة فقط ـ وإن كان هذا جزءاً من مسؤولياته ـ وأن يُطلق العنان للخيال بأجنحته المضمّخة بالرؤية الإسلامية، ليجوب مختلف الأغراض ابتداء من أدق العلاقات الذاتية والإنسانية إلى أوسع القضايا الحضارية؛ حتّى يستطيع تلبية أشواق شرائح متعدّدة من الناس. كما أرجو أن تتسع العناية أكثر بأدب المرأة المسلمة وتشجيعها للخروج من شرنقة التّهميش والحذر التي وضعت نفسها فيهما.

---

* أديبة وشاعرة مغربية. عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية

من أعمال باكثير المجهولة..

دمعة حضرموت..

قصيدة ع

سنة ١٩٣٢ غادر الشاعر الشاب علي أحمد باكثير وط
إلى عدن «المحمية البريطانية آنذاك» موليا وجهه ش
أولاً بموت حافظ، ثم موت شوقي، وهو لايزال بعد في
نظم هذه القصيدة ـ التي تنشر لأول مرة ـ في يوم وفا

سَائِلُوا الدُّنيا وَصيحُوا في البَشَرْ
مَا دَهَى الشَّمسَ وما غَالَ القَمَرْ
فَإذا لمْ تَسمَعُوا غير الصَّدَى
فَاعلمُوا أنْ قدْ طَوَى «شوقي» قَدَرْ
فاسْكُبُوا مَا شِئْتُمُ مِنْ أدمُعٍ
وَأسيلُوا ما أرَدْتُم مِن عِبَر
وَلْتَذُبْ أنفُسكُمْ ثمَّ لتَسلْ
حَسَرَاتٍ قطراً بعد قَطَرْ

■■■

هذه العُرْبُ حَيَارَى كُلُّها
كَبِدٌ تَغْلي ودَمعٌ ينْهمِرْ
يَتَوَلاَّها التَبَاعٌ دُونَه
لَوعَةُ الثَّكلَى وبأسُ المحتَضَرْ
نبأ مرّ بها فاضْطَرَبَتْ
وَبِبركان أسَاها فانفَجَرْ
كَبَّرَتْ «ماتَ أميرُ الشِّعر» مَنْ
يَعهَا يُغْشَ عَلَيهِ ويُدَر
شاعِرُ العُرب وحامي رُكنها
وَرَدَ الموتَ إلى غير صَدَرْ
فَقَدتْ قائدَها الأكبَرَ في
سَاعَةِ الشِّدَّة والأمْرُ خَطَرْ
وَرَحَى الحربِ بِها دائرةٌ
تُبصِرُ الأنجمَ في وَقْتِ الظُّهرْ
يالَهَوْلِ الصَّدْمَةِ الكُبرَى فَقَد
عَظُمَ الخَطْبُ وعَزَّ المُصْطبَرْ

■■■

فُجِعتْ «مِصرُ» بِمُعلي شَأنِها
وَمُحَلِّي جِيدِهَا أغْلَى الدُّرَرْ
بمعزيها «ببنتاءودها»
مَنْ يُعَزِّيها «بشوقيها» الأغَرُّ
جرعت لما رأت أحمدها
بارد الأطراف مشخوص البَصَرْ
سَاكِنَ الأعضَاء من غَير كَرَى
جَامِدَ المَقْوَلِ مِنْ غَير حَصَرْ
مَاعَرَا القلبَ الذي تَهفُو بِهِ
كُلُّ ذكرى فَقَدا مِثلُ الحَجَرْ
عَجباً ما ضَاقَت الدُّنيا به
وَسِعَتْهُ حُفْرَةٌ بَينَ حُفَرْ

■■■

على أمير الشعراء

رها ٦٨ عاماً

نه الأصلي حزيناً كاسف البال بعد وفاة زوجه الشابة
طر مصر حالماً بأن يلقى شوقي وحافظ، فإذا به يفجع
دن فيرثيهما بدموع سخينة ترجمها شعره، وقد
وقي.

تِلْكُمُ «الضـــاد» وَذي أَوْطانُهـــا
فَـقَـدَتْ في سُـدْفَـة الليل القَـمَـرْ
فـرُبى «مِـصْـرَ» اسـتَـحـالَتْ مَـأتَماً
جُـمع الآسـادُ فـيـه والعُـفـرْ
جَلَّلتْ «أهرامُـهَـا» كـاسـفَـةٌ
مـسـحـةُ الحـزنِ وَسِـيـمـاءُ الكَدَرْ

وَيَـدُ «النـيل» عـلى أحـشـائـه
سـاخـطاً يرنو إلـى الكونِ الـشّـزَرْ
وَبكَتْ «طـيـبـة» و«البـيتُ» مـعـا
كَمْ تَـغَنّى بـعُـلاَهَا وافـتَـخَـرْ
وربوع «الـشـام» تَبكي شـاعـراً
نَدَبَ الأمـلاك فـيـهـا والسُّـرر
وَبَكى «البـسـفـور» مَنْ صَـوّرَهُ
فـوقَ مَـا أُوتِيَ مِنْ حُـسنِ الصُّـوَرْ
خصّ بالآيـات «كُـبـرى شـمـسـه»
وَنَعـاهـا إذ هَوَتْ فـي مُنْـحَـدَرْ
و«بنـجـد» حَـسَـراتٌ تـلتـظى
و«بـبـغـداد» شـآبـيبُ تـدر
وعلـى «الأحـقـاف» آياتُ الأسى
وبأرضِ «اليَـمَـنِ» الـدَّمْعُ غُـدُر

■■■

مَنْ يُـعـزّي «الشـرقَ» في أحـزانه
ويهـنّيـه إذا مـا الشـرقُ سُـرْ
عُطِّلَتْ قَـيـثـارَة الشـرقِ الّـتي
أَشْـجَـتِ الدُّنيـا مليّـا والبَـشَـرْ
واسْـتَـحَـالَتْ قطَعـاً مـنْ خَـشبٍ
فَـكَأَنْ لَـمْ تَشْجِ قلبـاً أو تُـثِـرْ
شَـمسُ شِـعْـرِ العُـرُبِ غـابت زمنا
و«بشـوقي» قـربـهـا في الـكون در
شـاعـرُ الـكونِ يُـطاطي رأسـه
عنده «دانتي» و«فكتـورُ» يَخـرْ
حَلّ «شَـاكـسـبـيـرُ» في هَيكله
و«أبـوالطّـيِّـب» و«المَـلْكُ الأَغَـرْ»
أُشـرِبَتْ مُـهـجَـتُـهُ أرواحَـهُمْ
فـالتَـقَـتْ فـيـهـا بَديـعـاتُ الصّـوَر
واسْـتَـسَـرَّتْ عَـبـقـرياتُ النُّهَى
في مَطاويهـا وأَعْـلاقُ الـفِكَـرْ
وجَـرَى «القـرآن» في أعـمـاقـهـا
مُـعـجـزَ الآيـاتِ وَضّـاءَ السُّـوَرْ

فَصَفَتْ ثم هَفَتْ فاضطرمَتْ
فَرَمَتْها ماضيات كالقدر
ضاحكات كأزاهير الرُّبَى
وشَذيّات كأنفاس السَّحَرْ
خالدات يُعجَبُ الدَّهرُ لها
إذ تحدّاه ونهزا بالعُصُر
أصبحتْ مِنْ سُنَنِ الكون فلا
تنمحي أو ينمحي منها الأثرْ

■■■

لم يَقُمْ مِن ألف عامٍ قد مَضَى
مثلُ «شوقي» في بني العُرب شَعَر
هلْ رأيتُمْ قبلَ «شوقي» من يَدٍ
وَصلَتْ عصراً بعصرٍ قَدْ غَبَرْ
جَذَبَتْ حَلْقَةَ ماضينا إلى
حَلْقَة الحاضرِ بَعْدَ المُنْبَتِرْ
صَافَحَتْ - مِنْ كوّة الغيبِ - يَدَ (م)
«المُتَنبّي» في غيابات العُصُرْ
فَكَأنْ لَمْ يَكُ بَينَ الأحْمَدَيْنِ (م)
قُرونٌ وَصُرُوفٌ وَغِيَرْ
كيفَ شَمسٌ نارت الكونَ هَوَتْ
كَيْفَ شخصٌ مَلأ الدُّنيا قُبِر

■■■

يَا بَنات النيل أسعِدْنَ أخا
غُربة لَوَحّهُ طُولُ السَّفَرْ
شَرِقًا بالدّمع أهدين له
مِنْ نمير النيل كفاً يُعْتَصَرْ
«حَضْرَموتٌ» دائرة حيث التقت
باسقاتُ النّخلِ فيها والسِّدر
حيث أنفاسُ الصَّبا بَاردةٌ
والهَواءُ الطَّلقُ والماءُ الخَضِرْ
خطفَ الدَّهرُ بها من يَدِهِ
زَهرةً منكُنَّ في العمر النَّضِر
ما ثلثكُنَّ جَمالاً وحُلى
وَتسامَتْ بِحَياءٍ وَخَفَرْ
فانبرى يَنشُدُ في «مِصْرَ» العَزَا
فإذا مِصرُ عليه تستعر
سَلَبَتْ «حَافظَهَا» في غِرَّة
ثم «شَوقيها» بلمح من بَصَرْ
كم تَمَنَّيتُ بأن ألقاهما
فأرى الوالدَ والعمَّ الأبَرّ
تَبَّت الأيام هَلْ آلَيْنَ أنْ
لَيس يقضَي «لعليّ» من وَطَرْ
غفرك اللهم بل هل شنأتْ
فَلَقَ العُرْبِ الجميل المنتَظَرْ
أبْصَرتْ أنوارَهُ تَلمَعُ في
مُنحَنَى الأفق على مَرمَى النَّظرْ
فَسَمَتْ فانْتَهَبَتْ أسْطَعَ ما
ضَمَّت الهَالَةُ مِنْ شَتَّى الزُّهُر
ستظل العُربُ تَبكي شَجْوَهَا
كُلَّما طالَعَت الأفقَ دُرَرْ
كيف لايَبْكيهما شَعبٌ هما
بمكان الشّمع منهُ والبَصَرْ
أبَنَات النيل جَدِّدْنَ الأسى
لِفَتَى النيل وشَقِّقْنَ الخُمُرْ
هل تبصرن من نُحتُنّهُ
إنه أبْلغُ مَنْ خطَ السُّطُرَ
وحَيَاةُ المرءِ دينٌ ثابتٌ
ويَقينٌ وَجِهادٌ مُستَمِرُّ
وعلى الإنسانِ أن يَشْقَى إذا
شاقَهُ عطف النّعيم المُسبكِرّ
قَدْ وَعَيناهَا تطب نَفْساً بنا
ستوافيكَ غداً عَنّا البُشَرْ
عندما يَرجعُ ماضينا لَنا
قاهرَ السُّلطانِ مَرمُوقَ الخَطَرْ
مُحْكَمُ التّنزيل دُسْتورُ لَنا
وحُجُولُ المجدِ فينا والغُرَرْ
تَخضَعُ الدنيا لَنَا طائعةً
تَشتكي الظُّلمَ إلى عَدْلِ «عُمَرْ»

فـــانزِلِ الفِـــرْدَوْسَ واذكُـــرْنا إذا
مَـــاسَنَا «الـهـــاذي» لعَـــيْنَيْكَ زَهَر

أَهْدِه عَـنا تحـــيـــات كـــمـــا
رَقَّ إحـســاسُكَ في وَقْتِ السَّـحَـرْ

غَـنَّه بـعضَ قـــوافـــيـكَ على
حَـــافـــة «الكَـوْثَر» من تِـبْـــرٍ وَدُرْ

وَادعُ حُـــورَ الخُلْد يَغْـــرِفْنَ وَلا
تَـنْسَ أنَّ الخـــمْـــرَ حِلٌ والوَتَـرْ

سَـتَـرَى «المختـارَ» يَهْـتَـزُّ لَهـا
مُـسْتَنيراً وَجْـهُـهُ مِثل القَمَـرْ

ثـمَّ بَـلِّـغْـــــهُ بـأنَّـا ـ آلَـهُ ـ
قـد بَدَأنا نـخلَعُ النِّـيـرَ العَـسِـرْ

عَـلَّهُ يَـدعُـــو لَـنَـا الله بِـمَـــا
يُـوصِلُ الـغَـــايـةَ أو يُدْني الوَطَـرْ

قُـلْ لَهُ يـأيُّـهـــا الـهـــادي أقِلْ
عَـثْـرَةَ الإسـلامِ يَنهَضْ وَيَثُـرْ

إنه «شـــوقي» أمـيـرُ الشُّـعَـرَا
عـبـقـريُّ الدّهر مـرآة الـعـصـر

أُغْـرِيَ الدّهرُ بمصـرٍ وَيْـحَـهَـا
كُلَّ يـوم كـوكبٌ فـيـهـا يَخِـرُّ

كـــانَ يُـرضي النيلَ منكنَّ الـفِـدَا
أتَرَيْـنَ الدَّهْر للنيل اقـتـفـر

لـو ذَهَبـــتُـنَّ فِـــداءً دُونَ مَنْ
رَفـع النيل لما كـــان كـثـر

■■■

شـاعِـرَ الإسـلامِ لا تَـبْـعُـد وهل
كـرحـيل الموت في البـعـدِ سـفـر

لُحي الدّهْرُ فـقـد جَـرّعَنَا
مِنْ نَواكَ الـصـاب مُـرّاً والصّـبـر

ولقـد أقـصـاكَ عن أرواحـنا
ـ وهي مَـثْـوى لك ـ لَوْ كَـان قَـدِر

إنـه أعـجـز مـن ذاك وإن
شطَّ في الجَـوْرِ عَلَـيْنا وَغَـدَرْ

قـد حَـفَـرْنَا لَكَ في أكـبـادنا
خَـالد القَـبـرِ إذَا القَـبـرُ انـدَثرْ

فَلَوَ ان الموتَ يُـرضـيـه الفِـدَا
لفـديْنـاك بمحـبـوب العُـمُـر

أو لَـوَانَّ القَـدَرَ الجـاري لـه
دَافِعٌ قُـمنا وَغَـالَبْنَا الـقَـدَرُ

■■■

مِـنْ وَصـايـاكَ إلـينـا «إنمـا
الأمم الأخـلاقُ» و«الـدُّنيـا سِـيَـرَ»

وعلى الحـمـراءِ بابٌ دَقَّـهُ
بيـد سـالتْ بمسـفـوحِ هدَر

وأسَـاسُ المُلك بُـنيَـانٌ وغَـرْ
سٌ وتجـديدٌ وعـقـلٌ يدّبرْ

فَـعَـزاءً آلَ شـوقي إنّمـا
هكذا الدُّنيـا سُـرورٌ وَكَـدَرْ

وَعـزاءً يـاسَـمـيّي وأخي
كُلُّنا في الخَطْبِ مـفـقـور الظَّـهـرْ

إنّمـا شَـوْقي أبونـا كُـلّنا
ـ أُمَـةُ العُـربِ ـ بشوقي تفـتـخِـرْ

سـاقَـهُ بـالملأ الأعلى السَّنا
فـانْبَـرَى يَـنْسَـابُ مـنه في نَهَـرْ

إنْ يَـكُـنْ وَلـي فَـذي آثارُهُ
يَهْـرَمُ الدَّهرُ بِهَـا وَهْـي نُضُـرَ

أوْ يَمُـيتْ فـاللهُ بـاقٍ وَحْـدَهُ
مَـا لمخلوقٍ مِنَ المَوْتِ مَـفَـرّ

سَوفَ يَطْوي الأرْضَ يَوماً والسَّمَا
وَارِثُ الأجْـيَـالِ خَـلاَّقُ الـقَـدَرْ

إنَّ هَـذا لهُـوَ الحَـقُّ فَـمَـنْ
شـاءَ فَلْيُـؤْمِـنْ وَمَنْ شـاءَ كَـفَـرْ

مَـوتُ شـوقي آيةٌ دَلَّـت على
أن هذي الشُّـهْـبَ يَومـاً تَنْكَدِر!

عدن: ١٥/أكتوبر ١٩٣٢م

مسرحية..

من فصل واحد

المكافأة..

(المشهد الأول)

(يرفع الستار عن سجن ببغداد.. في عهد الخليفة المأمون.. نرى رجلاً مقيداً بالسلاسل، ويبدو عليه التعب والإرهاق.. يدخل المأمون ومعه العباس صاحب الشرطة وبعض الجنود)

المأمون: (لأحد الجنود) هل قدمتم له طعاماً؟

الجندي: أطعمناه ياسيدي.

المأمون: عباس.

العباس: لبيك يا أمير المؤمنين.

المأمون: (يشير للرجل المقيد) خذ هذا فاستوثق منه، واحتفظ به، وبكر به إليَّ في الغد، وخذ حيطتك وحذرك.

العباس: أمر مولاي.. الجنود يقومون بحراسته، فلايهمنك أمره

المأمون: لا.. أريدك أن تستوثق منه بنفسك، فهذا مجرم خطير.. هل سمعت؟

العباس: كما ترى ياسيدي.

(يخرج المأمون)

العباس: (للجنود) اسمعوا.. لاتبيتوا خارج السجن الليلة.. تناوبوا حراسته حتى الصباح.

الجندي: لن يستطيع الهروب ياسيدي، فقواه خائرة.

العباس: نفذ ماسمعت دون كلام.

الجندي: أمرك ياسيدي.. ولكن.. يعني..

العباس: قلت تناوبوا حراسته.. اثنان بعدهما اثنان (بعد تفكير) اسمع، سأحمله معي إلى داري ليكون تحت نظري.

الجندي: ستحرسه بنفسك ياسيدي!

العباس: ألم تسمع ماقاله أمير المؤمنين.. هيا احملوه إلى داري.. هيا (الجنود يقودون الرجل وهو مكبل في قيوده ثم يخرجون.. يظلم المسرح تدريجاً.. ظلام).

(المشهد الثاني)

(حجرة في دار العباس صاحب الشرطة)

الرجل: (ومازال مقيداً) هل تسمح لي بماء؟

العباس: هل تشرب؟

الرجل: سأتوضأ.

العباس: انتظر (ينادي) ياهمام.. ياهمام (يدخل الجندي همام).

همام: لبيك ياسيدي.

العباس: هات طستاً وماء، حتى يتوضأ الرجل.

همام: (يخرج ثم يعود بعد لحظة بطست به ماء فيتوضأ الرجل من خلال قيوده في صعوبة).

العباس: سنتركك لتصلي.

الرجل: أشكرك.. لقد أديت ماعليَّ من صلاة، ولكن أحببت أن أتوضأ لأتخفف من همومي.. آسف إذا كنت قد سببت لكم إزعاجاً.

العباس: هذا حقك.. (لهمام) خذ الطست ياهمام.

همام: أمرك ياسيدي (يخرج بالطست).

العباس: هل أنت بغدادي؟

الرجل: لا.. دمشقي.

العباس: (في لهفة) أحقاً من دمشق؟

الرجل: نعم.

العباس: جزى الله دمشق وأهلها خيراً.. فمن أنت من أهلها؟

الرجل: عمن تسأل؟

العباس: هل تعرف علي الدمشقي؟

الرجل: من أين تعرف ذلك الرجل؟

العباس: وقعت لي معه قضية.

الرجل: ماكنت بالذي يخبرك عنه حتى تعرفني قضيتك معه.

العباس: ويحك.. قلت لك كانت لي معه قضية.

الرجل: لوأخبرتني بها.. لأخبرتك عنه.

العباس: كنت مع بعض الولاة، بدمشق فبغى أهلها، وخرجوا علينا، حتى إن الوالي تدلى في زنبيل من قصرالحجاج وهرب هو وأصحابه، أما أنا.. (يظلم

بقلم: علي محمد الغريب*

المسرح تدريجاً ثم ينتقل المشهد إلى دمشق آنئذ.. نرى علي الدمشقي جالساً أمام داره يقضي بعض شؤونه.. يدخل العباس مضطرباً، بادياً عليه الإرهاق والخوف).

العباس: أغثني أغاثك الله.

علي: ماذا هناك؟ لاروعك الله يارجل!!

العباس: (وهو يتلفت حوله) إنهم يبحثون عني.. يبحثون عني!!

علي: من هم؟!

العباس: خبئني قبل أن يدركوني.

علي (يشير بيده إلى داره، ومازال مندهشاً) ادخل هنا ولاتخف (يرفع صوته منادياً) مكان الضيوف يا أم البراء.

(يدخل رجلان..يبدو أنهما يبحثان عن العباس).

الأول: لم يبرح هذا الحي.. لكني لاأعرف كيف اختفى؟!

الثاني: إنه رأيك الذي أفسد علينا القبض عليه (لعلي) ألم يمر عليك رجل من هنا؟

علي: لا لم يمر عليّ أحد.

الأول: بل مر من هنا.

الثاني: هيا.. لاتضع الوقت علينا.

الأول: قلت لك إنه بهذا الحي، وإني لأقسم إنه عند هذا الرجل (يشير لعلي).

علي: وماشأني به، فتشا داري إذا شئتما!!

الأول: أجل فلنفتشها (لصاحبه) تعال من خلفي.

الثاني: أف.. يالك من عنيد.

الأول: تعال ولاتتكلم (يدخلان الدار.. نسمع صوت امرأة الدمشقي من الداخل) المرأة: قبحكم الله.. أو تدخلان عليّ الدار دون مراعاة حرمتها؟! إليكما عني وإلا شكوتكما لأمير المؤمنين. (يخرج الرجلان).

الأول: (لعلي في إصرار) ومع ذلك فأنا مصر أنه عندك.

الثاني: (يتقدم صاحبه وهو يجري) هيا.. هيا لاتفوت علينا الفرصة (يخرجان).

(عوداً إلى دار العباس.. يبدو العباس وهو يتكلم وعيناه شاخصتان كأنه يرى مايرويه).

العباس: خرج الرجلان وهما يتميزان غيظاً من الدمشقي وامرأته التي نهرتهما، وراحا يجوبان الدروب بحثاً عني (يتوقف ثم ينظر للدمشقي) يبدو أنك تعبت من كثرة الكلام.

الرجل: لا لا.. أكمل أكمل.

العباس: إن كان ذلك يزعجك فليس لي عليك سلطان، إنما حقي هو أن أتحفظ عليك فقط.

الرجل: أنا الذي أحب أن أسمع، أكمل فلعلك تهون عليّ ما أنا فيه.. أكمل أرجوك.

العباس: أين توقفنا؟

الرجل: عندما خرج الرجلان وهما يتميزان غيظاً من الدمشقي وامرأته.

العباس: آه.. بعدما خرج الرجلان دخل إليّ صاحب الدار، ثم أمنني قائلاً: لاتخف، لقد صرف الله عنك شرهم، ومازال يحسن إليّ، وأفرد لي مكاناً في داره، ولم يسألني عن اسمي، وماكان يناديني إلا بالكنية، وذلك لمدة أربعة أشهر، وبعدما هدأت الفتنة عزمت على التوجه إلى بغداد فجهزني كأحسن مايجهز المسافر، ثم انصرفت إلى بغداد، وأنا أتتبع خبره لأفي بعهدي له وأكافئه، فانشغلت بأمير المؤمنين ولم أتفرغ، ولهذا أنا أسألك عنه.

الرجل: لقد أمنك الله تعالى من الوفاء، ومكافأة الرجل على مافعله ومجازاته على صنيعه ولاكلفة عليك.

العباس: كيف ذلك؟

الرجل: أنا ذلك الرجل، وإنما الضر الذي أنا فيه، هو الذي بدل حالي وغير شكلي.

العباس: (مندهشاً) أنت هو هو؟

الرجل: نعم.

العباس: (ومازال مندهشاً) ياالله.. أعطني علامة أعرفك بها!

علي: أو تذكر ليلة أن أتيتك في السحر وقلت لك استعد فإن القافلة ستتحرك بعد قليل؟

العباس: أعطني علامة أخرى

علي: أو تذكر عندما جئتك وامرأتي ببقجة من الملابس وخفين وسيف، ومنطقة شددتها في وسطك؟

العباس: (يبكي من شدة الفرح والألم معاً) ياسبحان الله (ينهال عليه تقبيلاً ثم يفك قيوده ويأخذه إلى داخل الدار لحظة ثم يعود معه وقد أهداه ثياباً جديدة) أصدقني القول ياسيدي، ماالذي صيرك إلى ماأرى؟

علي: (يتنهد في ألم) هاجت بدمشق فتنة كالتي كانت في أيامك، فنسبت إليّ، وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد، وأخذت أنا وضربت إلى أن أشرفت على الموت، وقيدت وبعث بي إلى أمير المؤمنين، وهو قاتلي لامحالة، فإن رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن ترسل من يحضر غلاماً لي خرج من خلفي وهو نازل عند أحد الوراقين، حتى ينصرف إلى أهلي بخبري، فإن أنت فعلت فقد جاوزت حد المكافأة، وقمت لي بوفاء عهدك.

العباس: يصنع الله خيراً (ينادي) ياهمام.

همام: (يدخل) لبيك ياسيدي.

العباس: جهز الفرس الأبلق، وبغلين، واحملوا عليهما أربعة صناديق، واملأوها بالهدايا، ثم خذ الرجل ورافقه حتى يخرج من حدود المدينة.

علي: إن ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم، وخطبي جسيم، وإن أنت احتججت بأني هربت، بعث أمير المؤمنين في طلبي ثم قتلني وآذاك.

العباس: انج بنفسك، ودعني أدبر أمري.

علي: والله ماأبرح بغداد حتى أعلم مايكون من أمرك.

العباس: اسمع ياهمام، اذهب معه إلى حدود المدينة، فإن سلمت في غداة غد أعلمته، وإن أنا قتلت، فقد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه، وأنشدك الله أن لايذهب من ماله درهم، واجتهد في إخراجه من بغداد سالماً.

المشهد الثالث

(مجلس أمير المؤمنين.. يدخل العباس حاملاً كفنه على يديه)

العباس: السلام عليكم ياأمير المؤمنين.

المأمون: (مندهشاً) وعليكم السلام.. ماهذا الذي بين يديك.. ثم أين الرجل الذي استودعتك إياه أمس؟

العباس: لاينكلم.

المأمون: ويحك.. أين الرجل؟

العباس: ياأمير المؤمنين أرجو أن تسمع مني.

المأمون: لله علي عهد، لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك.

العباس: لا والله ماهرب ياأمير المؤمنين، ولكن اسمع حديثي ثم افعل ماتريد أن تفعله في أمري.

المأمون: قل

العباس: ياأمير المؤمنين.. هل تذكر الفتنة التي، كنت سأروح ضحيتها في دمشق من قبل سنوات مضت؟

المأمون: نعم أذكرها جيداً.

العباس: وهل تذكر الرجل الذي حدثتك أنه أنقذني؟

المأمون: نعم أذكره.

العباس: هو نفسه الرجل الذي استودعتني إياه أمس، ولهذا الرجل دين في عنقي، وأردت أن أكافئه على مافعله معي، فقلت أنا وسيدي أمير المؤمنين بين أمرين، إما أن يصفح عني فأكون، قد وفيت وكافأت، وإما أن يقتلني فاقيه بنفسي.. وقد تحنطت، وها هو ذا كفني ياأمير المؤمنين، فالأمر لك.

المأمون: ويلك.. لأجزاك الله عن نفسك خيراً، إنه فعل معك مافعل من غير معرفة، وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لاغيره؟!.. هلا عرفتني خبره لنكافئه عنك، ولانقصر في وفائك له.

العباس: ياأمير المؤمنين، إنه ها هنا قريب وقد أقسم ألا يبرح حتى يطمئن إلى سلامتي، فإن احتجت إلى حضوره حضر.

المأمون: وهذه منه أعظم من الأولى.. اذهب إليه الآن فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته.

العباس: (لايعرف ماذا يفعل من شدة الفرح، فيترك كفنه على الأرض وينطلق.. لحظة ثم يعود بعلي الدمشقي).

المأمون: (لعلي) والله إنك لمن خير العباد، وقد رأيت أن استعملك على دمشق.

علي: حفظ الله أمير المؤمنين.. أرجو أن تعفيني.

المأمون: نريد أن نوفيك ونكافئك.

علي: عفوك عني هو أعظم مكافأة.

المأمون: (للعباس) جهزوا عشرة أفراس بسروجها ولجمها، وعشرة أبغال بآلاتها، وعشرة آلاف دينار، وعشرة مماليك بدوابهم، ليرافقوا الدمشقي حتى يصل إلى دمشق آمناً مطمئناً بإذن الله.

«ستار»

---

* أديب مصري، كاتب قصة ومسرحية، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

□□□

ياطائر الشعر لاتعبأ بآهاتي
فالجرح جرحيَ والمأساة مأساتي
ياطائر الشعر مزق نبض أغنية
أعددتها للمنى يوم انتصاراتي
وحطم الناي فالألحان دامية
مزجتها بالجوى القاسي وأناتي
وانظم من الحزن والأشجان ملحمة
جمعت فيها تراتيل الكآبات
ألم تزل شادياً للحب في زمن
لايدرك الحب إلا في المعاناة
ألم تزل داعياً للحق في أمم
العدل في شرعها أصل السخافات
دعوت هذا الورى الغافين في سِنة
فلم يلبوك إلا بالهتافات
فالناس يبدون في الدنيا كأنهمُ
مضيعون بلا ماض ولاآت
لاتنتظر شاعراً يأتي فينشدنا
قصيدة عن رؤى حلم مضيئات
هذا فمي كموه، أحرقوا لغتي
ودمَّروا مزهري الشادي وآياتي
ها أنت ذا قد نكأت الجرح فاشتعلت
حرائق الدم في شريان أبياتي
آليت إما يكون الشعر لي وهجاً
مقدَّساً يرتوي نار الحميَّات
أو لايكون فلن أرضى به نغماً
مرفَّها لايرى سخطي ولوعاتي
هذا الزمان، زمان الزور يسحقنا
سحق العبيد بأقدام السيادات

ـاة الشيشان

شعر:
الشريني محمد شريده

هذا زمان ثقيل البغي تحكمه
شريعة الغاب في قهر وإعنات
يسّاقط المجد فيه رغم عزته
وينحني السيف من عقم البطولات
دع عنك ماقد رووا زوراً وتلهية
عن عالم يتلالا بالسعادات
ماتلك إلا حكايات ملفقة
وخدعة زفّها مين السياسات
كلُّ الذي ردّدوه عن حضارتهمْ
ختل يشيعه زيف الشعارات
مانحن إلا طغامٌ في عقيدتهم
وعندهم قد غدا الإنسان كالشاة
فانج الغداة، جيوش الحقد جاهلة
لاترقب الله في وأد المنارات
واذكر إذا جاءك الإعصار يحملني
روحاً يكفنها بؤس المنيات
آلام شعب عريق الدين جندله
خزي الهزائم في قبر العذابات
تمزقت حوله الأيام وانتحرت
آماله في دياجير الشكايات
فعمره من سقام الذل أضرحة
أركانها هيكل دامي المذلات
في نصف ألف من الأعوام شقوته
فوق الجباه تلظى بالجراحات
تشبعت شهوة الطغيان من دمه
وخلّفته مسجّى في الرزيّات
عاثت خيول العدى في قدس جنّته
الكفر يحصدها بالمنجل العاتي
لايفتأ الحاكم الجلاد يطعنه
يسومه بالضنى سود المهانات
يموت في كل عصر تحت سطوته
ويرتوي بالأسى صاب المرارات
فصار في هوة التاريخ محترقاً
كومضة الفجر في أسر الغمامات
أطفاله، جائع ثارت لشقوته
ملائك العرش في قلب السماوات
أزرى به الهم والأسقام ضارية
تلقى به بين أنياب المجاعات
وضائع كالشظايا من عشيرته
مروع العمر في بيد المتاهات
تزاحمت حوله الأقدام هاربة
تكاد تطحنه خوف الرصاصات
ونسوة مثل روح الحب طاهرة
مشت عليهن أحكام البليات
قد عشن بالأمس والأحلام زاهية
يمرحن في فرحٍ مثل الفراشات
حتى انتبهن إذ الأقدار دائرة
تدنس الطهر في رجس الفجاءات
يبكين بين السبايا والرؤى مدن
تحطمت خلف أجفان كليلات
يحملن عاراً لَوَ انّ الطود يحملهُ
لدكَّ منتثراً بين الفضاءات
وعاجز يحمل الأيام في دمه
نعشاً من الحزن موار الحشاشات
كأن عكازه والرعب يكسره
مرنحاً في يد وجلى ورعشات
عمود صرح ذرته الريح في أرم
وبعثرته سراباً في الخيالات
وعابد عن ضجيج الناس مبتعد
قد رفرفت حوله طير الهدايات
تظل أوراده في النور سابحة
كموجة السحر في نهر القداسات
لكن محرابه أردت سكينته
خناجر الغدر في ليل الخيانات
ومسجد جذوة الطاغوت تحرقه
كي تطفئ النور أفواه الضلالات
تبكي عليه بحرِّ الدمع مئذنة
تهدمت تحت طوفان الخطيئات
والموت يقرع أجراساً مجلجلة
تشتت الأهل في تيه المفازات
كأن نفخة إسرافيل تجمعهم
جاثين مثل السكارى في جماعات
مأواهم اليوم خيمات ممزقة
مضروبة فوق أشلاء الضحيات
لله شعب تباب الظلم يرحمه
بلفحة من سعير الحب مزجاة
قل للذين عتوا لن تنصروا أبداً
مادامت الروح تصبو للشهادات
حجارة الأرض للإسلام ذاكرة
وطء السنابك في عصر الفتوحات
تحدث الزمن المرجوم كاتبه
تاريخها فوق جدران الحضارات
فؤادها كُم شدت في الدهر خفقته
سيحفظ العهد نوراً للبريات
عما قريب سيهدي النصر رايته
لفتية قد رووا نار الحماسات
حتى يعود ضحى الإسلام مؤتلقاً
مُضَوَّأ الدرب فياض البشارات
ياغرب هذا غد بيني وبينكمُ
ترقبوا فيه ثاري وانتفاضاتي

الشاعر وإبليس*

للفـــرزدق

جـاء في الديـوان أن الفـرزدق دخل يومـاً المـربد، فلقي رجلاً من موالي باهلة يقال له حُمام، ومعه نحْيٌ من سمن يبيـعه، فسامـه الفرزدق به. فقـال له حُمام: «ادفـعه إليك وتهب لي أعراض قـومي!» ففـعل. وقال وفي قـوله هجاء لإبليس:

أَلمْ تَـرَني عَـاهَدتُ ربّي، فَـإنَّـني
لَبَـيْنَ رتاجٍ قـائمٌ وَمَـقـامِ(١)
عَلَى قَسَمٍ: لا أشْـتِمُ الـدَّهْرَ مُسلماً،
وَلا خـارجاً مِنْ فـيَّ سُـوءُ كَـلامي
أَلمْ تَرني والـشّـعْـرَ، أَصْبَحَ بَـيْنَنَا
دُرُوءٌ منَ الإسـلامِ، ذاتُ حَـوَامِ
بِهِنَّ شَفَى الرَّحمـانُ صَدْري، وقدْ جَلا
عَـشَـا بَصَـري مِنْهُنَّ ضَـوْءُ ظَلامِ(٢)
فـأصبـحْتُ أسـعى في فكاك قـلادَةٍ،
رَهـيـنَـةِ أوْزَارٍ عَـلَـيَّ عِـظَـامِ(٣)
أحـاذِرُ أنْ أدْعَى، وَحَـوْضِـي مُـحَلَّقٌ؛
إذا كـانَ يَومُ الوِرْدِ يَـوْمَ خِـصَـامِ(٤)
ولَمْ أَنْتَـبِهْ، حَـتّى أحـاطَتْ خَطيئـتي
ورائِي، ودَقَّتْ لـلهَـوَانِ عِـظَامي(٥)

■■■

أطَعْـتُكَ، يَا إبْليسُ، سـبـعينَ حـجّـةً؛
فَلَمَّـا انْتَـهَى شـيـبي وَتَمَّ تمَـامي
فَـــررْتُ إلى رَبّـي، وَأيْقَـنْتُ أنَّـني
مُـلاقٍ لأيّـام المَنونِ حِـمَـامي(٦)
ولمّا دَنَـا رَأسُ الَّتي كُنْـتُ خَـائفـاً،
وَكُنْتُ أرى فـيـهـا لِقـاءَ لِزامِ(٧)
حَلَفْتُ عَـلى نَفْـسـي لأجْـتـهِـدَنَّهَـا
عَلَى حَـالـهـا: مِنْ صِحَّـةٍ وَسَـقـام
ألا طَالَمـا قـدْ بِتُّ، يُـوضِعُ نَاقـتي
أبو الجِنّ، إبليـسٌ، بغـيـر خِطَامِ(٨)
يَظَـلُّ يُمَنّـيـني عَلَـى الرّحْلِ وَاركـاً،
يَكُـونُ وَرَائي مَـرّةً وأمَـامي(٩)
يُبَـشّـرُني أنْ لَـنْ أَمُـوتَ، وأنَّهُ
سَـيُـخْلِـدُني في جَـنَّةٍ وَسَـلامِ

فَـقُلْتُ لَـهُ: هلاَّ أُخَـيَّكَ أَخْـرَجَتْ
يَمينُكَ مِن خُضرِ البُحُورِ طَوامي(١٠)
رَمَـيْتَ بِهِ فـي الْيَـمِّ، لَمَّا رَأَيْتَـهُ
كـفِرْقَـةِ طَوْدَيْ يَذْبُلٍ وَشَـمام(١١)
فَلَمَّـا تَلاقى فَـوْقَـهُ الموجُ طَامِـياً،
نَكَـصْتَ، وَلَمْ تَـحْـتَلْ لَهُ بِمَـرامِ
ألمْ تَأْتِ أَهْلَ الحِـجْرِ، والحِجْرُ أَهْلُهُ
بِأَنْعَمِ عَـيْشٍ في بُيُـوتٍ رُخـام(١٢)
فـقُل: أعـقِروا هذي اللَّقُوحَ، فَـإِنَّها
لَكُمْ، أَوْ تُـنِيـخُـوهَا لَقُـوحَ غَـرَامِ
فَلَمَّـا أَنَاخُـوها، تَـبَـرَّأتَ مِنْـهُمُ،
وَكُنْتَ نَـكُوصـاً عِنْدَ كُلِّ ذِمَـامِ(١٤)
وَآدَمُ قَـدْ أَخْـرَجْـتَـهُ، وَهوَ سـاكِنٌ
وَزَوْجَـتَـهُ، مِنْ خَـيْـرِ دارِ مُـقـامِ
وأَقْـسَـمْتَ، يـا إبْليسُ، أنّكَ ناصحٌ
له وَلَهـا، إقْـسـامَ غَـيْـرِ أثامِ
فَظلاً يَخـيطَانِ الـورَاقَ عَلَيْـهِـمـا،
بأيْديهِـمـا، من أكلِ شَـرِ طَعَـامِ(١٥)
وَكمْ من قُرونٍ قَـدْ أطَاعُوكَ، أصبَـحوا
أحـاديثَ، كـانُوا فـي ظلال غَـمـام
ومـا أَنْـتَ، يا إبليسُ، بالمَرءِ أبتـغي
رضـاهُ، ولا يقـتـادُني بِزمـام
سأجزيكَ، مِنْ سَوْآتِ مـا كُنْتَ سُقْتَني
إلَيْـهِ، جُـروُحاً فـيكَ ذاتَ كـلامِ(١٦)
تُعَـيِّـرُها في النّارِ، والـنّارُ تَلتـقي
عليك، بِزَقُّـومٍ لَهَـا وَضِـرَامِ
وَإنّ ابْـنَ إبلـيس وإبلـيسُ أَلْـبَنَـا،
لَهُمْ بِـعَـذَابِ الـنَّاسِ كُلَّ غُـلامِ(١٧)
هُمـا تَـفَـلا في فيَّ مِنْ فَـمَـوَيْهِـمَـا
عَلى النَّابِحِ العـاوي أَشدَّ رِجَـامِ(١٨)

■■ الهوامش:

* ديوان الفرزدق ٢/٧٦٩

(١) الرتاج: البـاب العظيم، واسم مكـة؛ فـيكنى بالـبـاب عن الكعـبة؛ لأن منه يُدخل إليـها. المقام: هـو الحجر الذي يحـمل أثر قدمي إبراهيم الخليل في الكعبة.

(٢) عشا البصر: سوء البصر بالليل.

(٣) القلادة: مايجـعل في العنق من الحلي، ويعني بها الطوق، والقيد.

(٤) الحوض المحلّق الحوض الذي جف ماؤه. يوم الخصام: أي يوم الدينونة.

(٥) للهوان: للضعف.

(٦) الحمَام: الموت.

(٧) اللزَام: الموت والحساب.

(٨) يوضع ناقتي: يسيـرها. الخطـام: حبـل يُجـعل في عنق البعـير ويثنى في خطمه أي أنفـه، وكل ما وضع في أنف البعـير ليقتاد به.

(٩) يُمنيني بكذا: يجـعله لي أمنيـة. ورك الراكـب: ثنى رجله ليستريح، أو اعتمد على وركه.

(١٠) أخيَّك: تصغـير أخيك، أراد به فرعون الذي غرق بجـيشه في البحر الأحمر. الطوامي: الممتلئة.

(١١) الفرقة: الطائفة. يذبل وشمام: جبلان في أرض باهلة.

(١٢) الحجْر: ديار ثمود في ناحية الشام عند وادي القرى.

(١٣) اللقَوح: الناقة. الغـرام: الهـلاك. وفي البيت إشـارة إلى قصة ثمود وعقر ناقة صالح.

(١٤) الذمام: الحق والحرمة؛ لأن نقضه موجب الذمّ.

(١٥) الوراق ج ورق.

(١٦) الكلام ج كَلم: وهو الجرح.

(١٧) ابنَ ابليس: كل من تشيَّع له. ألْبَنَه: سقاه.

(١٨) في روايـة ثانيـة «أشـدُّ لجـامي» وأراد بالنـابح العاوي جريراً.

تراث الشعر

قوسُ الكُسَعِي*

للميـــداني

**** «أنْدَه من الكُسَعِي»:**

قال حمزة: هو رجل من كُسَعَ، واسمه محارب بن قَيْس، وقال غيره: هو من بني كُسَعَ ثم من بني محارب، واسمه غامد بن الحارث، ومن حديثه أنه كان يرعى إبلا له بواد مُعْشِب، فبينما هو كذلك إذ أبصر نَبْعة في صخرة، فأعجبتهُ، فقال: ينبغي أن تكون هذه قَوْساً؛ فجعل يتعهدها ويرصدها، حتى إذا أدْرَكت قطعها وجففها، فلما جفت اتخذ منها قوساً، وأنشأ يقول:

يارَبّ وَفّقْني لِنَحْتِ قَوْسي
فإنها من لذّتي لِنَفْسي
وَانْفَعْ بِقَوْسي وَلَدي وَعِرسي
أنحتها صفراء مثل الوَرْسِ
*** صفراء ليست كَقسيِّ النكسِ ***

ثم دهنَها وخطمها بوتر، ثم عمد إلى ما كان من برايتها فجعل منها خمسة أسهم، وجعل يقلبها في كفه ويقول:

هُنّ وَرَبّي أسْهُمٌ حِسَانُ
تَلذُّ للرّامي بها البَنَانُ
كأنما قوامها مِيزَانُ
فأبشِرُوا بالخِصْبِ يا صِبْيَان
**** إن لم يَعُقْني الشؤْمُ والحرْمانُ ***

ثم خرج حتى أتى قُتْرَةً على مَوَارد حُمُر فكمن فيها، فمرَّ قطيع منها، فرمى عيراً منها فأمخطه السهم: أي أنفذه فيه وجازه، وأصاب الجبل فأورى ناراً، فظن أنه أخطأه فأنشأ يقول:

أعوذُ بالله العزيزِ الرَّحمَن
مِنْ نَكَدِ الجدِّ مَعاً والحِرمان
مالي رأيتُ السَّهْمَ بَينَ الصوّانْ
يُوري شَرَاراً مِثْلَ لَوْنِ العِقْيانْ
*** فأخلفَ اليَوْمَ رَجاءَ الصِّبْيَانْ ***

ثم مكث على حاله فمر قطيع آخر، فرمى منها عيراً فأمخطه السهم، وصنعَ صنيع الأول، فأنشأ يقول:

لابارَك الرحمنُ في رمي القَتَرْ
أعُوذُ بالخالق مِن سُوء القَدَرْ

من تراث

أأمْخَطَ السَّهْمُ لإرْهاقِ البَصَرْ
أم ذاكَ مِنْ سُوء احتيالٍ ونَظَرْ

ثم مكث على حاله، فمر قطيع آخر، فرمى منها عيراً فأمخطه السهم، فصنع صنيع الثاني، فأنشأ يقول:

مابالُ سَهْمي يُوقِدُ الحُبَاحِباَ
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أن يَكونَ صَائباً
وأمكن العير وَوَلّى جَانباً
فصار رأيي فيه رأياً خائباً

ثم مكث مكانه، فمر به قطيع آخر، فرمى عيراً منها، فصنع صنيع الثالث، فأنشأ يقول:

ياأسفي للشؤم وَالجدِّ النَّكد
أَخْلَفَ ماأرجُو لأهل وَوَلَدْ

ثم مر به قطيع آخر، فرمى عيراً منها، فصنع صنيع الرابع، فأنشأ يقول:

أبَعْدَ خمسٍ قد حَفِظْتُ عَدّهَا
أحملُ قوسي وأريدُ وِرْدَهَا
أخزى الإلهُ لينَهَا وَشدّهَا
واللهِ لاتَسْلمُ عِندي بَعْدَهَا
* ولاأرَجِّي ماحييتُ رِفْدَهَا *

ثم عمد إلى قوسه فضرب بها حَجَراً فكسرها، ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطروحة حوله مُصَرعة، وأسهُمُه بالدم مُضَرَّجة، فندم على كسر القوس، فشد على إبهامه فقطعها، وأنشأ يقول:

نَدمتُ نَدَامَةٌ لوْ أن نَفْسي
تطاوعني إذا لقَطَعْتُ خَمْسي
تَبَيّنَ لي سفاهُ الرأي مِنّي
لَعَمْرُ أبيكَ حينَ كسَرْتُ قَوْسي

وقال الفرزدق حين أبان النَوَارَ زوجته وقصته مشهورة:

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الكُسعيِّ لمّا
غَدَتْ مِنّي مُطلّقَة نَوَارُ
وكانَتْ جَنّتي فَخَرَجتُ منها
كآدم حِين لَجّ به الضِّرَارُ
وَلَوْ ضَنّتْ بها نَفْسي وكفّي
لكان عليَّ للقَدَرِ اختيارُ

* في مجمع الأمثال للميداني٢/٣٤٨.

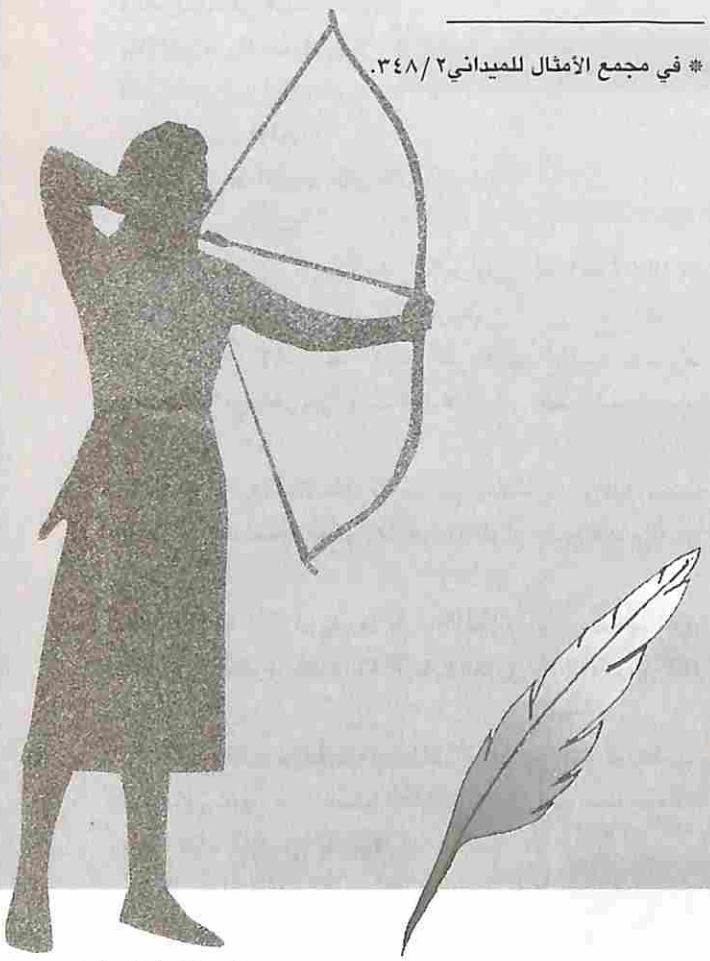

تراث النثر

دعوة صائم

بقلم عبدالجواد الحمزاوي*

كان يسير وسط الحقول.. متعباً.. وكان يظهر التعب على وجهه، ولكنه يسرع الخطى.. نظر إلى السماء (لابد أن أسير بسرعة.. لم يعد هناك وقت لأذان المغرب.. ياالله.. المسافة طويلة.. أكان لابد أن يرسلني أبي إلى خالتي فاطمة؟!.. كان من الممكن أن يؤجل الذهاب إلى الغد، ولكن أبي أمرني ولاأستطيع أن أعصى له أمراً.. صائم ياأبي، والحمارة في الحقل تعمل، ولا بد أن أذهب إلى خالتي لأعطيها الدواء الذي أحضره أخي من القاهرة.. مسكينة ياخالتي.. مريضة ولكنك تصومين، والصيدليات في قريتنا لاتأتي بهذا الدواء، ولا صيدليات في قريتكم.. لابد أن أسرع.. لافائدة.. وجب الإفطار).

سمع من بعد أصوات مآذن تشق السماء

الله أكبر ، الله أكبر

(ماذا أفعل الآن.. شيخ الجامع الكبير وأبي دائماً يقولان إنه من السنة تعجيل الفطر، ولكن أين ما أفطر به)

نظر حواليه.. لاشيء غير الأرض التي تغطيها الخضرة وشجرات متفرقة.. يمشي ينظر يميناً وشمالاً.. هناك على غصن شجرة تتدلى قلة.

(الحمد لله، هذه قلة ماء.. قلة ماء في رمضان!!.. ربما وضعها أصحابها هنا لتبرد ثم نسوها، الحمد لله أن وضع هذه القلة في طريقي)

أمسك بالقلة.. قبل أن يشرب قال.. (اللهم إني لك صمت وبك آمنت وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله..)

الماء عذب بارد جميل، وهو عطشان جوعان، ولكنه لم يشرب كثيراً.. كان يعلم أنه من السنة أن يفطر الصائم على حسوات ماء.. وضع القلة مكانها على الشجرة.

(والآن، ماذا أفعل؟ أواصل المشى أم أصلي أولاً؟.. سأصلي ولا أطيل، بعد ذلك يفرجها ربنا.. نعم أنا خائف من الليل والظلام، ولكن الليل جميل، والقمر جميل، والله معي).

كان متوضئاً.. توجه للقبلة ثم صلى.. دعا في صلاته «يارب، جائع فأطعمني.. يارب، اغفرلي.. واشف خالتي فاطمة.. وارزق أبي، ووفقني لفهم دروسي الصعبة، وأنجحني في الامتحان».

أنهى صلاته ثم سار.. يمشي. على البعد رأى شبحاً..

(ماهذا الشبح الذي أراه.. أيمكن أن يكون أحد أنهى إفطاره بهذه السرعة وجاء يعمل في الحقل.. لاأظن)

صوت يشق السكون.. ياأخ.. ياأخ..

إنه يناديه.. توقف عن المسير.. كان هناك ولد صغير يجري ناحيته.. كان يبتسم..

وصل الولد إليه.. وقف عنده.. كانت أنفاسه تتلاحق وهو يقول:

أبي رآك وأنت تصلي، ووعدني إذا جئت بك لتفطر معنا فسيعطيني جنيهاً كاملاً مكافأة.. تعال عندنا، افطر معنا ثم امش..

كان الولد الداعي يشير بيده إلى أسرة صغيرة تجلس على الأرض في حقل قريب.. كان صاحبنا يعلم أن هذه الأسرة اضطرت للإفطار خارج دارها لتروي أرضها.. بعد ثلاثة أيام، سيروي أبوه أرضهم، وسوف يفطر معه في الأرض كما اتفقا..

لم يقبل الدعوة على الفور.. حاول أن يعتذر، ولكن الأب نفسه أتى إليه.. كان رجلاً كبيراً بصوت ودود قال.. (لاتحرمنا من ثوابك.. نحن إخوة، ونحن في رمضان، شهر الكرم والخيرات، لقمة بسيطة تأكلها معنا ثم نوصلك بالحمارة..)

لم يستطع أن يرفض.. يمشي مع الأب وابنه.. كان يبتسم ويقول في نفسه (نعم.. صدق رسول الله «للصائم دعوة مستجابة».. سأفطر مع هذه الأسرة الطيبة.. وسوف يشفي الله خالتي ويرزق أبي وأنجح في الامتحان).

---

* قاص مصري.

من مكتبة الأدب الإسلامي

نظرات في الأدب
لأبي الحسن الندوي

إعداد:
عبد الرزاق دياربكرلي

هو الكتاب الثاني في سلسلة إصدارات مكتب البلاد العربية ـ رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ومؤلفه سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ـ رحمه الله ـ، صدرت طبعته الأولى عن دار البشير في عمّان/ الأردن عام ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م ويقع في ١٢١ صفحة من القطع الصغير.

يحتوي الكتاب تسعة عناوين هي:

١ـ نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي.

٢ـ قيمة الأدعية النبوية المأثورة.

٣ـ كلمة عن أدب التراجم والتقديمات.

٤ـ أدب الرحلات.

٥ـ مدرسة شبة القارة الهندية العربية والأدبية ـ ميزاتها ومنتجاتها.

٦ـ لمحة عن المدرسة الأدبية الإسلامية الهندية.

٧ـ أدب الحب والعاطفة واحترام الإنسان والإنسانية في شعر مولانا جلال الدين الرومي.

٨ـ دور محمد إقبال في توجيه الأدب والشعر.

٩ـ كتاب جديد في تاريخ الأدب العربي.

قدم لهذا الكتاب الناقد الإسلامي الكبير د. عبد الباسط بدر.

وقد قسم فصوله في تقديمه إلى ثلاثة محاور هي:

المحور الأول: يشغل أربعة الفصول الأولى هي على النحو الآتي:

في الفصل الأول: يرفض الشيخ أبو الحسن الندوي أن يكون الأدب (صناعة تقليدية) ثم يقدم أمثلة من النصوص الرائعة في كتب الحديث والسير والمغازي والتاريخ؛ ويقف وقفات جمالية دقيقة على مقاطع منها، تحس معها أنه يحصي نبض الكلمات، ويلمس حرارة العبارة وينقلها إليك في أقوى صيغ التأثير.

والفصل الثاني: يأتي امتداداً لنظرة الفصل الأول، وتطبيقاً لموازينة، على نصوص كريمة عظيمة من الحديث النبوي الشريف.

الفصلان الثالث والرابع: هما مراجعة لفنون أدبية محدودة هي: أدب التراجم، والتقديمات، والرحلات،

المحور الثاني: يتحدث فيه الشيخ أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ عن الأدب العربي في شبه القارة الهندية، هذا الأدب الذي يجهله المتخصصون في الأدب، بله عامة القارئين والدارسين، وهو أفق جديد، وساحة واسعة، يجب أن تسلط عليها أضواء الدراسة والنقد؛ لتتصل وشائجة بالدراسات الأدبية والنقدية في العالم العربي، مثلما هو الحال في الأدب الأندلسي والمهجري الغربي!!

المحور الثالث: يعلن فيه المؤلف أن الأدب الإسلامي ذو آفاق عالمية، ويعرض جزءاً من هذه الآفاق وهو (المدرسة الأدبية الإسلامية الهندية) وهي مدرسة أدبية إسلامية غير عربية، لغتها لغة الثقافة والأدب في تلك البلاد: الأوردية والفارسية ، إلا أن نبضها إسلامي، ومشاعرها إسلامية، وقضاياها قضايا الإسلام والمسلمين.

ويقدم المؤلف نموذجين من الأدب الإسلامي غير العربي، فيعرض جانباً من أدب جلال الدين الرومي، وفي النموذج الثاني يعرض بالتقويم لرسالة الشاعر محمد إقبال وتوضيح مضمونات أدبه.

وهكذا تتكامل المحاور الثلاثة؛ لتعرض نظرات رائدة من رواد الأدب الإسلامي في قضايا إسلامية في الأدب والنقد.

والله ولي التوفيق

قراءة نقدية تكميلية في ..

العدد التاسع عشر.. الخاص

بقلم محمد يوسف التاجي

□□ هذا الديوان في مجلة تجربة فريدة لإبداع راق تجمع بين الأصالة والتجديد في السياق!

ثمة سؤال أول لاينبغي أن يفوت قارئ العدد التاسع عشر من مجلة الأدب الإسلامي الخاص بالشعر الإسلامي، ذلك هو: هل هناك حقا شعر ديني وآخر غير ديني، وذلك قبل وسمه تحديداً بـ «الإسلامي أو غير الإسلامي» فإذا كان فما هي سمات هذا الشعر الديني؟! ولماذا بها فقط وليس بغيرها صار شعرا دينيا، بينما صار سواه بعيدا عن هذا التوجه؟!!

ولعل في الإجابة بالإيجاب على هذا التساؤل الأول، ما يجعلنا نقطع بأنه لن يكون الشعر كذلك حقا، حتى يمس مضامين أخلاقية دعا إليها الدين بعامة ـ والإسلامي خصوصا ـ وحرّض عليها وحبب فيها، ورجا ناشديه دوام الائتناس بها والمحافظة عليها.. ومن ثم لم يبدُ غريباً حين أقام عليها منهجه، حيث وافق عطاءها حاجات الفطرة السوية نفسها، وتوافرت بها المشاعر التي منها مادة «الشعر» ذاته.. الأمر الذي جعل شاعراً عملاقا كعبد الرحمن شكري، يضمِّن أحد أبياته معنى أن «الشعر وجدان» قبل كل شيء، قاصدا إلى ضرورة أن يهز النص الشعري إحساس متلقيه قبل أن يثير عقله ويهيج تفكيره بل معه أيضا.

ولعله من هنا ألغينا كثيرا من الشعر المعاصر ـ من بعد إغفاله لعناصر البث الأخلاقي الديني في عطائه من جهة، إلى جانب إيغاله في الابهام المأخوذ أساساً من الغرب بجهة أخرى ـ خارجاً من إطار هذا التوجه لما عرف بالشعر الإسلامي، الملتزم في جانبي الشكل والمضمون معا.

بالشعر الإسلامي

وإذا كان كل ما تطرق إليه شعر الشعراء الإسلاميين بهذه المجموعة هو من صميم عالم الإسلام ـ سواء العام أو الوجداني الخاص ـ هذا من حيث المضمون ـ فقد بدا الشكل العمودي منه والتفعيلي ـ مع غلبة الأول على الثاني فيه ـ مما عكس قصائد كل محور من المحاور الست بها على النحو التالي:

■■ **محور «من وحي الإسلام» وقد وردت به خمس عشرة قصيدة بلغ العمودي منها اثنى عشر نصا في حين لم يزد التفعيلي على ثلاث قصائد.**

■■ **محور «من وحي الجهاد» وقد وردت به أربع عشرة قصيدة «١٢ عمودية، ٢ تفعيلية».**

■■ **محور «الشكوى واستنهاض الهمم» وبه سبع قصائد «٦ عمودية، ١ تفعيلية».**

■■ **محور «تزييف الحضارة» وبه أربع قصائد، حاز كل من الشكلين نصفها.**

■■ **محور «الاغتراب والحنين» وبه تسع قصائد «٥ عمودية، ٤ تفعيلية» .**

■■ **محور «مع الوجدان» وبه اثنتا عشرة قصيدة «٨ عمودية، ٤ تفعيلية».**

أقول: إذا كان الشكل العمودي هو الغالب في شتى محاور هذه المجموعة كما مر بنا في الحصر السابق، حتى بلغ ما أعطى شعراؤه فيه خمسة وأربعين نصاً من مختلف البحور.، في مقابل ستة عشر نصا تفعيليا أي بنسبة ١:٣ تقريبا فإن هذا لا يعني أن الشعر التفعيلي يبدو غير مناسب للتعبير عن الشعر الإسلامي، أو أنه أدنى تعبيرا وأقل تأثيراً من العمودي، بل إنه ليبدو في بعض عطاء هذه المجموعة أنفذ تعبيرا وأقوى تأثيرا من صاحبه، ولعل تعود المتلقي على هذا الضرب من الشعر الإسلامي من قديم، لم يكن يطالعه إلا في إطار هذا الشكل العمودي الشائع، حتى صارت رؤيته في خلافه مثاراً لاحتمال رفضه فيه مالم يكن ملتزما ومتفوقا على ما اعتيدت رؤيته فيه قروناً طويلة.

وعل أية حال فتفوق شكل على آخر، عادة مايرجع إلى مدى توافر عناصر الشعرية الحقة ـ صورة ولغة وموسيقى ـ في هذا أو ذاك.

ولعل هذه التجربة الفريدة التي احتضنتها «**مجلة الأدب الإسلامي**» مفردة به أحد أعدادها وهي لما تزل في باكورة أول خمسة أعوام من عمرها المبارك، من أجل تجميع أكثر من ستين نصاً ـ ٦١ تحديدا ـ لعل هذا يعد واحدا من جلىً فضائلها على الأدب العربى بعامة والإسلامي على وجه الخصوص، لاسيما في ظروف عالمنا المعاصر، الذي جانب ـ أو كاد يجانب ـ ما تدعو إليه من معانٍ وتحث عليه من قيم وأخلاقيات، وتلتزمه وتلزم به نقاءً في السيرة والصورة معا، وتنشد توافره في كل المتعاملين معها، وعلى ما ارتضته من نهج، جاء الأمر به من فوق سبع سموات.. وهي به تبدو تجربة فريدة حقاً لإبداع راقٍ، يجمع بين الأصالة والتجديد في السياق!!

● **مع الذين أغفلهم التقييم النقدي، ومدى وضوح (الإسلامية) في أشعارهم.**

وإذا كان **الدكتور سعد أبو الرضا** قد عرض بدراسته القيمة عن (الشكل في الشعر الإسلامي) لأكثرية الوارد بالمجموعة مغفلاً سبعة نصوص فقط منها ـ وله عذره من كثرة احتشاد المجموعة بما يراد تقييمه ـ وهي على النحو التالي: من المحور الثاني: (من وحي الجهاد).

■ أواه.. يازمن لأبي فراس القطامي.

■ شعارات زائفة لعيسى بن علي

■ يادارة السعد لنبيل محمد قصّاب

■ عندما تذوب الأسئلة لعلي بن يحيى من المحور الثالث (من وحي الشكوى واستنهاض الهمم).

■ النور والظلمة لحفيظ بن عجيب الدوسري
من المحور السادس (بوح الوجدان)

■ صورة من كتابي لداود المعلا

■ بوح شاعر لعبد الله التنومي الشهري.

فقد رأينا من جانبنا التعرض لهذه النصوص السبعة في قراءة نقدية تكميلية بقصد استكمال تقييم باقي المجموعة الشعرية، راجيا أن أوفق في إبداء بعض الملحوظات حولها، وحول غيرها أيضا مما سبق له التعرض من جانب غيرنا.

● فهذا هو أبو فراس القطامي صاحب «أواه.. يازمن» أول نص منها، يبدو به مستصرخاً أمته منذ صيحة العنوان ذاتها التي راحت تجمع إلى الألم الدهشة والتأمل العميقين في أحوال المسلمين المتدهورة - لاسيما بعدما برح الخفاء وانكشفت مخططات أعدائهم ضدهم - فلا يفوته بعد توجهه إلى الله سبحانه بأبياته الثلاثة الأولى، أن يعدد بيان صور الضعف والهوان والتخاذل التي منوا بها في عالمهم المعاصر.. ذلك العالم الذي أسلم قياده لغيرهم ممن غدوا يملكون أسباب القوة والتفوق والتقنية، راصداً في حسرة للمظاهر المعاكسة لها عند أمته من المسلمين، وذلك بمثل قوله(١):

نبني المخاذي أهراماً لخيبتنا
أما التخاذل فهو الموقف المرن
خيل الأعادي بعقر الدار رابضة
والخيل من حولنا ضاقت بها الرسن
نهوى التفاخر في ماض وقد درست
أركانه، وعفت أطلاله الدِّمَنُ

وهي أبيات كما نرى رغم قلتها تبدو متضمنة الرمز بالزمان والمكان والصفات والأحوال في براعة لاتخفى.. وكل بيت بها يصور مع هذا وفي اقتدار جانباً من جوانب الضعف والخزي الإسلاميين، فها نحن أولاء نعلي من مخازينا التي بتنا نرتكبها «أهراماً».. انظر معنا إلى الوصف بالأهرام خاصة تلك التي لاتقترن في الذهن - إذا ذكرت - إلا بالأمجاد، ومايكتب له الخلود، فهل كانت مخازينا من هذه الأمجاد التي تستحق التمجيد والتخليد؟!

ولعله لم يفتك أيضاً سخريته الماثلة في «مرونة التخاذل» الواردة بالشطر الثاني من البيت الأول، كيف لا وهو يضع هذا التخاذل المهين مقابلاً لتسلط أعداء الأمة عليها.. نجد في الوقت الذي تطأ خيول أعدائنا أراضي أوطاننا، وتغل أقدام خيولنا مقيدة حتى يضج من جمودها الرسن المشدودة إليه.

ثم ها نحن أولاء ونحن نغوص في وحل هذه المخازي الشائنة لم نزل نمارس عادة التفاخر بالقديم الذي اندثر، الأمر الذي جعل أعداءنا يصموننا بأننا «أمة صوتية».. قام كفاحها على الصوت العالي دون الحركة الفاعلة المؤدية إلى التغيير الفعلي.. أمة أقوال لا أفعال.. أين هذا من أمة وصفها ربُها سبحانه بقوله: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾(١١٠/آل عمران) أي قامت «خيريتها على أفعال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة، ومن أخرى على عقيدة رئيسية تتمثل في الإيمان به سبحانه.. والغريب أنه رصد هذه الظاهرة أكثر من شاعر خارج هذه المجموعة، و لعلنا نختار أبياتاً من أحدثها جاءت عن الشاعر أحمد حسبو يقول(٢):

هل ضيع الإسلام إلا قائل
أفعاله تنفي المقال وتهدرُ!!
فالقدس ضاعت من كلام دونما
فعل يؤيد قولهم ويترجمُ
والطفل ملَّ من الكلام وليْتَهُم
يدعونه يرمي اليهود ويرجمُ
والعدل ملَّ من الكلام وقد رأى
من يدّعي عدلاً يجور ويظلمُ
والطهر مَلَّ من الكلام وطالما
زعم الطهارة داعر لايرحم
حتى البطولة أعلنت إضرابها
لما ادعاها من يخاف ويحجم

ثم لايلبث الشاعر صاحب «أواه..يازمن» أن يفضح في الأبيات التالية صور الضياع التي بها بات المسلمون في أسوأ حال، حتى إن أكثرهم صاروا يحيون لاجئين إلى بلاد الغير أو كاللاجئين فيقول:

كم خيمة رثة أضحت لنا أثراً
في الغابرين فهل فيها لنا وطن
وأن أطفالنا مهدابها نشأوا
وأنها لهمُ الحدباء والكفن

ولئن بدت فظاعة ما آل إليه حال المسلمين فى أوطان كانت لهم قبل أن تطأها خيول أعدائهم، وصارت أوطانهم لاتعدو الخيام ينصبونها سنين عددا على أراض غير أراضيهم صارت بدورها تشهد مولدهم ووفاتهم.. أو بدايتهم ونهايتهم، فإن مما يملأ القلوب حسرة وشجناً إحساسهم بأنهم هم لاغيرهم كانوا هم

ردود ومناقشات

أصحاب هذه الأرض التي آلت لغيرهم بسبب ضعفهم وتخاذلهم وقوة هذا الغير وتفوقه.. والأعجب يتمثل في قبول استمرارهم بهذه الحال الشائنة دون محاولة منهم للتخلص منه.

ولعله لم يفتك توظيف الشاعر لأدوات نقل الموتى كالحدباء والكفن للدلالة على ماوراءها، مقدماً مايعرف بالتشبيه البليغ الذي لايكون كذلك حتى يكتفي فيه بإظهار أدوات المشبّه دون المشبه نفسه، قصداً إلى الإيحاء بأن حياتنا نحن المسلمين هذه المهينة صارت ضرباً من الموت والجمود، حيث استمرأنا الاستكانة وركنّا إلى الدعة والترف المميتين، في حين امتطى الآخرون مقدراتنا لما نهجوا نهجنا القديم وتخلينا نحن عنه.

ولعله لم يفتك مصدر استلهام الشاعر لرموز الموت السابق الإشارة إليها قبل قليل، إذ وضح ذلك من إفادته بمثل ماجاء بالبيت الشعري القديم:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
يوماً على آلة حدباء محمولُ

كما لم يفتك كيف وظف أبياته الواردة من جهة في وصف الطبيعة، وقد عزاها الخراب وأمحل خصيبها، ومن أخرى في وصف فقر وبؤس المسلمين، في تجسيم صورة التدهور المهين عندهم.. وذلك قوله:

الفقر حد لنا والبؤس جلدتنا
فالجوع يدمي بنا، والقوت يختزن
والأم تكلى بها الأحزان ماحملت
أثقالها راسيات أوجرت سفن
والروض محل به الأزهار قد ذبلت
والطير في غفوة، قد هده الشجنُ

فعل ذلك كله بما يشعر المتلقي بأن ماأصاب المسلمين لم يعان من شدته الناس وحدهم، بل الطبيعة بروضها وطيرها بالإضافة إلى إنسانها، فهو ليس حزناً بشرياً فقط ولكن أكاد أقول حزن كوني شامل، ينطوي على الإحساس بخيبة الأمل في أمة انعقد عليها الخير من قديم، فما لها لاتبدو في مستوى ما أنيط بها وماينتظر منها؟!!.. وكادت الإجابة تبدو قاطعة في البيت الأخير، مرجعاً ذلك إلى عفن سرى في وجدانها سريان السم حتى عطل إمكاناتها وأمات همتها وثبط عزيمتها.. أليس ذلك هو ما يحويه البيت الأخير القائل:

الشكل.. في الشعر الإسلامي

قراءة في بعض فصائد هذا العدد

بقلم: د. محمد فوزي أبو زيد

تبـــاً لكم تـرّهات بـالهـــا جُـــعَلٌ
تجـري بهـا الريح حيث استـفحل العـفن

وقد وفق شاعـر النص التالي «شعارات زائفـة» في أن يرصد بدوره مظاهر هذا العفن المتمثلة في هجـر الأمة لدينها، وتقاعدها عن الجهـاد، وفي هجرها لمنابع عـزها واقتفـائها لآثار غـيرها.. أليس ذلك هو ماتعكسه الأبيات التالية(٣):

فـــالأمـــة الغـــراء أظلم ليلهـــا
لمـا تـخلـت عـن هـدى الـقـــــرآن
نادى المـنادي للـجـهـــاد فـأخلدت
واثّـاقـلـت، أمـــــــست بـلا أذان
لمع الســـراب فـــغـرهـا، لم يـروها
نبـع الهـدى في ســورة «الـرحـــمن»
أزرى بهـــا ترك الجـهـــاد فـأبلـغت
أن الســيـــاســـة وحـــدة الأديان
تبـــعت خطى الأعـــداء، ظنت أنـهـــا
لاشك تـقـــبس من دجى الـصلـبـــان
هجـــرت منـابع عـــزها فـتـــخلـفت
لتـعـيش فـي ســجن بلا قـضـبـان

وإذا كان مـيل أبي فراس القطامـي بقصيـدته (أواه.. يازمن) والتي لم تجاوز التـسعة عـشر بيتـاً قد جعـله يكثف في عرض صوره الرامزة، فإن مـيل صاحبه شاعر «شـعارات زائفة»، إلى الاسـتفـاضة أتاح له أن يمس عنـاصره بشكل أوفى، فـراح يلم بعنصر المكان محـدداً له في عدة أبيات متتاليـة، لإشعار المتلقي بأنه يعكس واقعاً حيًا بها، مثل قوله:

والشـعـب في كـشـمـيـر، لاقى حـتـفـه
ظـلـمـــــاً بـلا إثـم ولاعـــــــدوان
وهنـاك في «ألبـانيـا» وحـشـيـــة
فـيـهـا الخـيـال يظل كـالحـيـران
والجـوع في «الصـومـال» يطحـن أهله
والخلـف شب الـنار في «الأفـغـــان»
وهنـاك ألف قـضـيـــة وقـضـيـــة
فـي كـل زاويـــة وكـل مـكـــان

وها هو ذا يبسـط القول في بيان بعض أسـباب ضـعف الأمة الإسلاميـة، تلك التي باتت مخدوعة بما تمليه عليـها دول الباطل من شعارات منمقة:

والمنـصـــفـون يـرون أن شـعـــارهم
يقـــضي بحـــفظ الحق لـلإنســـان
كـــذبوا ورب البـــيت أين شـعـــارهم
هذا، ولـون الأرض أحـــمـــر قـــان؟!!
كل الشـــعـــارات التي نـادوا بهـــا
زيف، فـهل سنعـيش كـالعـمـيـان؟!

بل إن امتـداد أبياته إلى أكثر مـن خمسة وأربعين بيـتاً ـ إلى ٤٧تحـديداً ـ جعله يعـرج على تناول أكـثـر من موضـوع، مما يصلح كل منها لصياغة قصيدة خاصة به.. فهو وإن بدا من أول أبياته معاتباً فنه الشعري الأثيـر لهجرانه إياه كشاعر ربما قصر في توظيف شعره لخدمة أمته ودعوته، كما يبدو من قوله.

ياشـعـر فـيم الهـجـر؟! لست بجـاني
حـــتى تجـــرعني أسى الـهـــجـــران؟!
ياشـــعـــر هل تدري بأن حـــثـــالة
من بـيـننا تـرمـيك بالبُـــهـــتـــانِ؟!!
زعـــمت بـأنك عـــاجـــز وبـأنهـــا
رجـــعـيـــة والشـــعـــر شـيءٌ ثانِ
ســـمـــتك منـثـــورا وحُـــرّاً وادعت
أن الـقـــيـــود تـكون فـي الأوزان
نهـجٌ جـــديدٌ قـــد أطل برأســـه
في الشـعـر والدعـوى «قـديمٌ فـانِ»!!

إلى آخر ماجاء بنهاية قـصيدته هذه التي تصلح وحدها لتكون قصيدة قائمة بذاتها ليست دون غيرها في المستوى.

ولقائل أن يقول: إن هذا قـد يفقد النص وحدته الموضـوعية ـ التي كانت تؤخـذ على الشعر القديم ـ لولا أن الشـاعر نجح في أن يجعل من جـزئية الشعـر وموقف المحـدثين منها قضـية من قضايا الضـعف الذي أصاب الأمة ككل، حيـث حرص أعداؤها ـ ومن جرى جريهم من أبنائها ذاتهم ـ على العمل لإضعاف لغتها وفكرها، وطمس كل شيء فيهما، قبل العمل على إضعاف بنيتها الاقتصادية والاجتماعـية، بحيث لايبقى في عالم المسلمين إلا كل نسج خـاو فـارغ من كل مارقي بأقـرانهم في أزمنـة الصعـود والترقي الغابرة!!

فإذا انتـقلنا لقصـيدة «يادارة السعـد» لشاعرهـا نبيل محـمد قـصّاب باشـي، ألفيناه يـقدم لنا مـا يمكن تعـريفـه بـ «النص المعلقي» وذلك من حيث الشكل، إذ جاءت أبياته قريبة من سبعين بيتاً ـ ٦٧تحديداً ـ مـبيحة لشاعرها أن يصول ويجول، مـقسماً إياها إلى ستة مـقاطع، ولعلي أسوق من أبياتها بعـضاً مما جاء بمقطعها الثالث مصوراً مظاهر ضـعف الأمة الإسلامية وهوانها، يتضح ذلك من مثل قوله(٤).

يامـن رأى العـرب أشـتـاتاً ممزقـة
لا يرتجى مـنهم شـملٌ.. ومـعـتـصمُ
أوهت عـــراهم نزاعـــات ملفـــقـــة
أغـرى بهـا عـرب التـحـرير والعـجم

ردود ومناقشات

قد صدهم عن عرا الأمجاد مصطرع
من العقائد حتى عز ملتحم
تحزبات تفانى في تأججها
غرب وشرق وصهيونية أمم
هذا يخُبُّ وراء الغرب دون هُدَىً
وذاك للشرق سمعٌ مخلصٌ.. وفمُ
وانظر حِمى وطني المذبوح أنهكه
يهود «خيبر».. ويح القوم ما اجترموا
في كل موطن شبر من مناكبه
نسفٌ وعسفٌ وتشريدٌ لنا.. ودمُ

فإن انتقلنا لنص علي بن يحيى البهكلي «عندما تذوب الأسئلة» التالي لما تقدم لفتنا فيه نغمة التفاخر العالية التي وضحت من أول أبياته حيث جعلت للمسلمين كل شيء، وفيه قال(٥):

لنا الجبل الأشم.. لنا السفوح
لنا الوادي.. لنا البحر الجموح

لكن سرعان ما نجد الشاعر يلم بما أحاط بالمسلمين من مظاهر الضعف والخور المهين في كل مكان بالأرض شرقها وغربها ـ مشتركاً في ذلك مع غيره ممن عرضنا له وعرض له غيرنا ـ ولنتأمل في أبياته التالية الدالة على مانقول:

فكم صرخت سراييفو: ذُبحنا
وفي «بيهاتش» للأفعى فحيح
أرى «كشمير» قد فاضت دماء
وكم أخت لنا فيها تنوح
وفي «الصومال» أبحث عن جواب
وفي «الطاجيك» أسئلتي تلوح
إذا أرسلت «للأقصى» سؤالاً..
أجاب فتى من «الأقصى» جريح

أفلا يكون الشجن بعدها مساغاً إذا ماتجلى في مثل الأبيات التالية المحرضة على الانبعاث من الخمول الطويل؟!!

تسافر مقلتي فترى طلولاً..
مسجاة يعانقها الضريح
أحلق فوق خارطة المنافي
فتصفعني قيود أو قروح
تذوب مئات أسئلة وتذوي
على شفة يبرمجها المديح
تحاصرني بحور الفكر دوماً
وتخنقني، فأين اليوم «نوح»

ويمضي موظفاً رموز الإيمان والكفر عبر الزمان، آملاً أملاً شديداً في الأول، متمنياً الإبادة والمحو الثاني، فيقول:

سيورق فأس «إبراهيم» عزماً
فكم صنم سيفنى كم يزيح
إذا «جالوت» أتعبنا بمكر
«فداود» بمقلاع يريح
أعجل «السامري» أتاك «موسى»
بنسف منه تندك الصُّروحُ
أزف لأمة الإسلام بُشرى
«بلالُ» النصر حادينا الصَّدوحُ

ويظل يصاعد من نبرة الأمل حتى ينتهي إلى البيت الأخير كاشفاً عن وعد الله سبحانه الذي يشمله بتحقيق هذا الأمل، مبدداً ما جثم من ظلمات الحزن:

إذا ماالحزن أبحر في فؤادي
فوعد الله لي قلب وروح!!

ولعله لم يفتك كيف وظف الشاعر ماوظفه من رموز التراث القديم، ومن العطاء الحديث أيضاً، مثل استخدامه للفظ «يبرمج» في مدلوله الحديث الشائع اليوم، المتصل بالحاسوب الآلي أحدث أجهزة العصر المتقدمة، للدلالة على أن المبرمج به وهو المديح بات أمراً يغاير تماماً ماينبغي أن يساق له من لون التوجه المراد لأمة محطومة، ومثل اتكائه على رمز «نوح» عليه السلام الذي عادة ما يساق للدلالة على مايمثل طوق النجاة.

ولعل القارئ الكريم لم يفته أيضاً الترميز بأسماء «إبراهيم» و«داود» و«موسى» وقبله كما مر بنا «نوح عليهم السلام جميعاً» و«بلال» رضي الله عنه في الجانب الإيماني، وما يقابلها من الرمز «بـ «جالوت» و«السامري» بالجانب الكافر، وذلك كله في احتشادة تاريخية تراثية ثرية، لايخفى ماتوحي به في مجال مساندة الحق ضد الباطل، والإيمان في مواجهة قوى الكفر الباغية.

وإذا كانت القصائد الأربعة التي عرضنا لها، قد جاءت بين الطويل والأقصر، ومن محور واحد هو «من وحي الجهاد»، فإنها مع هذا بل ولهذا أيضاً لم تخل من وضوح سمات الشعر الإسلامي فيها، وذلك من حيث اتفاقها في أساليب تناولها للمضامين التي تدور عليها، واحتشادها بالأسماء والصفات والأحداث والتواريخ الإسلامية، وقيامها على عناصر الرمز والتضمين والتشخيص والتجسيم، التي تنبعث بجهة من قدرات اللغة العربية وإمكاناتها البلاغية، وبجهة أخرى من قدرات

توظيف الخيال في تشكيل الصورة المرادة.. الأمر الذي وضح من حرص الشعراء المسلمين على الإفادة منه في إنشاء مايعرف بالبنية الفنية، عاملين دائماً على استلهام كل ماهو إسلامي صميم، من مصادر الكتاب والسنة، والتراث الديني والتاريخي والأدبي، وهو أيضاً الأمر الذي رصده صاحب دراسة «الشكل في الشعر الإسلامي» في قوله(٦).

«إن هذا الشعر يتمتع «برؤية إسلامية» متميزة، عمادها تصور مبدع هذا الشعر القائم على الامتياح من قيم الإسلام ومبادئه ومثله وأعرافه، وهذا المنحى يتجاوز المضمون إلى الكشف عن مصدر وأساس هذا الشعر، ألا وهو التصور الإسلامي، الذي يعني فاعلية الشاعر في التشكيل والإنتاج والإبداع، وهي فاعلية يكوّنها درجة الاستيعاب والتمثيل لقيم الإسلام ومبادئه ومثله وأعرافه».

ويتصل بما سبق جانب من الوسائل التعبيرية المستمدة من المصادر الإسلامية التي في مقدمتها القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ والتراث الإسلامي والعربي بصفة عامة.

بل إن أي وسيلة تعبيرية توظف للكشف فنياً عن قيمة إسلامية، يمكن أن يتضح فيها الملمح الإسلامي على أساس أن البنية الفنية ـ كما أشرت ـ هي محصلة التشكيل للقيمة الفكرية. وليس معنى ذلك أن الشعر الإسلامي بمعزل عن التأثر بالمتغيرات من حوله، كلا.. فهو جزء من منظومة فنون الإنسان ومعارفه.. يأخذ ويعطي، ويؤثر ويتأثر، ولكنه بجانب ذلك ذو خصائص وملامح تميزه، بحيث تصبح «الإسلامية» معلماً من أهم معالمه، وملمحاً خاصاً به شكلاً ومضموناً، وإذا كان المسلم المعاصر هو النموذج الذي دارت حوله عطاءات القصيد الإسلامي جميعاً، ناعية منددة، شاكية باكية، مع دوام استعادتها لماضيه الذي مثل المسلمون فيه أجيال سادته وقادته بكل فخر، حتى تعلم منهم من صاروا بعد سادة الدنيا وقادتها، وذلك للحث على إيقاظ همته وبعث إرادته وتهييج عزيمته الخائرة المستكينة تحت وطأة الوهن بمعناه الذي أوضحه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لما سأل عنه بقوله «حب الدنيا وكراهة الموت»، فهو أيضاً كان مناط تناول النصوص الثلاثة الباقية في هذا العرض النقدي التكميلي.

فها هو ذا يكاد لايرى في قصيدة «النور والظلمة» لحفيظ بن عجيب الدوسري، تكاد تطمسه ظلمة «ليل صار يغني للأحزان».. ليل مارد أمكن للشاعر أن يستنطقه ويستبكيه ويستلهمه العبرة من أحزانه على المسلم المعاصر.. ذلك الضائع في عالم بات يؤثر الظلام على النور والباطل على الحق.. ليل نحس معه أنه موصول «بليل يتهاوى كواكبه، عند الشاعر القديم، والذي طالب الشاعر الجاهلي امرؤ القيس بن حُجر الكندي بانقشاع ظلامه، وتمنى أن يستبدل بنور جديد لصباح طال ارتقابه، وذلك في قوله الشهير:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بصبح وما الإصباح منك بأمثل

ليل نسج ظلامه الدامس خروج المسلمين على دينهم، واستخفافهم بتعاليمه وأحكامه ونظامه، ومقابلة جد الحياة بالعبث والاستهتار، واجتهاد الأعداء باللعب واللهو.. أليس ذلك هو ماتعكسه الأبيات التالية للدوسري(٧):

.....

قصة ليل صار يغني للأحزان
يبكي دوماً
يندب دوماً
يرثي دوماً للأشجان
يسأل دوماً عن نادينا، عن قائدنا
عن فرسان
يبحث عن مجد نفقده
يغضب من ظلم نرفده
يغضب منا، منا يغضب
يضحك مما نهوى.. نرغب
يبكي حين يرانا نلعب!!
يبكي حين يرانا نلعب!!

ألم يلفتك كيف جعل الشاعر من الليل إنساناً يحس ويشعر، ويضحك ويبكي، ويغضب ويسأل ويبحث، كما سبقه إلى ذلك شاعر «أواه.. يازمن» الذي عددنا حزنه على أحوال المسلمين في عالمنا المعاصر والذي شاركته فيه الطبيعة ككل ـ لاالليل وحده ـ حزناً كونياً لابشرياً فقط؟!! ألم يوفق في توظيف رمزه الدال على سوء حال المسلمين حتى صار نهارهم ليلاً ونورهم ظلاماً؟! وهل أعجب من هذا التجسيد المهول بالليل، وهو أحد ركني الزمان اللذين بهما تتعاقب أيامه وشهوره، والذي يبدو نموذجه الأمثل في قوله تعالى ناعياً على المسلمين تخاذلهم بعد مضائهم، وضعفهم بعد قوتهم: «كم تركوا من جنة وعيون وذروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين» (٢٥ـ٢٩/ الدخان)

وقد أزعم أن توظيف الزمان هنا بدا من المرات القليلة التي عرض بها الشاعر للتجسيد من خلاله في مجموع أشعار هذا الديوان. وهو نص يجمع إلى شكله التفعيلي بناءه القصير المركز، الذي يصل إلى المبتغى منه من أقرب سبيل، ولعله لم

يتميز في مثله حقاً إلا قصائد أحمد مبارك القصار التي جمعها تحت عنوان عام هو «قصائد قصيرة» ثم أفرد كلاً منها بعنوان خاص.

وقد لفتنا في قصائد مبارك المذكورة قصيدة (حلمان) وهي نفس القصيدة التي اختارها محللاً في إيجاز الدكتور سعد أبوالرضا وهي لاتتعدى الثمانية أسطر تفعيلياً ونصها(٨):

طفل يحلم في ليل «نيويورك»
بأن يغدو من أصحاب «المليار»
وبأن يغلب أطفال الأرض
ويركب أعناق الأقمار
وبليل «البوسنة» طفل يحلم
برغيف
وأمان
ودثار!!

فقد وفق شاعرنا في اتحافنا بمعزوفة إنسانية مبهرة، مقيماً بناءها الفني على المقارنة الفارقة بين طفل العالم الأول المهول الذي ينشد «المليار»، ويركب أعناق الأقمار، ويبغي الغلبة والتسلط على غيره، وطفل العالم الإسلامي ـ حتى في أوروبا والبوسنة جزء منها ـ حالماً في مقابله بأبسط مايتمناه الإنسان من ضروريات الحياة لاكمالياتها، ممثلاً في الطعام والأمان والغطاء.. هذا بقوته ماثلة في حقيقة فرضها بتقدمه المادي على الواقع، وذاك بضعفه الذي لايعدو حدود الأحلام بمثل واقع قرينه المتقدم، دون النفاذ إليه بإمكانات الفعل والتنفيذ. ومن الغريب أن مبارك حين مس بكلماته طفل «نيويورك» الثري أفاض عليه ما أفاض من حيث عدد الكلمات فزاده بها عن قرينه بائس «البوسنة» بعشر كلمات «١٧نيويورك : ٧البوسنة»، وكأن ذلك هو حظ الثاني المقدور عليه أن يحرم حتى من مفردات التعبير عنه، فهل درى الشاعر أن سر توفيقه في هذا النص راجع إلى منحاه الأدائي الدلالي في الصياغة الكاشفة عن جانب من جماليات لغتنا الجميلة؟!

أما قصيدة «حرمان» التي لم يقدم منها الدكتور سعد أبو رضا إلا «العنوان» فقد رأينا أن نعرض لها أيضاً لبيان كيف أمكن للشعر التفعيلي في كشف نماذجه أن يمس موضوعاً إنسانياً راقياً ثرياً عميق التأثير في سطور قليلة، قد لاتبلغ العشرة أو قد تتعداها بقليل كما في نصنا هذا(٨):

لما
بثت عين الطفل البائس
غيماً
في أفق الرجل الجالس
يشبع مبسم «نارجيلته»
لثما
.... أخذته الشفقة
أخرج من حافظة النقد وديعه
فأشاح الحزن الثاوي في عين الطفل
وقال:
لاأبغي المال
بل أبغي أماً!!

ولعله لم يفت المتلقي وفرة الحس الإنساني المرهف بهذا النص المركز الشديد التكثيف، والذي عكسته صورة الطفل الدامع حتى غامت عيناه، أو هكذا بدا للرجل الجالس في سكينة المستغني يلثم نارجيلته، كذلك كان يبدو مثل العاشق لما يمارسه بها.. ألا يسمون هذا السلوك في بلادنا «مزاجاً» أو «كيفاً مما يصور مدى امتزاج هذا المستنشق بالدم.. وهكذا أيضاً بدا الرجل في رد فعله على الموقف، أن سرعان ما أخرج من حافظة نقده وريقة، الأمر الذى أعرض عنه الصغير، لأن مايشاؤه لايمكن له الحصول عليه بالمال ـ ولو كثر ـ إن مايشاؤه هو الحنان والحب والمشاعر الدافئة التي لايحتويها إلا قلب الأم ـ ولو كانت معدمة مادياً ـ تلك التي بات يفتقدها في حومة الصراع العنصري المحتدم ببلده.. ومن هنا بدت «لحظة التنوير» المجموعة في عبارتي الطفل الأخيرتين:

لا أبغي المال
بل أبغي أماً

رائعة التصوير والتأثير معاً، صافعة كل الماديين على وجوههم!!

فإذا انتقلنا لآخر نصين معنا، وهي «صورة من كتابي» لداود المعلا، وبوح شاعر، لعبد الله التنومي الشهري، لفتنا أنهما مفرقان في الذاتية، حتى كادا بمحتواهما لايخرجان عن الاقتصار على استبطان نفس الشاعرين، دون توجه إلى أي من المجالات التي مستها النصوص السابقة مما يمس قضايا الإسلام والمسلمين.

ومع أن الذاتية بمعناها الفني تعد الوقود الدافع للتعبير المؤثر حقيقة، فإن غلبتها على أسلوب التناول دون عروج على هموم غيرها، يعد عيباً بارزاً لايتفق بحال والتصور الإسلامي الرسالي للأديب ـ وإن كان في حد ذاته يمثل نموذجاً من التجارب

الإنسانية الخاصة جداً، وغير المرفوضة في نطاقها المحدود - فإذا كانت القصيدة الأولى تصور انطوائية شاعر قابع في غرفته متأملاً، يمزج بين عشقه للحياة وعشقه للحبيبة، مستخلصاً عبرة ضمها في البيت القائل:

أنا لم أعشق الحياة لماضيها
(م) ولكن لحبها أحبابي

ويفرد أنشاد المخاطبة المجهولة من أول أبياته بخطابه الذاتي، الذي به يبدو كأنما يخاطب أمنية بعيدة المنال من غير بني البشر، وذلك بمثل قوله(٩):

عمر شاخ في انتظارك حتى
ذاب قلبي.. تطلعاً في السحاب
كلما لاح نجم صبحك أهفو
وتلاقي أصابعي.. أهدابي!!

هي أنثى معنى ولاشك، قبل أن تكون أنثى من لحم ودم.. ومع ذلك فقد يستعين أحياناً ببعض من أجزاء جسم الأنثى - المرأة، ليوهم المتلقي بأنها أنثى حقيقية وليست معنوية كما في قوله:

نجمة أنت؟!! أم لعينيك إشعا
ع يقيني في السلب والإيجاب
ذلك المعصم الخجول المحلى
بسوار من الأماني العذاب
أطلقي ذلك السوار يحييني
(م) ويمشي على صعيد ترابي

فأي أنثى تلك التي تملك عيونها ذلك الإشعاع الواقي، ومعصمها بسواره المحيط ما يحيي الموات، والتي ينشد مشيها على صعيد ترابه البشري إن لم تكن معنى مما يسعى إليه ويتطلع نحوه.. هي معنى ولاشك قد لايجده حقيقة في واقع المرأة/ المبنى - إن صح التعبير - ومن هنا تعددت الرموز المشيرة إليه، مما جعلنا نقطع أنه يعني به أنثى بعينها، بل ربما كان يرمز بها إلى «الكلمة» أو «الحرية» أو.. أو من المعاني التي يلمح إليها ولايصرح بها، ومن هنا بدا منطقياً أن نعرفه ونعثر عليه في كتاباته، فإنما الكاتب بعض سطوره، أو كما جاء بالمقولة الشهيرة «الكاتب هو الأسلوب» أو بالأحرى هو المكتوب، أليس ذلك هو مايعنيه البيتان التاليان:

غير أني أعيش بين سطوري
أرقب الصمت.. مثل عود الثقاب
اقرئيني..تصفحيني فإني
لوتحققت صورة من كتابي!!

فإذا انتقلنا إلى قصيدة التنومي الشهري الأخيرة معنا «بوح شاعر» لفتنا منها إغراقها أيضاً في التجريد والذاتية، دون الإحالة ولو قليلاً على نماذج من الواقع الذي يكسب هذه الذاتية قيمة تجنيد الشعر في نطاق رسالته المنوطة به.

فالشاعر هنا لايعدو حدود التفاخر بنفسه كشاعر يصنع من أشعاره مايصنع، معلقاً في خيال التهويم، دون أن يمدنا بتطبيق عملي لأقواله - فلنستمع إلى قوله لتتأكد مما أشرنا إليه (١٠)

وترادفت خيل السوانح والرؤى
تطوي مسافات المدى وتجمع
وتواترت أسراب أحلامي سدى
حيناً تؤملني.. ودهراً تهرع
فرسمت أحداثي بريشة شاعر
صاغ القريض بلوحة تتشعشع
وعزفت أوتار القلوب رواقصاً
وشدوت لحنا كالحمائم تسجع
ونسجت من غزل المشاهد قصة
أسرار سحنتها تبوح وتقبع!!
.....
ونقشت في راح الزمان خواطري
وشماً يلوح كبادق يتلمع
ونحت تمثال المشاعر والنهى
رسماً كأشباح السرى يتدرع

ولعله لايفوتني التوقف عن الصورة التي جاء بها بآخر بيت مر بنا.. صورة «تمثال المشاعر والنهى» الذي جمع به بين النقيضين: التمثال المادي الجامد، والمشاعر والنهى المفروض أنها أصل الحركة في الإنسان، إذ كيف يكون لها تمثال وهي من الحس لا من المادة التي تقام منها التماثيل في العادة؟! وهي صورة يؤسفني أن تصدر عن «تصوّر شاعر» اللهم إلا إذا كان لايبغي من ورائها إلا إظهار قدرة الشعر على تصور حتى مالايمكن تصوره بحال من الأحوال، إلى آخر ماجاء بأبيات هذه القصيدة الشديدة الذاتية، لالشيء إلا لينتهي إلى ماجاء ببيتيه الآخيرين الدالين على أهمية رسالة الشاعر ووظيفته، وكم كنا نود لو أنه مارسها تطبيقياً في واقعه كما يفعل الآخرون لنصدقه فيما ساقه إلينا.. يقول الشاعر فيهما:

وصدحت بالآفاق أني شاعر
صهر الفؤاد وفكره يتصدع
والشاعرون بذي الحياة رموزها
وأُوارُها ورداؤها والمنبع

وإذا كان من مأخذ أخير يؤخذ على هذا النص فهو أنه لم يقدم من الشعر أمس مايرجى منه، بدلاً من الزخرفة اللفظية مما يحرك الوجدان ويثير الأفكار، ولنأخذ مثالاً قريباً من نص لم

ردود ومناقشات

يسبقه إلا بصفحتين فقط يحمل عنوان «الشاعر» لنرى كيف حرك شاعره مشاعرنا وأثار انتباهنا بما أخفق فيه صاحبه، مع أنه أيضاً لم يمس به قضية إسلامية عامة.. يقول علي فريد صاحب قصيدة «الشاعر» بعد بيت المطلع التالي(١١):

زخرف في سفر الأسي أحرفه
فمن ترى يقرأما زخرفه؟!

.....

في عينه تبرق آمالُهُ
وفي دُجى آلامه عجرفه!!
كأنما اليأس خلاصٌ له
فكلما عنَّ الرجا سوفه!!
يسير لا يدري له غايةً
كأنما تعشقه الأرصفه!!

وإذا كان التنومي لم يقنعنا بأبياته عن وظيفة الشعر ـ كما مر بنا ـ فإن علي فريد بدا موفقاً تماماً في الإقناع بها بأبياته التالية(١١).

هذا هو الشاعر في أمة
يقتاتها مستنقع السفسفه
تنكر الدهر له فانزوى
وقال يادنيا أنا المعرفه
أراد أن يكتشف المختفى
فحين أعياه النهى فلسفه
علا مع النور فلما هوى
تلقفته الألسن المرجفه
كأنه «عثمان» بين القنا
يسأل عن مأساته مصحفه
كان على فكر الورى ثائراً
فما الذي في لحظة أضعفه؟!
أرهقه القيد فغنىً له
فتمتم السجان: ما أشرفه!!

إلى أن ينتهي إلى المطالبة بإنصافه.. كيف لا وهو المنصف دائماً على مدى التاريخ؟!

قد أنصف التاريخ بين الورى
فهل ترى تاريخه أنصفه؟!!

فهي قصيدة جيدة لاتقل شأنا عن سابقتها التي حظيت بالتقييم النقدي لعيسى بن علي تحت عنوان «شعارات زائفة» وإذا كان صاحب هذه الشعارات قد ألح إلى صحبته للشعراء صحبة الشعر له، بما يعكس حقيقة دور الشعر كما عرف من قديم.. وذلك في قوله:

سامرتني إذ لاسمير وكنت لي
إن جدّت الأحداث طوع بناني
وحملت آمالي وآلامي التي
تنمو وتزهو في ثرى وجدان

وقوله:

وصحبتني فغمرتني ياصاحبي
بالحب والإلهام والسلوان
ووفيت في الحالين إن بسمت لنا
دنيا المنى، وإذا طغت أحزاني!!

فإن صاحبه في نص «الشاعر» لم يفته أن يطلب الإنصاف لهذا الفن المضيع ـ كما تقدم ـ ولعله كان يجيب بذلك على تساؤل صاحب الشعارات التالي:

فعلام تهجرني وتنس مامضى..
ياشعر، كم أخشى من النسيان!!

وعلى كل فقد مس الشاعران الأخيران ـ أكثر من ثالثهما ـ صلب المطلوب من الشاعر، حين يجند قصيدته لخدمة رسالته النبيلة، التي لاتقل شأناً عن سلاح المجاهد بسلاحه.. تلك التي صارت طوقاً في عنق كل أديب نظم الشعر أو أرسل النثر، وعبر عنها شاعر ثالث من أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية هو محيى الدين عطية في قصيدته «الأديب» التي مطلعها(١٢).

له قلم إذا أدمى أماتا
وإن غنى أضاع لنا السباتا!!

فقال:

ولكن هل تساءل ذات يوم
عن البذر الذي طرح النباتا؟!
عن الأقمار تحملها القوافي
تزف لنا حياة أم مماتا؟!
عن الكلمات هل أضرمن ناراً
تفرق أم تجمع ذا الشتاتا؟!!
عن القيم الأصيلة هل تداعت
أم ازدادت بحكمته ثباتا؟!
وصار الحرق ترياقاً وشهداً
أم انقلبت موائده فتاتا؟!!
لئن نغمس يراعاً في الثريا
ولايخشى على الرزق الفواتا

ويصـــدق فـي عـــزيمتـــه لأحـــيـــا
ـ بمـا وهـب الإلـه لـه ـ رفـــــــاتـا!!

■■ أما بعد:

فلعله قـد وضح تماماً مما قمنا بتـكميل تقـديمه تقـريباً من شعـر إسلامي، بهذا العدد الخاص من «مجلة الأدب الإسلامي»، أن المجلة بما أقدمت عليه قد نظرت لهذا الضرب من الشـعر المتسم بـ «الإسلامية»، في دراسات نقدية قـيمة أولاً للدكاترة والأساتذة محـمد زغلول سلام وحسن الأمراني وطارق سعد شلبي وسـعد أبوالرضا، ثم قدمت تالياً نماذج تطبيقيـة منه لشعراء متباينين في المـستوى والأداء، ومن مواقع مختلفـة بعالمنا العربي والإسلامي، ملمين من حـيث المضامين بمظاهر ضعف أمـتنا الإسلامـية، داعين للانـبعاث من جـديد، هذا من جـهة، مقدمين من النصوص من جهة أخـرى مايدعو إلى التزام القيم والآداب الإسلاميـة، منوعين بين أشكال القصيـد العمودي والتفعـيلي مع عدد بسيط من النصوص التي بها هنات قليلة ـ كـما مر بنا ـ الأمر الذي به يعد هذا العدد من المجلـة مرجعاً يمكن أن يرجع إليه من شـاء التعرف على هذا النمط الإسلامي من الشعر الرسالي النقي.

وقد لفتنا أن المجلة بهذا العدد قد قدمت شـعراء لم نعرفهم قبلاً غير ناثرين كالدكتورين عبدالقدوس أبوصالح في قصيدته «أمي الحبيبة» ـ لاشك تحمد لـه أنها مست مثال التـضحية العـالي من قريب في زمن العقوق الغـريب هذا ـ وعماد الدين خليل في النشـيد الإسلامي ـ وإن طالعتنا بالنسبة للثاني قصيدته «زخرف الدنيا» قبل ذلك بعددين ـ ولا نحسب مثليهما إلا ممن لم نحظ بمطالعة أعمالهم الشعرية إلا اتفاقاً، مع أن لهم إبداعهم الشعري الخاص ولاشك، ولانحـسب مجلتنا إلا مقدمة بتوفـيق الله أعـداداً أخرى من الأدباء الإسلامـيين في كل مـجال من مجالات الأدب شعره ونثره، وهل بعد هذا من فضل يحسب لها.

والأمل أن تحرص المجلة على تخصيص أحد أعـدادها التالية بالقصة القصيرة الإسـلامية أيضاً، ويكون بدوره جامعـاً لأكبر عدد ممكن من الأقاصيص «الإسلامية»، حـتى يحظى القارئ بمرجع جديد في القصة الإسلامية يرجع إليه شداتها لمعرفة خصائص وسمات هذا الضرب من القص.. الأمر الذي لاينتظر سواه إلا من مجلة أخذت على عاتقها مهمة الرقي بالأمة، والعمل على نشـره وترسيخ قواعده. ولعلي لا أنسى أن أشير إلى النموذج الأفضل الذي يرجى أن يمد به هذا العدد الخاص من قصاصـي العالم العربي والإسلامي، وذلك بعـد الإعلان عن طلب ذلك منهم. ولاأحسب أن ثمة مـاهو أمثل من قصة إبراهيم سـعفان «نبض الجذور» ـ في حجمـها ومضمونها تقريبـاً ـ الواردة بالعدد العشرين من المجلة. على أن يـأتي ذلك كله تالياً لعـدد من الدراسـات النقـدية المتابعة في تقـييمها التنظيري كـما حدث بالنسبة للشعـر قبلها، الأمر الذي أرجو أن أكون من المسهمين فيه بدوري.. والله سبحانه من وراء القصد.

■■ هوامش ومصادر:

١ـ ق «أواد..يازمن» لأبي فراس القطامـي ـ العـدد ١٩ من مـجلة الأدب الإسلامي العدد الخاص عن الشعر الإسلامي ص٣٣.

٢ـ ق «من وحي الهجرة» لأحمد حسبـو ـ مجلة الخـيرية العـدد ١١٠ محـرم ١٤٢٠/ مـايو ١٩٩٩ ص٦٣.

٣ـ ق «شـعـارات زائفـة لعـيـسى بن علـي جـرابـ عـــدد الأدب الإســـلامـي السابق نفسه ص٧٤

٤ـ ق «يـــــــ ـــارة السـعـد» ـ نبـيل مـ ـد قـصـــاب يـاشي المص السابق نفسه ص٧٦

٥ـ ق «عـنـدمـــا تـذو الأســئـلـة» ـ علي بن يـحـيى البهكلي ـ المـصدر السابق نفـسه. ص٧٨.

٦ـ من دراســـة «الـشكـل في الشعر الإسلامي» ـ الدكـتور سعد أبوالرضا ـ العـدد نفسه ص ٢٤ ـ ٢٥.

٧ـ ق «النور والظلمة» لحـفيظ ابن عـجـيب الـدوسـري ـ العـدد نفسه ص٩١.

٨ـ مـجلة الأدب الإسـلامي ـ العدد نفسه ص١١٦

٩ـ ق «صورة من كتابي» لداود المعـلا ـ المصـدر السـابق نفـسه ص١١٩.

١٠، ١١ـ ق «بوح شاعر» لعلي فريد ـ المصـدر السابق نفـسه.... ص١١٨.

١٢ ق «الأديب» ـ محـيي الدين عطيـــة مـن ديوانـه «ولكنـكم تستـعجلون» مـؤسسـة الرسالة بيـروت لبنان ط ١٤٠٩/ ١٩٨٨ ص٣٣.

المعنى في الشعر الإسلامي

قصيدة «أطفال الحجارة والعالم الجديد» نموذجا*

بقلم الدكتور:
محمد سعيد شحاته

إن الأدب الإسلامي يمثل ظاهرة بدأت تتسع كيما تشمل الحياة الثقافية، وبدأ هذا الأدب يتخذ من المفاهيم الدقيقة والتطبيقات المستوعبة لأهدافه وطموحاته ما يجعله يستوي على سوقه ويعجب الزراع، فينزع إليه المبدعون مشاركة في المناسبات الدينية حينا واقتناعا بإفلاس المذاهب الأدبية الأخرى حينا آخر، وقد وضع هذا الانتشار للأدب الإسلامي النقاد - الذين يقولون بضرورته - أمام أنفسهم، ليختبروا أفكارهم، ومدى اقتناعهم بجدوى هذا الأدب، إذ لابد أن يساير النقد الأدب تنظيرا وتطبيقا، ومن ثم يصبح للأدب الإسلامي فرسانه الذين يبدعون، ورجاله الذين ينظرون له، ويكشفون عن مضامينه ووسائله التعبيرية، وهي مهمة نأمل أن تتحقق كاملة؛ إذ إنها تقف جنبا إلى جنب مع صمود الأمة الإسلامية في المجالات الأخرى: عسكرية وسياسية واقتصادية، بل إن هذا الجانب الثقافي ليعد أكثر الجوانب أهمية إذا أدركنا أن التسرب إلى عقل الأمة وكيانها يأتي من خلاله ، فقد تسرب إلى عقول المسلمين وحياتهم أفكار مثل العبث والوجودية وغيرها من الأفكار التي تقوم على أساس مناقض لقيم الإسلام ومبادئه، تسربت تلك الأفكار من خلال الأدب، محدثة خلخلة في عقل الأمة، وتدميرا لكيانها، وتمردا على تراثها، ومن ثم يصبح المتصدى للأدب الإسلامي - كشفا عن مضامينه ، وتنظيرا لمفاهيمه - واقفا على ثغر من ثغور الإسلام، لن يكافئه عليه أحد إلا الله عز وجل.

---

* ! لتحرير: برغم ماأكده كاتب المقال في عنوانه وموضوعه على حرصه على المعنى، فقد كانت معالجة الشكل واضحة جدا في كل صفحات المقال بدءًا من الثنائية الضدية حتى سرعة الإيقاع الذي جاء نتيجة لقصر الجمل.

ولقد توقف **الدكتور سعد أبو الرضا** أمام الشكل في الشعر الإسلامي في دراسة لقصائد العدد التاسع عشر ـ المجلد الخامس، وهو عدد خاص عن الشعر الإسلامي، وهو العدد المشتمل على القصيدة محل الدراسة، وأشار **الدكتور سعد أبو الرضا** إلى أن النص بنية كلية، فقال: «الشكل لايتجلى إلا ملتحما بالمضمون متلبسا به، وهكذا تبرز البنية الفنية لهذا الشعر الإسلامي وإذا كنت أريد أن أجلي الشكل فليس معنى ذلك إهمال المضمون، فهذان وجهان لعملة واحدة، ومن ثم فهما لاينفصلان إلا لغاية تحليلية تكشف عنهما»(١).

وسوف نتوقف أمام قصيدة «أطفال الحجارة والعالم الجديد» **للدكتور سعد دعبيس**، محاولين رصد حركة المعنى في هذه القصيدة، بعد أن توقف **الدكتور سعد أبو الرضا** أمام الشكل في دراسته السابقة لتكتمل بذلك الصورة.

ونحن إذ نقف أمام هذا النص الشعري نضع في الاعتبار أن ما نقوم به مجرد قراءة، قد تتفق أو تختلف مع قراءة أخرى، إذ أن التعدد التفسيري للنص الواحد يثريه «ويكشف عن آفاقه وأبعاده في سياق الثقافة المتغير، ويفضي هذا التعدد إلى أن النص لايتضمن بالضرورة معنى نهائيا يأخذ شكل بعد واحد ومطلق، إذ النص لا وجود له بمعزل عن المركبات الذاتية للقراء»(٢).

ـ١ـ

تتمحور حركة المعنى فى القصيدة حول ثنائية ضدية يبرز أحد طرفيها مختزلا الطرف الآخر، يقول الشاعر:

صوتك الرائع أمسى
يبدع العالم أزهارا وظلا
يغسل الأشياء بالفرحة
يكسو
صمتها الموحش إشراقا ونبلا

فالصوت الرائع أمسى يبدع أزهارا وظلا، ويغسل الأشياء بالفرحة، ومعنى ذلك أن هذه الأشياء كانت على غير شاكلتها، فإذا كان قد غسلها بالفرحة فإنها كانت متشحة بالحزن ضرورة، لأنه ـ إذا غسلها ـ غيّر معالمها، وقد بدأ طرفا تلك الثنائية يظهران في قوله «يكسو صمتها الموحش إشراقا ونبلا» إن المطلع هنا يختزل في داخله تدمير ما هو كائن لحساب ما ينبغي أن يكون، أي أنه يقوم بتكوين عالم على أنقاض عالم آخر «إن التكوين مسبوق ضرورة بالتدمير، والتدمير مسبوق ضرورة بالرفض والرفض مسبوق دائما بالرؤية الواعية»(٣). ومن ثم نجد صعودا للذات إلى موضوعها، أما الذات فهي أطفال الحجارة، وأما الموضوع فهو تغيير الواقع إلى ماهو أفضل، وقد برز الحضور للذات منذ اللفظة الأولى في القصيدة «صوتك» ولكنها ما تلبث أن تختفي ليحتل الموضوع مساحة أوسع من الحضور، فتتوالى الأفعال المضارعة ذات الفاعل المستتر الدال على الذات،العائد على قوله «صوتك» في مطلع القصيدة فيقول:

يبدع العالم أزهارا وظلا
يغسل الأشياء بالفرحة
يكسو صمتها الموحش إشراقا ونبلا
يبعث الكون جديدا.. ألثغ الأضواء طفلا
يمنح الإنسان إنسانا جديدا
وفصول العالم فصلا خامسا
ينساب أزهارا وظلا.

إن الذات هنا تمارس فعلها بتعديل ما هو كائن، ليس من خلال كشف عوراته، بل من خلال التوغل فيه وتغييره كلية:

يبعث الكون جديدا
يمنح الإنسان إنسانا جديدا

فالكون هو الكون، والإنسان هو الإنسان، ولكن الذات تغير ملامح كل منهما، ومن الملاحظ أن الذات لاتبدو عنيفة بل هادئة وادعة، لاتلجأ إلى التدمير بقدر ما تلجأ إلى التغيير، ولم تنكفيء الذات على جراحها تجترها وتمضغها ـ كما وجدنا ذلك لدى كثير من الشعراء ـ بل نجدها تمتلك قدرات تجعلها تجاوز أحزانها وآلامها، وتواجه العالم وتفاعلاته الداخلية والخارجية.

وتعود الذات لتمارس فعلها مرة أخرى بتعديل ماهو كائن إلى ما ينبغي أن يكون من خلال التدمير الذي صرح به الشاعر في قوله:

آه ياصوت الفدائي تدفق
لهبا ثائر النبرة حرا
مزق الظلمة.. مزق
وانتزع من لبها الوحشي فجرا
حطم الأغلال.. حطم
وانتزع ما شئت قرا
واغسل العالم من زيف
وأعط العدم الفارغ فكرا
شاه وجه العالم المنهار فاكشف زيفه
واهدم على الأطلال قبرا.

إن هذا التدمير ـ الذي يبدو في الظاهر ـ ماهو إلا إعادة بناء هذا العالم كما ينبغي أن يكون، ومن ثم نجد الشاعر يصرح بأنه هدم غير الهدم المتعارف عليه في الذاكرة الجمعية، فهو في الظاهر هدم ولكنه في الحقيقة بناء، يقول الشاعر:

ولتكن هدما جديدا
أخضر المعول هداما أغرا
شد ما تحتاج أيدينا لفأس
تمنح العالم معنى
تزرع الأيام إيمانا وطهرا
حين يبدو الكون فوضى ونشازا
يصبح الهدم انسجاما
يصبح البركان قيثارا وشعرا.

إن الشاعر يرى الهدم ضرورة من ضرورات الحياة، رغم كونه إفناء لعالم، إذ هو ميلاد لعالم آخر ينسجم مع الطبيعة

ردود ومناقشات

البشرية والفطرة السوية، فيتشوف الناس إلى البركان الذي يبدو ـ ظاهريا ـ مدمرا، ولكنه ـ حقيقة ـ ضرورة كي تستقيم الأمور.

وتتوحد الذات مع موضوعها، وإن بدا ذلك التوحد منتجا لآثار تلك الذات، يقول الشاعر:

بَعْثنا أنت .. صَحَوْنا، فوجدنا
قبرنا الصامت أطيارا وحقلا
غدنا الثائر في الأفق أطلاً
ذات يوم.. رن صوت
قيل: من؟
قالوا: فدائي على الأرض أهَلاً

وهنا تبرز ملامح الذات ـ الصوت الرائع الذي ورد ذكره في مطلع القصيدة والذي قام بهذا التغيير، إنه صوت الفدائي، وإذا كان الشاعر قد ركز في بداية القصيدة على الموضوعات فإنه هنا يرسم ملامح وقسمات الذات ـ الفدائي، فيقول:

قيل:من؟
قالوا: فدائي على أرض الأسى أشعل عزما
حملته عاصفات الحزن
في ليل.. شتائي الأسى
يصرخ حقدا
لم يعانق ليلة الميلاد أما
لا.. ولا عانق أشواقا ووجدا
لم يشاهد غير ليل
يشبع الأنجم أكفانا ووأدا
أرضعوه الصمت والصحراء
ما عانق أزهارا ومهدا

إن ملامح الذات وقسماتها تكشف عن مدى الحصار الذي تعانيه، فهو حصار محكم يخنقها، ويفجر داخلها طاقات الثورة والتغيير، فهذا الفدائي قد حرمه أعداؤه من أمه ليلة الميلاد، وكثرت حوله جثث القتلى، فكان كل ما شاهده هو الأكفان والوأد، والإخراج من الدار والوطن والدم، وإرغامه على الصمت، فتساوت لديه الحياة والموت، فكانت الثورة على الأوضاع التي تحاصره وتخنقه، وتحاول اقتلاع جذوره، ويركز الشاعر هنا على جانب الفقد لدى الفدائي، إذ فقد أمه (لم يعانق ليلة الميلاد أما) كما فقد معاني الحياة (لم يشاهد غير ليل يشبع الأنجم أكفانا ووأدا)، وفقد كذلك الإحساس بالجمال والأمان (ما عانق أزهارا ومهدا)، أما فقد الوطن فقد كان أشد أنواع الفقد، إذ حاولوا أن يكون هذا الفقد مكونا من مكونات شخصيته، ويبدو ذلك من خلال الفعل [أرضعوه] في قوله: [أرضعوه الصمت

أطفال الحجارة.. والعالم الجديد..!

صوتك الرائع.. انسى
بديع العالم.. زهراً وظلاً..!
يخجل الأشياء بالفرحة
تمشو
مستقبل الوحش.. إشراقا وثمارا..
يبعث الكون جديداً
الثلج الأخضر.. حلقه..!
تفتح الإنسان.. إنساناً جديداً
وفصول العام.. فصلاً
خالصاً
يثمر.. أزهاراً.. وظلاً..!
يعلك.. انت.. ممحوناً.. فوجدنا
قبرك الصامت.. أطياراً.. وحقلاً..!
لحظة.. انت أطلاً
فانتفضنا.. ورأنا
ثائر الأفق.. في الأفق.. طلاً
ذات يوم.. رن صوت
قيل من؟
قالوا:
فدائي على الأرض أهلاً..
فجأة.. والليل صمت قاتم
وفراغ.. تائه الأنجم.. أضنى
وبقايا من سراج..
وأنين الأقحوان.. تعثري
في خيام الليل.. يعثري
تلدغ الأشباح.. الحزانى.. وفيا..!
يعصر الأكفان للسارين.. قيدا وتجا..!
ذات يوم..
في يقاياه.. من خيام
مزق الإعصار.. للظلمة.. وهجا..!
فجر من؟
قالوا:
فدائي.. على الرغم الأسى.. اشعل عزما..!
حملته عاصفات الحزن..
في ليل.. شتائي الأسى
يصرخ.. حقدا..!
لم يعانق ليلة الميلاد.. أما
لا.. ولا عانق أشواقا ووجدا..!
لم يشاهد.. غير ليل
يشبع الأنجم.. أكفانا.. ووأدا..!
أرضعوه الصمت والصحراء..
ما عانق أزهارا.. ومهدا..!
ذات يوم
أصبحت ريح لهيب.. نارا.. وإعصارا
هذا صمت الأسى
برقا.. ورعدا..!
ذات يوم.. صاح صوت
فزق يزف العالم للنهار
«إني لست عبدا..!»
لم يعد سادة هذا العصر
عبوداً
يعصر الأحزان.. للعالم.. خمرا..!
لم يعد
ـ حظر فيّ
يثمر العالم.. أكفانا.. وقبرا..!
لم يعد سفاح لكل
يعشق التاريخ.. أطلالا.. وقبرا..!
من قرار.. ثائر العالم.. حقي
صار للإعصار
قيثارا.. وفجرا..؟
آه.. يا صوت الفدائي.. لهفي
ليهبط.. وثائر الثورة.. حرا..!
مزق الظلمة.. مزق..
وانتزع.. من نفسها الوحشي.. قهرا..!
حطم الأغلال.. حطم
وانتزع.. مأساتك.. النكراء..!
واغسل العالم.. من زيفه
واعقد العدم كفارع.. فكرا..!
ضاء وجه العالم الزهار
فاشرقا زيقه..
واهدم على الأطلال.. قبرا..!
ولتكن.. مهدا جديدا
الخضر المغزل.. هدأ الثرا..!
شد ما تحتاج اليدينا.. لتاس
لتفتح العالم.. لحني
لتزرع الأيام.. إيمانا وطهرا..!
حين نبني الكون.. فوضى.. وتنارا
يصبح الهدم انسجاما..!
يعشق التركان.. قيدا وشجرا..!

□□□

شعر: د. سعد الكبيس

والصحراء] لقد مارس الأعداء مع هذا الفدائي كل معاني القهر والفقد، ومن ثم كان اتجاهه إلى الثورة والتدمير، إذ أنه يحاول إيجاد مكان له تحت الشمس، يحاول أن يشعر بانتمائه ووجوده، وخلاصة القول أنه يحاول الدفاع عن هويته.

إن حركة المعاني في القصيدة حركة دائرية ومتموجة، فالشاعر يبدأ بإبراز عنصر التغيير، وينتهي بإبراز العنصر نفسه، وبين البداية والنهاية تدور حركة المعنى، وهي حركة متموجة إذ يعلو صوت الشاعر حيناً ويهدأ حيناً آخر، وهو في علوه وهدوئه لاينسى أنه يدور حول معنى واحد؛ هو ضرورة التغيير، سواء عن طريق التوغل داخل الأشياء وتغيير ملامحها أم عن طريق تدميرها لتستقيم الأمور، وتستقر الأوضاع، ويعود الحق إلى أهله.

وفي أثناء توجهها تبرز عناصر وتختفي أخرى، ولكن العناصر المختفية ما تلبث أن تظهر، وتختفي التي كانت بارزة، كل ذلك في حركات محسوبة من الشاعر، ومؤدية المعنى تماماً.

إن القصيدة كلها عزف على وتر العنوان الذي يدور حول «أطفال الحجارة والعالم الجديد»، ولذا كان التركيز على الذات التي هي [أطفال الحجارة] والتغيير الذي تحدثه تلك الذات وهو [العالم الجديد]، ومن ثم غابت كل العناصر أو غيبت لحساب هذين العنصرين، فنجد السائل والمسئول عن الفدائي قد جاءا في صورة لاتدل على تحديد يكشف عن ملامحهما وذلك في قوله:

ذات يوم.. رن صوت
قيل: من؟
قالوا: فدائي على أرض الأسى أشعل عزماً

فقد عبَّر الشاعر عن السائلين بصيغة المبنى للمجهول [قيل] كما عبر عن المجيبين بصيغة الغياب [قالوا]، ويعود الشاعر إلى الطريقة نفسها في قوله:

ذات.. يوم في بقايا من خيام
مزق الإعصار للظلمة وهماً
قيل: من ؟
قالوا: فدائي على أرض الأسى أشعل عزماً

إن هذا التغيب أو الطمس لجميع الملامح يمثل سمة يرتكز عليها الشاعر كي تظل الذات والموضوع عنصرين مسيطرين على مسار القصيدة.

-٢-

وقد صاحب الإيقاع حركة المعنى - هدوءا وسرعة - ويتضح ذلك عند تأملنا لمطلع القصيدة؛ حيث نجد الشاعر يتحدث عن التغيير دون عنف، ولذلك جاء الإيقاع هادئا كالنهر المتدفق سلاسة، وعندما ينتقل الشاعر إلى الحديث عن الثورة والتدمير يأتي الإيقاع سريعا هادرا متفقاً في ذلك مع السرعة التي تتصف بها حركة الفدائي، يتضح ذلك في قول الشاعر:

آه ياصوت الفدائي تدفق
لهبا - ثائر النبرة حرا
مزق الظلمة.. مزق
وانتزع من ليلها الوحشي فجرا

ولكن هذا الإيقاع السريع - الذي يشبه الأنفاس المتلاحقة - يعود إلى الهدوء مع عودة المعنى إلى التغيير دون عنف في نهاية القصيدة إذ يقول الشاعر:

شد ما تحتاج أيدينا لفأس تمنح العالم معنى
تزرع العالم إيمانا وطهرا
حين يبدو الكون فوضى ونشازا
يصبح الهدم انسجاما
يصبح البركان قيثارا وشعرا

وقد أنتجت سرعة الإيقاع وبطأه جملٌ تتناغم مع النسق التعبيري، إذ جاءت الجمل مع الإيقاع السريع قصيرة أو مبتورة، كما في قوله:

بعثنا أنت.. صحونا فوجدنا
قبرنا الصمت أطيارا وحقلا
لحظة أنت أطلت
فانتفضنا - ورأينا غدنا الثائر في الأفق أطلا

فمن الملاحظ سرعة الإيقاع التي نتجت عن قصر الجمل حينا، واستخدام حرف العطف الفاء الدال على الترتيب والتعقيب حينا أخر، وقد صاحبت سرعة الإيقاع حركة المعنى. أما الجمل مع الإيقاع البطيء فقد جاءت طويلة كاملة. يتضح ذلك في قوله:

صوتك الرائع أمسى يبدع العالم أزهارا وظلا
يغسل الأشياء بالفرحة
يكسو صمتها الموحش إشراقا ونبلا
يبعث الكون جديدا، ألثغ الأضواء طفلا
يمنح الإنسان إنسانا جديدا وفصول العام فصلا خامسا

فإننا نلاحظ بطء الإيقاع الناتج عن طول الجمل، واستخدام التراكيب الدالة على الهدوء، والتي تميل إلى الحكي الذي يقتضي وقتا أطول.

لقد استخدم الشاعر العديد من الوسائل المتناغمة التي دلت على حركة المعنى وتموجها، ذلك أن القول الشعري «يعتمد على نظام إشاري يختلف عن النظام الذي يستخدمه المتكلم العادي أو حتى الشاعر نفسه في حياته اليومية، ويقوم هذا النظام على مصاحبات وتقابلات غير متوقعة تجمعها وحدة متجانسة تختلف عن الوحدة التي تجمع لغة الكتابة النثرية»(٤).

المصادر والمراجع:

١- مجلة الأدب الإسلامي - المجلد الخامس - العدد التاسع عشر ص٢٤
٢- النص ومشكلات التفسير. د. عاطف جودة نصر - لونجمان - القاهرة ط١ سنة ١٩٩٦م ٩٦.
٣- مناورات الشعرية. د. محمد عبد المطلب - دار الشروق - القاهرة - ط٢ ص٢٠.
٤- إضاءات النص: قراءات في الشعر العربي الحديث - اعتدال عثمان - الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢ سنة ١٩٩٨م - ص٩.

شعر

عندما تبوح الجراح

عواطف علي الحجيلي*

قلبٌ جريحٌ في الدماء سيغرق
ومشاعر تسبى وحيناً تعتق
ومدامع تبدو على وجناتنا
وأزاهرٌ رغم الربيع ستشنق
وغداً تموت فهل سيبكي قاتلٌ
ساق الفناء إلى الزهور ويصدق
أمضي وأخفي في الفؤاد تحسري
ويظل رأسي صامداً لايطرق
قد تختفي الحسرات من ألفاظنا
وتظل في أحشائنا تتمزق
قد تظهر البسمات رغم تألمي
وأحس في قلبي جراحاً تخفق
نخفي التعاسة والحياة تسوقنا
للموت والأرزاء دوماً تطرق
ماذا أقول وفي الفؤاد جراحه
أضحت نزيفاً والأزاهر تسرق
شربوا الدماء ومادروا بتألمي
قتلوا الفؤاد فأي روح أزهقوا؟!
قتلوا الفؤاد وقد رأيت بلوعتي
نزفاً ودمعاً في الجوانح يلعق
إنَّ الصديق إذا تقادم عهده
خان الوداد وقد يخون الأوثق
لاتنكروا.. هذي الجراح تقول ما
فعل الصديق ودمعها يتدفق
كان الصديق وقد غدا بجراحنا
يلهو فكتمي للمشاعر أليق
ماعدت أبكي والجراح تذيبني
ماعاد قلبي بالمدامع يشرق
ماعاد يخفق للخيال إذا بدا
«إن القلوب إذا أحبت تخفق»
قال الغريب ومادرى بجراحنا
إني على الأزهار دوماً أشفق
أخفيت دمعاً قد بدا ومشاعراً
فضحتك أبيات تنوح وتحرق
قلت المصائب قد تنوء بحملها
فتساعد الأبيات قلباً يخنق
مافي القصائد غير بعض همومنا
إن القصائد من همومي أضيق

* شاعرة سعودية

أقلام واعدة

قراءة في بريد الأقـ

■■ يسر صفحة الأقلام الواعدة في هذا العدد أن تقدم ثلاثة نماذج من المشاركات التي وصلت إلينا. وهي إذ توسع صدرها لهذه الكتابات تأمل أن يزداد إشراقها فيما تستقبل من أيامها، يحدوها ما تلمسه لدى هؤلاء الأدباء من رغبة صادقة، وجد ملحوظ، وقبل ذلك موهبة آخذة في التجلي.

❑❑❑

خاطرة:

ارتقاء بلا حساب

بقلـــم:

أسماء بنت عبدالعزيز اليوسف*

كان واقفاً في المؤخرة.. وكل ما عليه جمع الذخيرة والسهام التي كان يحظى بها دون مشقة أو عناء.. لم يكن ينظر إلى مكنونها ولا يدرك مدى مقاومتها وفعاليتها.. وكلما جمع المزيد تقدم في صفوف القتال وهو يزداد بذلك سروراً..!!

ومن حوله - ممن هم أرقى منه خبرة - كانوا يشجعونه على جمع المزيد، ويشكرون له صنيعه.. ويثنون عليه.. وهو يرتقي في الصفوف - مع العلم الخفي أنه كان جاهلاً بأمور القتال والسلاح - وحين وصل إلى الصف الأول - المقدمة - من صفوف الجيش.. بدا عليه الغرور، وظن أنه الأقوى والأعلم في كل خفايا الحرب، ولكن ذلك يتلاشى ببدء الحرب، حين أدخل يده في جعبة السهام فلم يجد فيها شيئا..!! وفوجيء.. بخرق كبير في أسفلها..

امتلكه الخوف من مواجهة العدو؛ فقد أصبح ضعيفاً أمام جبروت العدو الذي استعد له بكل ذخيرة وسلاح.. وهو يقف أمامه صفر اليدين..

حينها جاءته صرخة القائد الغاضبة:

- عُد إلى المؤخرة.. وتأكد من سهامك وتعمق في معرفة مكنونها وقيمتها.. فإذا عرفت ذلك ستحافظ عليها بالتأكد من سلامة الجعبة..

وبعد ذلك تتقدم إلى هذا الصف، وأنت تدرك المسؤولية العظيمة التي تلقى على عاتقك..

فهل يمكن أن يعود الجندي المغرور إلى المؤخرة؟!

وإن عاد، ماذا عن الجنود الذين يلحقونه وهم على نفس الحال؟!

---

* كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المستوى السابع.

❑❑❑

خاطرة:

لحظات حزينة

لحظات حزينة ثقيلة بطيئة الخطا.. تعصف بشجيرات الأمل المغروسة داخل قلبي.. تقتلني بغير سلاح.. تمزق الصفحات المشرقة التي سطرتها لذلك المستقبل القادم المجهول.

وتفرض عليّ استعادة الماضي المؤلم رغم إرادتي، لماذا يا حزن تبني دارك في قرارة أعماقي؟! أما آن لك أن تحمل متاعك، وتعلن وداعك وتفارقني؟! أما وجدت أهلاً لضيافتك ومرافقتك إلا هذا القلب المكلوم؟!..

سأراك يا فجري تطل على الدنا
وهجاً يضيء جهام ليل مظلم
مسكاً وكافوراً يطيب عبيره
يسري بروحي نحو فجر مُعْلَمِ

فوزية العمري

سلام الواعدة..

أعداد: التحرير

قصيدة

من يحمل همَّ القريض؟

شعر: ثابت طارق

وجدت الشعر مكتئبا حزينا
ويلطم خده وكذا الجبينا
وقدَّ الثوب بالكفين بؤسا
ونادى بالعويل ألامُعينا
إلا أن جاءهُ الشعراءُ حيناً
على عجلٍ وكانوا مُسرعينا
أتو والذعر يعلوهم وقالوا:
طهور يالسان الثائرينا
فأنت الطبُّ والشعراءُ جرحى
وأنت النورُ تهدي الحائرينا
ومن آذاك نهجُرُهُ جميعا
ونطرُدُهُ منَ ارض الطاهرينا
فعجل فالقلوب على انزعاج
وخبرنا، فقال: لقد بلينا

■■ «الأدب الإسلامي»: الأخ ثابت.. هذه الأبيات جزء من قصيدتك، نقدمها للقراء؛ تشجيعاً للمواهب الناشئة وأنت تمتلكها، مع الحاجة إلى قراءة المزيد من الدواوين الشعرية لكبار الشعراء الأقدمين والمحدثين، ونود أن نلفت انتباهك إلى بعض التصويبات في الأبيات المنشورة.

ففي البيت الثاني «ألا معينا» وصحتها « ألا معين»، فأنت صححت القافية على حساب النحو.. وفي البيت الثالث (إلا) وصواب كتابتها فيه (إلى)، وفي البيت الرابع (أتو) وصواب كتابته (أتوا)، وتوجد مثل هذه الملاحظات في قصيدتك الأخرى «حنين وأشواق»

■■ رسائل خاصة.. إلى:

● **الأخت أسماء اليوسف:**
خاطرتك «ارتقاء بلا حساب» منشورة في هذا العدد، ونرجو لك مستقبلا جيداً في الكتابة الأدبية النثرية.

● **خالد محمد الغميز: الرياض.. السعودية:**
قصتك طريفة.. وعليك بمزيد من قراءة القصص والروايات..، خاصة ذات المغزى السياسى، وشكرا لتقديرك للدكتور حسين.

● **فوزية العمري: الباحة.. السعودية:**
لديك الموهبة الشعرية والنثرية، لكن حبذا لو أكثرت من قراءة دواوين الشعر، حتى تنطلق هذه الموهبة. ولعلك تتصلين بالشعر الإسلامي من خلال مجلة الأدب الإسلامي، التى تصلك بانتظام. نشرنا جزءا من خاطرتك «لحظات حزينة» في هذا العدد.

● **فيصل بوطيبة.. الجزائر:**
نحيى فيك هذا التوجه الأخلاقي في توظيف الشعر، ونتمنى لك مزيدا من التوفيق، ومزيدا من الاتصال بدواوين الشعر.. ونحن في انتظار ما تجود به موهبتك

● **حسين حامد البركاني: مكة المكرمة:**
يكشف كلامك عن مقدرة شعرية، لابد من صقلها بمزيد من القراءة في الشعر، ولعلك تقرأ ما ينشر بمجلة الأدب الإسلامي، ونحن في انتظار إبداعك.

● **عبدالخالق قاسم سعيد: اليمن:**
نلمح فيما أرسلته موهبة متميزة إن شاء الله، فلعلك تهتم بقراءة دواوين الشعر، والاتصال بكتب النقد، حتى تزودنا بإنتاج جيد نتوقعه منك قريبا إن شاء الله.

● **عبدلي خليل: الجزائر:**
لا تيأس، فما كتبته يكشف عن مقدرة قصصية، نرجو لها الظهور.. لكن عليك بالإكثار من قراءة القصص القصيرة، والروايات.. وفي مجلة الأدب الإسلامي ما يعينك على ذلك.

حدائق السراب..

أشقى التوجس والإشفاق أفكاري
فعذتُ بالنور خوفاً من لظى النار
ركبتُ بحراً أرى.. في أفقه أملاً
يرنو إلى زورقي من عين غدّار
أجدّفُ الماء في لهو.. تشاركني
فيه الصَّبا حينما طافت بأشعاري
والشمس ترمقني في ضحكة ملأتْ
سمعي فأنشدتُ للأطيار أشعاري
فما تجاوزتُ شيئاً من مرافئنا
حتى رأيت شراعي خانه السّاري
وصرتُ أرقب وجه الشمس في قلقٍ
فما تمنّيت يوماً رحلةَ الساري
وبتُّ والموج في حربٍ.. يصارعني
بلجِّه.. ويُريني زنده الواري!
حتى إذا غربت الشمسُ الونى، سكنتْ
أمواه موجي، وخارت كلُّ أسواري

■■■

وفي الصباح رأيت النور مؤتلقاً
والأرض يابسةً، ملأى بأسراري
الشمس ترمقني، والضحكة انغرستْ
في خاطري خنجراً أو ألفَ مسمار
ما هذه البسمة الرعناء؟ تصفعني؟!
أم تشتفي من شقاء الضيغم الضاري؟
وجّهتُ وجهي نحو الظلّ في سَرَف
من التكبّر يكسو عزةً العاري
ورحتُ أنعتُ نفسي بالذي حفظتْ
خزانتي من نُعوتِ الخزي والعار
رأسي مطأطئةٌ، والأرض مجدبةٌ
أشواكُها سفكتْ أقدام خوّار
وفجأةً حام فوقي أخضرٌ عبقٌ
مغردٌ لضياع الدرب والدار!
رفعت طرفي وإذْ بالشمس باسمةً
تميل غاربةً في كلّ إصرار
لاحت على الأفق ـ والأحزان مملكةٌ
يقودها الدمع في طغيان جبّار
حدائقٌ.. ومياه النهر تقذفها
بالعذب مائسةً في حضن أزهار
غناءُ.. في يدها كل الذي فقدت
نفسي بما بترت سكين أقداري
تبدو إذا فتحتْ، حضناً بما منحتْ
حوراء قد نزلتْ، من جنة الباري
فما ملكتْ يدي، كلا.. ولاقدمي
ركضاً وحبواً.. وماستأذنتْ أفكاري
فما وصلتُ إلى شيء، وما وصلتْ
عيني إلى غير أفق ضجَّ بالنار

■■■

شعر: هشام القاضي

من أخبار.. الأدب الإسلامي

إعداد :
شمس الدين درمش

■ الشيخ أبي الحسن الندوي

محمد الرابع.. خلفا للشيخ أبي الحسن

قرر المجلس الاستشاري لندوة العلماء بالإجماع تنصيب الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيسا لندوة العلماء، في مدينة لكهنؤ بالهند، خلفا لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله -

ومجلة «الأدب الاسلامي» إذا تهنئ الشيخ محمد الرابع الحسني بهذه المناسبة تتمنى له التوفيق والسداد.

■■ مكتب الرياض..

المعلمي رئيساً للمكتب الإقليمي للرابطة.. في السعودية

كان من آخر ما أصدره سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رئيس الرابطة - رحمه الله - قرار بإنشاء المكتب الإقليمي للرابطة في المملكة العربية السعوية، ومقره الرياض.

كما وافق سماحته في القرار ذاته على ترشيح مكتب البلاد العربية لسعادة الفريق يحيى بن عبدالله المعلمي رئيسا لهذا المكتب.

..والجنادرية تكرمه

تم تكريم سعادة الأديب الكبير الفريق يحيى المعلمي عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، ورئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض - في المهرجان الوطني للتراث والثقافة الخامس عشر.

أدار ندوة التكريم الدكتور عبدالعزيز صقر الغامدي رئيس أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.. وتحدث فيها عدد من الشخصيات المرموقة في الساحة الأدبية والفكرية والعلمية.

فقد تناول د. محمد الربيع وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة - جوانب من فكر المعلمي وأدبه وإبداعه.. وأكد د. الربيع أن المعلمي يعد واحدا من حماة الفصحى المدافعين عنها بقوة، وأن حياته العسكرية انعكست على معاركه الأدبية.

ثم تحدث د.عبدالله أبوداهش نائب رئيس النادي الأدبي في أبها، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية - عن حياة الفريق المعلمي، ونشأته الأدبية والعلمية، ومؤلفاته التي بلغت ستة وأربعين مؤلفا. وأضاف أن ترجمة بعض مؤلفاته إلى بعض اللغات العالمية تنم عن قيمة هذه المؤلفات.

■ الفريق يحيى المعلمي

وذكر الأستاذ علي أبوالعلا شاعر مكة في حديثة عن المحتفى به أن فكر المعلمي، وأدبه، وثقافته من الوزن الثقيل، وأن فنه من النوع الجميل، وأن منهج التفكير الموضوعي والجاد يميز ثقافته وأدبه.

وتناول اللواء متقاعد عبدالقادر كمال حياة الفريق المعلمي المهنية والعملية، موضحا أنه جمع ثلاثة مواقف بارزة في حياته: ضابط أمن، وأديب وشاعر من أهل البيان، ومفكر ومؤرخ ولغوي.

وكان أول المعلقين في الندوة الدكتور عبدالقدوس أبوصالح نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، حيث شكر القائمين على مهرجان الجنادرية لاختيارهم الفريق المعلمي للتكريم، كما أضاف أنه مما يشرف رابطة الأدب الإسلامي العالمية أن يكرم أحد أركانها، وهو الذي اختير منذ قريب رئيسا للمكتب الإقليمي للرابطة في المملكة العربية السعودية، وهو حقا من أرباب السيف والقلم، كما أن مفتاح شخصيته: نبل موروث، وتواضع مشهود، وخيرية لاتعرف الحدود.

■ د. عبد القدوس أبو صالح

لقـــــاء تعـــارف.. مع ضيوف الجنادرية في مكتب الرابطـــــة

دعا مكتب الرابطة في الرياض عددا من الشخصيات الأدبية والفكرية إلى لقاء تعارف.

وتحدث في هذا اللقاء د. عبدالقدوس أبوصالح نائب رئيس الرابطة، ورئيس مكتب البلاد العربية عن شؤون الرابطة، وصدور الموافقة السامية بافتتاح مكتب الرابطة في الرياض، وعن أثر الشيخ أبي الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ في الرابطة.

■ د. محمد أبو بكر حميد

كما نوقشت قضية آداب الشعوب الإسلامية، ومسابقة الترجمة التي أعلنت عنها الرابطة. وشارك في هذا النقاش د. بديع جمعه أستاذ اللغات الشرقية بآداب جامعة عين شمس في القاهرة.

وشارك الأستاذ الأديب محمد هاشم رشيد رئيس النادي الأدبي في المدينة المنورة برأيه، وأكد على أهمية إيصال الأدب العربي إلى المتحدثين باللغات المختلفة.

وتحدث الشيخ نور عالم الأميني رئيس تحرير مجلة الضياء الهندية التي تصدر باللغة العربية عن ضرورة صدور كتاب يجمع تراجم الأدباء الإسلاميين.

وكان من التوافق الطيب أن يكون معجم الأدباء الإسلاميين قد صدر قريبا في ثلاثة أجزاء عن دار الضياء في الأردن.

كما تحدث الأستاذ محمد سلطان ذوق مدير جامعة دار المعارف في بنغلاديش، ورئيس المكتب الإقليمي للرابطة عن الأدب الإسلامي في بنغلاديش، ووضع مكتب الرابطة، وإصدار مجلة منار الشرق باللغة العربية.

هذا، وكان من بين الحضور الفريق يحيى المعلمي رئيس المكتب الإقليمي في الرياض، ود. سعد أبوالرضا، والأستاذ حبيب المطيري، ود.محمد أبوبكر حمَيّد، والشيخ أحمد محمد باجنيد عضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

□□□

ثلاث من عضوات الرابطة يشاركن في الفعاليات الثقافية لمهرجان الجنادرية

برعاية صاحبة السمو الملكي الأميرة نوف بنت عبدالعزيز انطلقت فعاليات البرنامج الثقافي النسائي لمهرجان الجنادرية الخامس عشر.. حيث شاركت ثلاث من عضوات الرابطة في أولى هذه الفعاليات بندوة عن «المرأة المسلمة في أدبيات التنوير والنهضة ـ نقد وتقويم».

فقد تناولت د. رجاء عودة عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية وأدابها في جامعة الملك سعود محور «أثر الحملة الفرنسية، ودور رفاعة الطهطاوي في الدعوة لتعليم المرأة».

وتناولت الأستاذة سهيلة زين العابدين حماد رئيسة لجنة الأديبات الإسلاميات في رابطة الأدب الإسلامي عدة جوانب من موضوع الندوة، فتحدثت عن دعوة قاسم أمين في مصر، وطاهر الحداد في تونس، ودور الاستعمار في التأثير على قاسم أمين لتغيير اتجاهه في كتابيه «تحرير المرأة والمرأة الجديدة» عما كان عليه في كتابه «المصريون» كما تحدثت عن ردود فعل دعوة قاسم أمين في العالم العربي، وتصدي الاتجاه الإسلامي لهذه الدعوة، وانتهت إلى بيان أثر هذه الدعوة على المرأة في الوقت الراهن.

وتحدثت الدكتورة سارة بنت عبدالمحسن آل جلوي رئيسة تحرير مجلة الشقائق في محور «الصحوة الإسلامية وأثر العادات والتقاليد والأعراف في تفسير النصوص الشرعية».

وجاء ترتيب الحديث في الندوة زمنيا من القديم إلى الحديث، كما شهدت الندوة حضورا كبيرا، ولقيت تغطية واسعة من الصحف المحلية.

وقد أدارت الندوة الدكتورة نوال الحلوة عميدة كلية إعداد المعلمات بالرياض.

■ حمد عبد الله القاضي

■ عبد المقصود خوجه

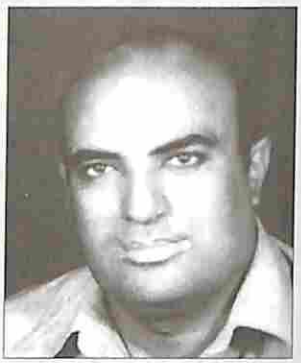

■ د. حسين علي محمد

■ د. محمد بن سعد الدبل

تكريم ثلاثة من أعضاء الرابطة في اثنينية خوجه

ضمن خطة الاثنينية في تكريم رجال الفكر والثقافة والأدب كرم سعادة الشيخ عبدالمقصود خوجة ـ عضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية ـ ثلاثة من أعضاء الرابطة المعروفين في الساحة الفكرية والأدبية والعلمية، وهم:

■■ د. حسين علي محمد الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية، وعضو هيئة تحرير مجلة الأدب الإسلامي، والعضو العامل في رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

■■ د. محمد بن سعد الدبل الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والعضو العامل في رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

■■ سعادة الأستاذ حمد بن عبدالله القاضي.. رئيس تحرير المجلة العربية، وعضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

والرابطة تتقدم بالشكر لسعادة الشيخ عبدالمقصود خوجة على ما يقوم به من تكريم لرجالات الفكر والثقافة، والأدب، وتهنيء أصحاب السعادة المكرمين، وتدعو الله سبحانه للجميع بدوام التوفيق.

■ د. مأمون فريز

■■ مكتب عمان..

النشاط الثقافي في سبعة أشهر

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن خلال المدة المشار إليها أعلاه (١٤) أربعة عشر نشاطاً ثقافياً، بمعدل نشاطين ثقافيين في الشهر، على النحو التالي:

■■ أقام المكتب حفلا تكريميا لاثنين من أعضائه يوم ١٦/٣/١٩٩٩م، بمناسبة حصولهما على شهادة الدكتوراه، هما: **الدكتور مصطفى محمد الفار** حول الشاعر أحمد محرم **والدكتور أحمد شحروري** حول النبت والزرع في القرآن الكريم، حيث قدم كل من الأخوين عرضاً لمحتويات رسالته، وبعد ذلك دار نقاش موسع شارك فيه عدد من السادة الحضور، ثم قدم رئيس المكتب **الدكتور مأمون فريز جرار** درع المكتب لكل منهما.

■■ ألقى عضو المكتب **الدكتور عمر الساريسي** محاضرة يوم ١٥/٤/١٩٩٩م بعنوان: «**الشعر الإسلامي الحديث بين الفن والالتزام**» أعقبها حوار شامل حول الشعر الإسلامي ومقوماته بشكل خاص والأدب الإسلامي بشكل عام، شارك فيه عدد كبير من السادة الحضور.

ويذكر أن **الدكتور عمر الساريسي** كان قد ألقى محاضرة يوم الإثنين الموافق ١٢/٤/١٩٩٩م في جامعة آل البيت ـ بدعوة من النادي الأدبي فيها ـ بعنوان «**الأدب الإسلامي: ماهيته ومفهومه والحاجة إليه**» أعقبها نقاش موسع شارك فيه أعضاء هيئة التدريس وطلبة الدراسات العليا في قسم اللغة العربية بالجامعة.

■■ أقام المكتب الإقليمي أمسية أدبية يوم ٢٩/٤/١٩٩٩م لعضو المكتب الآنسة **نافذة الحنبلي** ألقت فيها مجموعة من القصص القصيرة والخواطر الأدبية، ودار نقاش مستفيض حولها، حيث أثنى السادة الحضور على المستوى الفني فيها، ويذكر أن هذه الأمسية هي الأولى التي يقيمها المكتب للأخوات من أعضاء الرابطة، والتي شهدت حضورا نسائيا مميزا.

■■ أقام المكتب ندوة يوم ١٠/٥/١٩٩٩م حول «مفهوم

الأدب الإسلامي» شارك فيها من الأعضاء السادة: الدكتور عماد **الدين خليل** من العراق و**الدكتور حسن الإمراني** من المغرب وأدارها **الدكتور مأمون فريز جرار** من الأردن، حيث استعرض المتحدثون نشأة هذا المصطلح ومفهومه ومراحل نشأة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ومن ثم بين المتحدثون خصائص هذا الأدب ومقوماته، وعقب ذلك دار نقاش مستفيض شارك فيه جل السادة الحضور.

ويذكر أن كلا من ا **لدكتورعماد** و**الدكتور الأمراني** قد شاركا يوم ٨/٥/١٩٩٩م - بدعوة من النادي الأدبي في جامعة الزرقا الأهلية - في ندوة بعنوان: «**هموم الأدب الإسلامي**»، حيث تم التطرق فيها إلى العقبات التي تواجه هذا الأدب.

■■ أقام المكتب أمسيتة الشهرية يوم ٣/٦/١٩٩٩م لعضو المكتب الشاعر **الدكتور سليم محمد أرزيقات**، حيث ألقى مجموعة من قصائده الشعرية التي نالت استحسان السادة الحضور.

■■ أقام المكتب الإقليمي أمسية قصصية يوم ٢٤/٦/١٩٩٩م لعضو المكتب السيدة **أم حسان الحلو**، حيث قرأت مجموعة من القصص القصيرة، وتبعها نقاش موسع شارك فيه عدد من السادة الحضور.

■■ استضاف المكتب يوم ١٥/٧/١٩٩٩م أحد الشعراء البارزين على الساحة الأدبية هو الأستاذ **حبيب الزيودي** في أمسية شعرية، حيث ألقى عددا من القصائد التي لاقت استحسان السادة الحضور.

■■ أقام المكتب ندوة يوم ٢٢/٧/١٩٩٩م حول مآثر عدد من علماء الرابطة الذين انتقلوا إلى رحمة الله حديثا، وهم: العلامة الأستاذ **علي الطنطاوي**، والعلامة الأستاذ **مصطفى الزرقا**، والعالم الأديب الأستاذ **محمد المجذوب**.. حيث تحدث الأستاذ **عبدالله الطنطاوي** عن آثار ومآثر الأستاذ **علي الطنطاوي** و**الدكتور محمد أنس الزرقا** عن والده والأستاذ **طعمة عبدالله طعمة** عن الأستاذ **محمد المجذوب** مستعرضين مراحل حياتهم العملية والعلمية وأهم آثارهم، وقد شهد هذه الندوة جمهور غفير ملأ مقر المكتب.

■■ ألقت عضو المكتب **الدكتورة سميرة فياض الخوالدة** محاضرة يوم ١٩/٨/١٩٩٩م في مقر المكتب بعنوان: «**المؤثرات الغربية في أدب سيد قطب**» حيث شارك عدد كبير من السادة الحضور في النقاش الذي دار عقب انتهاء المحاضرة.

■■ استضاف المكتب يوم ٢/٩/١٩٩٩م عضو الرابطة **الأستاذ الدكتور عدنان رضا النحوي** في حوار شامل حول شعره وأدبه ونقده، وأدار الحوار الأستاذ **عبدالله الطنطاوي**، وقد احتشد عدد كبير من أعضاء الرابطة ومن محبي الأستاذ **النحوي**، حيث جرى نقاش موسع مستفيض.

■■ ألقي **الدكتور عودة الله منيع القيسي** محاضرة في مقر المكتب يوم ١٤/٩/١٩٩٩م بعنوان: «**مواقف مريبة من الشعر الجاهلي**»، حيث أبرز **الدكتور القيسي** في بداية المحاضرة المطاعن التي يرتكز عليها فريق من النقاد المعاصرين في زعمهم أن الشعر الجاهلي منحول.

ثم فند **الدكتور القيسي** هذه المزاعم والمطاعن الواحدة تلو الأخرى، وعقب ذلك دار نقاش مستفيض شارك فيه معظم السادة الحضور.

■■ أقام المكتب أمسية شعرية للأستاذ **محمد الحسناوي** يوم ٢٨/٩/١٩٩٩م، حيث ألقي فيها قصائد مختارة من دواوينه الشعرية المنشورة مثل: **ملحمة النور، وعودة الغائب، وفي غيابه الجب** إضافة إلى مجموعة من القصائد التي ألقيت للمرة الأولى مثل قصيدة «**غزة تسأل**» التي نالت إعجاب السادة الحضور، ومن ثم جرت مناقشات واسعة شارك فيها عدد كبير من السادة الحضور.

■■ ألقى عضو المكتب المتخصص في أدب الأطفال الأستاذ **محمود الرجبي** محاضرة يوم ١٤/١٠/١٩٩٩م بعنوان: «**شهادة حول أدب الأطفال**» استعرض من خلالها تجربته مع أدب الأطفال، وأهم خصائص هذا الأدب ومقوماته، والعقبات والعراقيل التي تواجه من يتصدى للتأليف في هذا النوع من الأدب، وقبل أن يفتح باب النقاش الذي شارك فيه جل السادة الحضور، ختم الأستاذ **محمود الرجبي** محاضرته بعدد من التوصيات في هذا المجال.

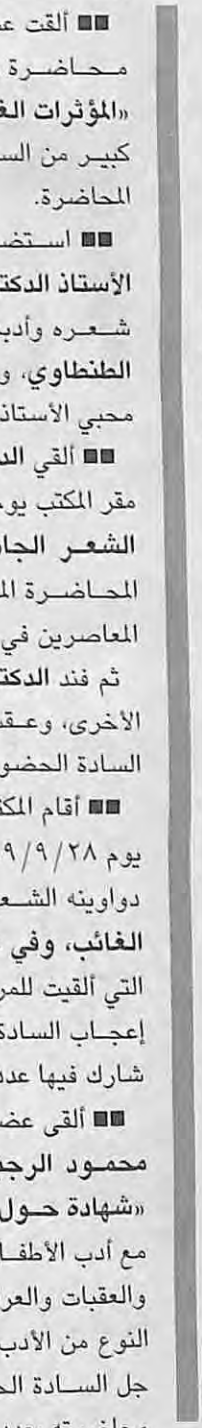

■■ مكتب المغرب..

تنفيذ البرنامج السنوي

تم الاتفاق على تنفيذ ما تبقى من الأنشطة العالقة للبرنامج السنوي ومتابعة الأنشطة المقترحة، ومن ذلك متابعة إنجاز المحاضرة الشهرية المتنقلة، حيث تم اقتراح الأستاذ **إسماعيل الإسماعيلي**، عضو الرابطة، للقيام بهذه المحاضرة.

ووكل أمر الندوة السنوية المتعلقة هذه الدورة بأدب الطفل، إلى فرع فاس، الذي طلب منه إعداد الورقة وعرضها لمناقشتها في لقاء قادم.. ثم وكل إلى فرع الدار البيضاء متابعة موضوع تكوين الأطر، وفتح الأندية الأدبية، ومتابعة جائزة أدب الشباب، والإعداد للمخيم الصيفي.

وبالإضافة إلى هذا تكفل فرع فاس بمتابعة الورقة المتعلقة بتصحيح التصور في الأدب الإسلامي، وتتضمن هذه الورقة العملية التقويمية لجهود السابقين، ودراسة المفاهيم الأساسية وتحرير الخلاصات.

* **الملتقى الدولي الثالث للأدب الإسلامي:**

وكان قد تم الاتفاق على عقد دورة **المختار السوسي** بكلية الآداب بأكادير، وتم الاتفاق على متابعة الأمر مع لجنة الأدب الإسلامي بأكادير، وموعد عقد الملتقى هو شهر شباط «فبراير» عام ٢٠٠١م مبدئيا.

الملتقى الثقافي الأول وتكريم النـــاقوري

عقدت **جمعية سيدي الغازي** للعمل الاجتماعي والتربوي، بمدينة كلميم، باب الصحراء، الملتقى الثقافي الأول تكريماً **للدكتور إدريس الناقوري**، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، أيام ٥، ٦، ٧، ٨، نوفمبر ١٩٩٩ تحت شعار «**من أجل تواصل ثقافي بين جيل الرواد وجيل اليوم**»، وقد حضر هذا الملتقى عدد من الأساتذة والباحثين، ومن بينهم جملة من أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وقد ألقى **الدكتور حسن الأمراني**، رئيس المكتب الإقليمي، في الجلسة الافتتاحية كلمة باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مؤكدا أن التواصل الثقافي والأدبي من أهداف الرابطة، وأن تكريم **الدكتور إدريس الناقوري**، الباحث والناقد والإنسان، هو تكريم لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، وأن التواصل الثقافي هو من مقومات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي تدعو إلى أدب إسلامي عالمي، يؤمن بتعدد ثقافي داخل مرجعية واحدة، هي الإسلام.

كما ألقى رئيس المكتب الإقليمي بحثا عنوانه: «**الإسلام والشعر: خطاب المقدمة**».

وألقى **الدكتور محمد خليل**، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو مكتبها الإقليمي بحثا عنوانه: «**الشعر العربي في سوس والصحراء: أية علاقة؟**».

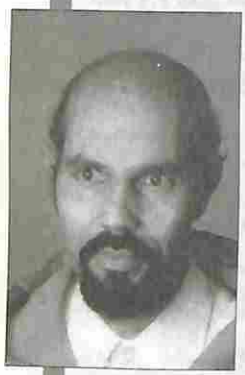

■ د. إدريس الناقوري

وألقى **الدكتور محمد بلاجي**، عضو الرابطة، بحثا موضوعه: «**جدلية الصناعة والبلاغة عند عبدالقاهر الجرجاني**».

وألقى الأستاذ **حميد سمير**، عضو الرابطة، عرضا عنوانه: «**قضية الإسلام والشعر**».

وقد أقيمت، خلال الملتقى، قراءات شعرية بالعربية الفصحى وكذلك بالحسانية والأمازيغية وكان للرابطة حضور في هذه القراءات من خلال مشاركة كل من الشاعرين **محمد بلاجي**، **وحسن الأمراني**.

■■ مكتب الباكستان..

● عقد المكتب الإقليمي للرابطة في الباكستان - ومقره إسلام أباد - مسابقة مفتوحة عن «رسالة السيرة النبوية إلى الإنسان المعاصر» شارك فيها طلاب الكليات والجامعات، وخصصت للمنافسة ثلاث جوائز مالية تشجيعية.

● أقام المكتب أمسية شعرية في شهر شباط «فبراير» مع الشاعر الإسلامي النابغة والكاتب الأوردي العلامة الأستاذ نعيم صدقي، وهو من أعضاء الرابطة، ومن زملاء العلامة أبي الأعلى المودودي رحمه الله.

● حصل المكتب الإقليمي على ترخيص لإصدار مجلة خاصة بمكتب الرابطة في الباكستان باسم «قافلة الأدب الإسلامي» باللغات الأوردية والعربية والإنكليزية.

■■ مكتب بنغلاديش..

● يصدر المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في بنغلاديش مجلة شهرية تسمى «الحق» باللغة البنغالية، بالإضافة إلى مجلة «منار الشرق» التي تصدر باللغة العربية.

وبذلك أصبح عدد المجلات التي تصدر عن مكاتب الرابطة «٧» سبع مجلات، منها ثلاث مجلات باللغة العربية وهي: مجلة الأدب الإسلامي التي يصدرها مكتب البلاد العربية، ومجلة «المشكاة» التي يصدرها المكتب الإقليمي للرابطة في المغرب، ومجلة «منار الشرق» في بنغلاديش، بالإضافة إلى مجلة «الحق» باللغة البنغالية، ثم مجلتان باللغة الأوردية، وهما مجلة «قافلة الأدب الإسلامي» التي يصدرها المكتب الإقليمي في الباكستان، ومجلة «كروان أدب» التي يصدرها مكتب شبه القارة الهندية، وأخيرا «مجلة الأدب الإسلامي» التي يصدرها المكتب الإقليمي للرابطة في استانبول باللغة التركية.

● كما عقد المكتب الإقليمي للرابطة في بنغلاديش ندوة عن «أدب الطفل المسلم» في مدينة داكا العاصمة، وندوة ثانية عن «السيرة النبوية» في مدينة شيتاجونج.

■■ من إصدارات أعضاء الرابطة

● صدر في عمان الأردن، عن **دار الشهاب** و**دار عمار** مجموعة قصصية للأديب **محمد الحسناوي**، تقع المجموعة في ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط، وتضم ١٧ قصة تغطي مساحة أربع وخمسين سنة من حياة المؤلف.

● **ثلاثة دواوين جديدة لحفيظ بن عجب الدوسري:**

- ليل الغربة
- أنا وليلى
- الأقصى والشرف.

صدرت الدواوين الثلاثة عن **دار الأحمدية** في الدار البيضاء في المغرب وترجمت قصائد «**ليل الغربة**» إلى الفرنسية.

● **عبر وعظات، ديوان جديد - للدكتور عدنان النحوي:**

ط١، دار النحوي للنشر والتوزيع عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

● **أربعة اصدارات جديدة لـ د. عبدالمجيد البيانوني:**

- صور وعبر من لطائف القدر «١٠ قصص قصيرة واقعية» ٢١٥ صفحة.
- حديث القلب - مقالات تربوية في ١٠٠ صفحة.
- رسالتان في التربية، تقع في ١٠٠ صفحة.
- النصائح الذهبية ٥١ صفحة.

صدرت هذه الكتب الأربعة في طبعتها الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. بحجم صغير عن دار نور المكتبات بجدة/ السعودية.

● «**لاتقولي وداعا**».. **ديوان للشاعر عيسى بن علي جرابا:**

٣١ قصيدة - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م عن مكتبة الأديب في الرياض.

● «**لاتسلني عن جراحي**»..

ديوان للشاعر مهدي بن أحمد حكمي:

يضم ١٦ قصيدة. صدرت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م عن نادي جازان الأدبي.

● صدر عن **دار البراق** و**دار الفرقان** في عمان رواية «**سر الشارد**» للأديب الشاعر **عبدالله عيسى السلامة**، وتقع الراوية في ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط وتتألف من سبعة فصول.

● **ثلاثة كتب لعبدالفتاح عبدالخالق سمك:**

ـ حب القمة لسيد هذه الأمة، صدر عن دار التوفيقية بالأزهر ـ القاهرة.

ـ أهل بدر ـ موسوعة تاريخية ثقافية أدبية ـ في جزءين.

الجزء الأول ط١ـ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، والجزء الثاني ط١ ـ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

ترجم فيهما لـ٦٨ صحابيا من أهل بدر رضي الله عنهم.. يطلب الكتاب من مكتبة وهبة ـ عابدين القاهرة ـ مصر.

● **شهور في ديار العرب، للعلامة مسعود عالم الندوي:** ترجمة وتعليق الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم.. يقع الكتاب في ٦٤٨ صفحة ـ وصدر عن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. ويعد الكتاب من أدب الرحلات.

● **حديقة الذكريات:** سلسلة قصصية للأحبه الأطفال في عشرة عناوين:

ـ البلبل الغريد ـ السلحفاة الذكية ـ الغراب الزاهد ـ الظبية الجميلة ـ الببغاء العاقلة ـ الحمامة المطوقة ـ القرد الداهية ـ الأرنب الحكيمة ـ الجرو الوفي ـ الطاووس الذهبي.

وهي من تأليف الأستاذ محمد موفق سليمة المعروف بكتاباته المتنوعة في أدب الأطفال تحت عنوان «البراعم المؤمنة».. طبعة دار الهدى الأولى ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ـ الرياض.

● **إصدارات جديدة لنادي أبها الأدبي:**

■ سهيل اميماني ـ ديوان شعر ـ لإبراهيم طالع الألمعي ط١ ـ ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م.

■ الهيار ـ مسرحية ـ تأليف محمد عبدالله العثيم ط١ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

■ عيون على السماء ـ رواية ـ تأليف قماشة عبدالرحمن العليان ط١ ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

■ الجوائز الأدبية ـ الحدود والأقنعة ـ تأليف حسين بافقيه ط١ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

● **هوى الخمسين:** ديوان للشاعر عصام الغزالي. يضم ٥٠ قصيدة. يطلب من دار الوفاء ـ المنصورة ـ ط١ـ ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. مصر.

● **سلسلة إصدارات «آفاق أدبية»:** التي يشرف عليها وحيد حامد الدهشان العضو العامل في الرابطة: وناصر صلاح عبدالعاطي.

■ ديوان أفيقي ياسليمى، شعر أحمد بسيوني، ١٦ قصيدة عمودية في ٦٢ صفحة من القطع الصغير. ط١ ـ ١٩٩٨م.

■ من وحي الانتفاضة، شعر د.سليم سعيد، ١١ قصيدة مختلفة ط١ ـ ١٩٩٨م.

■ ديوان أناشيد الفارس الصغير، شعر عبدالله عويس «طالب بالمرحلة الثانوية الأزهرية».. ٢٠ قصيدة عمودية. ط١ـ ١٩٩٩م.

و«**آفاق أدبية**» سلسلة إبداعية غير دورية تصدر في القاهرة ـ مصر.

● **عاشق الأندلس:** كتاب صادر عن «سامول الثقافية» بإشراف فريد محمد معوض، وعاشق الأندلس هو الدكتور محمد الشافعي من قرية سامول.. والكتاب مجموعة مقالات عن شخصيته وأدبه وعن الأندلس. أشرف د. الطاهر مكي على رسالة الدكتوراه التي قدمها د. الشافعي بعنوان «التيار الشعبي في الشعر الأندلسي» وحصل على درجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

● في **سلسلة «دعوة الحق»** صدر عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة كتاب «بلاد التتار والبلغار» لمؤلفه محمد بن ناصر العبودي. العدد ١٨٨ عام ١٤٢٠هـ.

● **كتاب «الذخر والعدة في شرح البردة»:** مؤلفه محمد علي بن علان الصديقي المالكي دراسة وتحقيق د. أحمد طوران أرسلان.

صدر ضمن منشورات وقف كلية الإلهيات بجامعة مرمرة في تركيا برقم ١٧٩ ـ إستانبول ١٩٩٩م.

● **«النهش على حجر الصوان»:** ديوان للشاعر عبدالرحيم قحطان ـ يضم ٤٠ قصيدة متنوعة، تعبر عن هموم العالم العربي والإسلامي ـ ط ١ ـ ١٩٩٩م تعز ـ اليمن.

● **ديوان محمد وجدي شبانة ـ الجزء الأول:** في ٥٠ صفحة من القطع الصغير ضم ٦ قصائد من الشعر العمودي.

أقسمت بيني وبين نفسي أن أقول الحق

عزيزي وصديقي د. عبدالقدوس أبوصالح

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.. وبعد

فأستشعر على البعد بمدى العطاء الذي تقدمه للإسلام والأدب الإسلامي، والكلمات الموجزة المركزة التي تضيفونها للرسائل «شبه الرسمية والمطبوعة» تجعلني أجل وأقدر جهودكم كل الإجلال والتقدير، وما أظن أن في مقدور هيئة أو إنسان أن يرد لكم جانبا - ولو يسيراً - من أفضالكم، كان الله في عونكم، وهو وحده - سبحانه وتعالى - الذي سيجزيك خيرا: في الدنيا والآخرة بعد عمر طويل إن شاء الله.. إن عبير محبة، وعطر مودة يفوح من بين سطورك، لا أملك إلا أن أبادلك إياه.. أنت صاحب مهمة جليلة، ورسالة كبيرة، آمل أن يتبين لها عالمنا الإسلامي وأمتنا العربية.. وأيضا بلدك الكريم.. لقد صحوت من نومي وهذه الكلمات تفرض نفسها عليّ، لأضعها على الورق، بلا سبب كأنما هناك هاتف يدفعني إليها، ومعذرة فما تعودت أن أغدق المديح على أحد، ولا أنا مُطالبٌ بشيء، فقط أقول هذه الكلمات من قلبي، وأرفع أكف الضراعة إلى الله أسأله أن يثيبكم خيرا، وأن يسدد خطاكم.

والشيء الغريب حقا أنني أشعر بأسف عميق إزاء شيء:

إنني لا أعرف الكثير عنكم، فقط: أن تتحمل مسئولية هذه المجلة، وجانبا من أعمال الرابطة، ربما كانت كل أعمالها التي تثقل كاهل جماعة، فما بالنا بفرد.. هلا زدتني معرفة بكم؟!.. لقد تساءلت عن السرفي تأثيركم الكبير عليّ، وحرت جوابا.. لأنني، ولديّ أكداس من

فاتحة الرجاء

■■ إخواني الكرام في مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية، والتي تسهر على إصدار مجلة فصلية «الأدب الإسلامي» يسرني كثيراً أن أراسلكم ولأول مرة، معبراً عن السعادة التي تغمرني بالتعرف على مجلتكم المحترمة، بعد أن إقتنيتها لأول مرة واطلعت على مضامينها وموادها التي أعجبتني في غالبيتها، ومن هنا أتقدم بالشكر الجزيل لكلمن سهر على هذه المجلة سواء من قريب أو من بعيد، بجهد قل أو كثر، وبارك الله في أعمالكم ومجهوداتكم.

إخواني الكرام: أحسب أن مجلتكم الإسلامية تقف على ثغر مهم من ثغور الدعوة إلى الله تعالى، بعد أن كان المجال الأدبي ومازال البعض من العاملين في الحقل الإسلامي يحظى بإهتمام بسيط ويسير، وربما يرجع ذلك إما لعدم إدراك قيمة هذا المجال

الأعمال لا يعلم غير الله كيف يتاح لي أن أنجز بعضها، نحيتها كلها من أجل أن أكتب إجابات على أسئلة الحوار التي طرحتموها، وسألت نفسي بقسوة: هل لأنها سوف تتيح لك الحديث عن نفسك؟ إنه كما يقولون «الحديث المحبب لكل البشر، لكن الأسئلة كانت صعبة، وبمثابة اختبار وامتحان، في جملتها، وتحملني فوق طاقتي، مثل السؤال الخاص بالمجلة نفسها، ورأيت أن أجيب بكل تلقائية، وبلا محاولة للتجمل أو تحسين الصورة لدى القاريء.. بل أقسمت بيني وبين نفسي أن أقول الحق، ولاشيء غير الحق ولك أن تحذف ما تشاء، وما تجد أن القلم شط به..

وإني لممتن لك، لأنك جعلتني «أستعرض» أعمالي وأفكاري.. لنفسي، قبل أن يكون ذلك للقراء، بلا تزيد فيما أرجو.

في العمل الإسلامي ودوره في تبليغ الرسالة الإسلامية عن طريق مجال طالما اهتم ومازال يهتم به ذوو الإيدلوجيات الماكرة.. والأغراض الدنيئة.

وبعبارة مختصرة تيار الـ «لا أدب» إن صح التعبير.. هذا من جهة، من جهة ثانية ربما لعجز دعاة الإسلام عن اقتحام هذا الميدان الذي يتطلب طاقات ومواهب رفيعة المستوى. وربما لأسباب أخرى نجهلها على كل حال.

علي الوزاني

فاس ـ المغرب

.. تقبل خالص مودتي، وعميق محبتي، وموفور احترامي.

عبدالتواب يوسف

القاهرة ـ مصر

■■ التحرير: نشر الحوار مع سعادة الأستاذ عبدالتواب يوسف في العدد ٢٤ من مجلة الأدب الإسلامي.

وإننا لنشكره جزيل الشكر على ما أولى العمل للأدب الإسلامي من خلال الرابطة ومجلتها من اهتمام وإشادة، ونسأل الله سبحانه أن يجعلنا عند حسن ظن قرائنا ومحبينا، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

□□□

أسرّتنا مجلة الأدب الإسلامي

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

لا أدري بماذا أفتتح رسالتي هذه المرسلة إلى رواد أدبنا الإسلامي الحديث..!

كم هي الكلمات تخونني وقت الأزمات، وتتركني في وقت أنا في أشد الحاجة إليها! في حين أراها تتسابق إلى الخروج في غيرها من المناسبات التي هي أقل شأناً من حالي الذي أنا عليه الآن ولكن مع كل ذلك ؛ لابد أن أتجرأ.! نعم أتجرأ قليلاً، وأبعث تلك الكلمات من أعماق الذاكرة وغياهب النسيان!.

أيها الأحبة: لَكَم ـ والله أسرّتنا المجلة «مجلة الأدب الإسلامي» بموضوعاتها وأبوابها وكتابها.. ولَكَم أعجبتني قصائدها وموضوعاتها الأدبية المختلفة، وإن مجلتنا واحة من واحات الجمال في صحراء الحياة القاحلة.! إنها روضة من رياض جنة الحياة، وغصن من أغصان الأسلوب العربي «البديع».. اعذروني.. أيها الأحبة ـ فإنني أدرك تماما أنني مهما جَوّدت الكلام معكم، وحسّنت الخطاب وزوّرته وحبرته لكم تحبيراً، ومهما صغت لكم العبارات الأدبية الجميلة والبلاغية المنعشة؛ فإنني ـ مع كل ذلك ـ لا أستطيع أن أصف مقدار حسن «مجلة الأدب الإسلامي» ولا أن أوفيكم حقكم..! ولكن؛ بقي أن تعلموا جيداً أن هذا الكلام ليس هو من باب التزييف والتزلّف، حاشاي ـ إن شاء الله تعالى ـ أن أفعل ذلك،ولكن هي ـ والله ـ مشاعر في قلبي، وخواطر جالت في أعماق نفسي حتى استوى عودها وأنبتت، وحان قطافها الآن وإنكم لأصحابُها!.. نعم، حان أن أبرزها لكم وأن تعلموا مقدار ما أكن لكم من حب وتقدير.. وليست مجلة «الأدب الإسلامي»

الجديدة على دنياي..!

أو إن شئت قلت: لست أنا بجديد على دنياها! اذ كنت أتابعها منذ ما يقرب من أربع سنوات وكان بيني وبينها صداقات وجلسات سمر! واسئلوها فستنطق بالإيجاب - إن كان لها لسان.

إخوتي الكرام.. لقد أحييتم في نفوسنا حب الأدب النابع من أعماق النفس الإسلامية المتأملة، والمقتبس من سنا رسالة الإسلام.. ونشرتم الأدب الذي يروي الأرواح والأنفاس قبل النفوس، فلكم من الله كل خير وشكروعرفان «ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله».

هذا.. وفي ختام هذه الرسالة لا يسعني إلا أن أكرر لكم حبي ومشاعري المغمورة بالود تجاهكم وتجاه مجلتنا جميعا، وتجاه كتابها وقرائها في كل صقع من أصقاع الدنيا.. فلكم من الله الأجر الجزيل والثواب الجميل.

وأسأل الله لكم حسن العمل وجودته واتقانه، وأن يكلل مساعيكم بالنجاح والتوفيق في الدنيا والآخرة، انه جواد كريم وبالإجابة جدير.

أخوكم المحب:

علي بن جبريل بن أمين

مكة المكرمة

لابد أن يكون هذا المصطلح

سعادة الأستاذ الدكتور عبدالقدوس أبوصالح رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

فلقد سعدت كثيرا بقراءة العدد ١٧ من مجلتنا الغراء، ولم يكن قد سبق لي الاطلاع عليها، وتمنيت بأن تكون هذه المجلة شهرية، وذلك ما آمله قريبا إن شاء الله، وسعدت أكثر بالمنهج الذي تتبعه المجلة، والفلسفة العظيمة التي تتبناها، والمذهب الأدبي السوي الذي تعتنقه بعيدا عن هوجة عدم الهوية التي تكتنف مجلاتنا الأدبية التي تصدر في الساحة العربية.

وإيمانا مني بأن الكلمة مسؤولية الإنسان، وسيحاسب عليها يوم لاينفع مال ولابنون فقد كانت ومازالت كل كتاباتي تتمحور حول كل ما يفيض بروح الإسلام وشفافيته، وقد كتبت كثيرا من القصص في هذا الشأن لكن لم أشأ نشرها لأن أحد أساتذتي في الجامعة اطلع عليها فلم توافق هواه وأشاح بوجهه عن فلسفتي، وقال كلمة لم أشأ ذكرها.. وقلت في نفسي لابد أن يأتي اليوم الذي يكون لمثل هذا الأدب مكانته السامقة!!

ومن هنا كانت فرحتي بالغة برؤيتي هذه المجلة واطلاعي عليها، وأتمنى أن تحقق لنا ما نصبو إليها.

سعادة أستاذنا الدكتور عبدالقدوس أبوصالح المحترم.

الحقيقة أنني لم أكن أبدا ممن يناصر مصطلح «الأدب الإسلامي» لأنني أؤمن بأن كل أديب مسلم يؤمن بالإسلام عقيدة وسلوكاً وتشريعاً لابد أن يكتب من هذا الواقع، أما الأدب الهابط الذي يكتبه بعضهم فما هو إلا عدم أدب أو انحلال أو سقوط، معذرة لهذه الألفاظ.

لكن من خلال قراءاتي لأدب بعض الكتاب الأجانب كجوته،وميشيل وغيرهم أيقنت أن هناك أدباً «اسلامياً» ولابد أن يكون هذا المصطلح.

أحمد إسماعيل أحمد عبدالكريم

مصر - قنا

شعر

تَرنيمةُ وَجْد

شعر:
عبدالله عيسى السلامة*

* شاعر سوري

إذا لم نَنَلْ منهنَ وصْلاً ولا وَعْدا
فلا سَلِمتْ سَلمى، ولا سَعِدتْ سُعدى

كذا قال منْ لم يهوَ أو يعرفِ الهوى
ولم يَحترقْ شوقاً ولمَ ينفطرْ وَجْدا

لقد مسَّ يوماً ثوبُه ثوبَ عاشقٍ
فأرعَدَهُ بَرْد، فظَنَّ الهوى بَردا

وقادتْه رجلاهُ بليلٍ بلا هُدًى
إلى دار نَحّال، فظَنَّ الهوى شَهدا

فطار يَرومُ الدفءَ بالوَصْلِ لاهثاً
ورافقَ سربَ النَحل كيْ يلثُم الوَردا

يَهيمُ بليلى ليلةً ويَعافُها
ويَهذي بهندٍ مانحاً طرفَه دَعدا

وليسَ لهذي أو لتلكَ من الهوى
لديهِ سوى وهْمٍ تَخيَّله جِدّا

أهذا، أم الوجدُ الذي شَبَّ في دمي
لهيباً، فهدَّ العزمَ في داخلي هدّا

أطيرُ به صَقْراً، وأهوي فَريسةً
وأُحرقُ قلبي في مجامِره ندّا

شَظيَةُ شَمسٍ أجّجتْه فلم يَزلْ
يَؤُجُّ، وأبقتني، وقد رَحلتْ، فَردا

مُجَرَّدةٌ لي منْ طُموحٍ أمضّني
مجسَّدةٌ في كل ترنيمةٍ تُشدى

أراها معي، حَوْلي، أراني أمامها
إذا وطئتْ سَهْلاً، وإن صَعدتْ نجدا

فأبكي بكاءً ما بكتهُ شجيّةٌ
بلا دمعةٍ تَهمي، ولا مُقْلةٍ تَندى

فتُدْني غُصونُ الياسَمينِ خُدودَها
لأوسعها لثْماً، فتُوسعُني صَدّا

وتُومِيءُ أنْ خُذْ من لَدُنْكَ سَنا هُدىً
وأيَّ «لَدُنْ» أبقتْ، وأيُّ سنًا أجدى!؟

لقد نَهَبتْ منّي «لَدُنّي» وبَعدَها
ثَوتْ ساعةً عندي فلم تُبقِ ليْ «عِنْدا»

أهذا أنا، يا أنتِ، يا سَلّةَ المنى،
لديك، فماذا بَعدُ، إن شئت لي «بَعْدا»؟

ألمْ يَكُ منّي البُعْدُ، والقُربُ منكِ لي
أحينَ أودُّ القُربَ أحتضنُ البُعدا؟!

فماذا إذنْ بُعدي، وقُربي، وصَبْوتي
وكُلّي، وأيّامي التي شُحِنَتْ سُهدا؟!

ألمْ يَصرِ «اللاشيءُ» شيئاً فصِرْتُه
فصارَ الضنى قوتاً، وصار الرَّدى وِرْدا

ألم أكُ وَهماً فارتَعَشتِ بخاطري
فكنتُ.. فهلاّ كنتِ لي نِعمةً تُسْدى

□□□

في انتظار المطر

تحية إلى «رفاه مهندس».. القلم الإسلامي الذي لم يأخذ حقه

كلمات ثلاثة شاعرة، فيها ـ رغم أنها جاءت نثراً ـ إيقاع الشعر، وتميُّزُ معانيه: أفقاً وعمقاً، وانفساحاً وانديا حاً.

هذه الكلمات الثلاثة هي عنوان كتيب لم تبلغ صفحاته المئة، ضم اثنتين وعشرين مقالة، فيها من البيان العالي، والحس المرهف، وشرف المعنى، ونبل الهدف، ما تقر له عين الأدب الإسلامي الرفيع.

فتحتُه ـ كيفما اتفق ـ فوقعت عيني على مقالة بعنوان: أمٌ.. وأُمّة، تصفُ سطورها بنتاً في الخامسة من عمرها، في موقف تجردت فيه من براءة طفولتها، فيه عنف وشراسة!! تساءلت الكاتبة عن سبب ذلك الموقف، وذكرت احتمالاته. ثم مضت تصف الطفلة في موقف آخر مع أمها، والأم تضربها بقسوة، وتشتمها، لسبب لم تذكره الكاتبة الأديبة، التي تقول:

«غير أني لما رأيت أمها تنقضُّ عليها بالسِّباب الملوث، والضرب المُهين، وقد انقلب بريق عين الطفلة الصغيرة المتوحشة وميضاً خائفاً دامعاً حسيراً.. عندها تيقنت أن ملامح هذه(١) من قسمات تلك(٢)، وانزجارة هذه من زمجرة تلك، وتأكدت ما بصمته هذه الأم فوق جبين ابنتها: جبروتاً قاهراً، أو ذلاً دفيناً.

«وقلتُ: هكذا تهدم أمٌ أمة!

«تعجز(٣) إلا أن تلد معنى من معانيها، فإن كانت في المعاني أعجميةً، لم تعقلْ أن تخرج إلا جيلاً من جيلين:

«جبابرةً يسومون الأرض خسفاً ونسفاً وقهراً، أو أذلاء تعودوا أن تصفع وجوههم، وتُعفَّر جباهُهم، وتسوقهمُ العصا..»

انتهيتُ من قراءة هذه السطور، وشعرت بـ «قشعريرة الإعجاب» تسري في أوصالي، وكأني صحوت من حلم مع أديب العربية الأكبر مصطفى صادق الرافعي رحمه الله!!

رفعت سماعة الهاتف واتصلت بصديق شاعر ذواقة أثق برأيه وحكمه. قلت له: اسمع وأخبرني من هو كاتب هذه السطور. وأخذت أقرأ له، فقاطعني قائلا: هذا هو الرافعي، سبحان من خلقه ووهبه هذا البيان المتفرد. قلت: بل هو سيدة أديبة في كتاب لها جديد.. فأجاب: لقد خدعتني!!

تابعت القراءة في الكتاب، وأنا أقول في نفسي: إذا كان لأسلوب الأديب نصيبٌ من اسم صاحبه، ففي هذا الأسلوب «رفاه» البيان العالي الذي لا يتذوقه عامة المثقفين، وفيه براعة «المهندس» المعماري الذي يتقن بناء ما يبني إتقاناً قائماً على: علمٍ عميق، وفن أصيل.

وبعد: فهذه السطور، كما جاء في عُنوانها، ليست أكثر من تحية إلى هذا القلم الإسلامي الجدير بالاحترام والإعجاب، أما الدراسة والتحليل فأتركها لغيري من الإخوة الأدباء والنقاد.

---

(١) البنت (٢)، (٣) الأم

د. أحمد البراء الأميري

قسيمة اشتراك

السيد / رئيس مكتب الرابطة في:

الرياض - القاهرة - عمان - المغرب.

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة سنة واحدة، ومرفق طيه شيك باسم: رابطة الأدب الإسلامي العالمية - حساب المجلة بمبلغ:.....

.....

بيانات المشترك

الاسم:.....

الجنسية:.....

الوظيفة أو العمل:.....

العنوان:.....

هاتف المنزل:.....هاتف العمل.....

ملاحظات أخرى:.....

التوقيع

.....

قيمة الإشتراك السنوي: الأفراد: ما يعادل (١٥) دولاراً (البلاد العربية) و (٢٥) دولاراً خارج البلاد العربية

الهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً

يرسل الشيك بقيمة الاشتراك مسحوباً على شركة الراجحي المصرفية للاستثمار بالرياض

قسيمة اشتراك (هدية - تبرع)

السيد / رئيس مكتب الرابطة في:

الرياض - القاهرة - عمان - المغرب.

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة سنة واحدة، يرسل هدية إلى:

الاسم:.....

العنوان :.....

ومرفق طيه شيك باسم: رابطة الأدب الإسلامي العالمية - حساب المجلة.

بمبلغ:.....

بيانات طالب الاشتراك

الاسم:.....

الجنسية:.....

الوظيفة أو العمل:.....

العنوان:.....

هاتف المنزل:.....هاتف العمل.....

عدد النسخ المطلوب الاشتراك فيها:.....

المبلغ المدفوع :.....

التوقيع

.....

قيمة الاشتراك السنوي: الأفراد: ما يعادل (١٥) دولاراً - **الهيئات والمؤسسات:** ما يعادل (٣٠) دولاراً

يرسل الشيك بقيمة الاشتراك مسحوباً على شركة الراجحي المصرفية للاستثمار بالرياض

أخـي القارىء:

* قـراءتك للمجلــة تطلعك على مسيرة الأدب الإسلامي.
* اشتراكك في المجلـة دعم لـلأدب الإسـلامي ورابطته العالمية.

أخـي القارىء:

* إهداء المجلة إلى صديق لك يجعله من أنصار الأدب الإسلامي.
* إهداء المجلـة إلى أحد المراكز الإسـلامية يتيح لعـدد كبير من القــراء أن يطلعـوا على الأدب الإسلامي ومسيرة رابطته العالمية.

منشورات..

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

١ ـ من الشعر الإسلامي الحديث ـ لشعراء الرابطة.
٢ ـ نظرات في الأدب ـ أبو الحسن الندوي.
٣ ـ رياحين الجنة «شعر في الطفولة والأطفال» عمر بهاء الدين الأميري.
٤ ـ دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث ـ الجزء الأول، إعداد الدكتور عبدالباسط بدر.
٥ ـ النص الأدبي للأطفال «أهدافه ومصادره وسماته.. رؤية إسلامية» د. سعد أبو الرضا.
٦ ـ ديوان البوسنة والهرسك ـ مختارات من شعراء الرابطة.
٧ ـ ديوان «يا إلهي» محمد التهامي.
٩ ـ يوم الكرة الأرضية «مجموعة قصصية» للدكتور عودة الله القيسي.
١٠ ـ ديوان «مدائن الفجر» ـ الدكتور صابر عبدالدايم.
١١ ـ العائدة ـ سلام أحمد إدريسو «الرواية الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية».
١٢ ـ «محكمة الأبرياء» مسرحية شعرية ـ الدكتور غازي مختار طليمات.
١٣ ـ الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني ـ الدكتور حلمي القاعود.
١٤ ـ ديوان حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري ـ د. جابر قميحة.
١٥ ـ في النقد التطبيقي ـ د. عماد الدين خليل.
١٦ ـ في ظلال الرضا ـ شعر أحمد محمود مبارك.
١٧ ـ لن أموت سدى "رواية" ـ جهاد الرجبي (الرواية الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة الرواية).

■■ سلسلة أدب الأطفال:

١ ـ غرد يا شبل الإسلام
محمود مفلح.
٢ ـ قصص من التاريخ الإسلامي
أبو الحسن الندوي.
٣ ـ تغريد البلابل
يحيى الحاج يحيى.
٤ ـ حكاية فيل مغرور
د. حسين علي محمد.
٥ ـ أشجار الشارع أخواتي «شعر للأطفال».. أحمد فضل شبلول
٦ ـ أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب
فوزي خضر

■■ تحت الطبع:

١ ـ قصة يوسف فنياً ـ محمد رشدي عبيد.
٢ ـ المجموعة القصصية الفائزة في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة.
٣ ـ باقة ياسمين (مجموعة قصصية للأطفال) مترجمة عن التركية
تأليف الأستاذ علي نار ـ ترجمة شمس الدين درمش.
٤ ـ معسكر الأرامل (رواية) مترجمة عن الأفغانية ـ ترجمة د. ماجدة مخلوف.
٥ ـ القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر ـ حليمة بنت سويد الحمد.

■■ معتمدو توزيع مجلة الأدب الإسلامي:

http://www.saudidistribution.com.sa

- السعودية: جدة ـ الشركة السعودية للتوزيع هاتف ٦٥٣٠٩٠٩ ـ فاكس ٦٥٢١١٤٦
ـ الرياض ـ هاتف ٤٧٧٩٤٤٤ ـ فاكس ٤٧٧٩٠٣٠
ـ الدمام ـ هاتف ٨٤١٣٢٣٩ ـ فاكس ٨٤١٣١٤٨
- دار الحكمة ـ دبي ـ الإمارات العربية المتحدة هاتف ٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٦٦٩٨٢٧ ص. ب: ٢٠٠٧
- الكويت: شركة درّة الكويت ـ هاتف ٢٤٢٨٢٥ ـ ٢٤٢٨٢٥٣
- البحرين: المنامة ـ مؤسسة الهلال ـ هاتف ٢٥١٠١٥ ـ ٢٦٢٢٦
- قطر: دار الثقافة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ هاتف ٤١٤١٨٢ ـ فاكس ٤٣٦٨٠٠
- مصر: القاهرة-جريدة الأهرام-هاتف ٥٧٨٦١٠٠-٥٧٨٦٢٠٠
- الأردن: عمان ـ دار البشير للنشر والتوزيع ـ تليفاكس ٤٦٥٩٨٩٣
- لبنان: بيروت ـ الشركة المتحدة للتوزيع ـ هاتف وفاكس ٨١٥١١٢ ـ ٦٠٣٢٤٣
البريد الإلكتروني Resalah@Cyberia.net.lb
- سورية: دمشق ـ الشركة المتحدة للتوزيع ـ هاتف ٢٢١٢٧٧٣ ـ ٢٢٢٦٤٤٣
- المغرب: الدار البيضاء ـ سوشبريس ـ هاتف ٤٠٤٠٣٢ ـ فاكس ٢٤٦٢٤٩

دعوة

إلى الأدباء الإسلاميين

تعلن مجلة «الأدب الإسلامي» عن عزمها على إصدار خمسة أعداد خاصة عن كل من:

- سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله.
- فضيلة الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله.
- سعادة الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري - رحمه الله.
- سعادة الدكتور عبد الرحمن ..... رأفة الباشا - رحمه الله.
-

ونهيب بالأدباء الإسلاميين أن يسهموا في هذه الأعداد الخاصة بما يبدعونه

هيئة تحرير المجلة